مقدمتان في علوم القرآن

وهما

مقدمة كتاب المبانى ، ومقدمة ابن عطية

نشرهما من المخطوطات المحفوظة

فى دار الكتب ببرلين ، ودار الكتب المصرية

ووقف على تصحيحهما وطبعهما

الأستاذ المستشرق الدكتور

أرثر جفرى

الناشر مكتبة الخانجى
ص . ب ١٣٧٥ مصر
ومكتبة المثنى ببغداد

١٩٥٤ م

مطبعة السنة المحمدية
ت ٧٩٠١٧



مقدمتان في علوم القرآن

وهما

مقدمة كتاب المباني ، ومقدمة ابن عطية

نشرهما من المخطوطات المحفوظة

فى دار الكتب ببرلين ، ودار الكتب المصرية

ووقف على تصحيحهما وطبعهما

الأستاذ المستشرق الدكتور

أرثر جفرى

الناشر مكتبة الخانجى

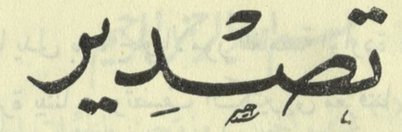
ص . ب ١٣٧٥ مصر

١٩٥٤ م

الإهداء

لذكرى المرحوم الأستاذ

جتهلف برجشتراسر



تصدير

هاتان الرسالتان نقدمهما الآن لأصدقائنا فى الشرق والغرب ، أعددناهما تلبية لرغبة عبر عنهـا الأستاذ برجشتراسر ، أثناء إقامته فى مصر قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى بسنتين . وقد كان حينئذ يبحث معى فى تاريخ القرآن ، وتطور قراءاته من أيام الخلفاء الراشدين إلى قراءة حفص المشهورة الموجودة فى مصاحفنا المتداولة بين أيدينا ؛ وقد ساء فى عينيه أنه لا يوجد سبيل إلى الإفادة من هاتين الرسالتين ، وهما : مقدمة كتاب المبانى ، ومقدمة ابن عطية لتفسيره المعروف .

وقد استعمل المستشرق الألمانى الشهير نولدكى هاتين الرسالتين فى أبحاثه فى تاريخ القرآن ، وكذلك استعملهما من بعده تلميذه المستشرق شوالى ونظراً لأهميتهما قصد برجشتراسر نشرهما معتمداً على المخطوطات المحفوظة فى برلين ، بعد أن يتم نشر كتاب (غاية النهاية فى طبقات القراء) لشمس الدين محمد بن الجزرى . ولـكن ظروفاً قاسية حالت دون إنجاز قصده ، وقد منعتنى الأحوال العالمية من أن أسير قدما نحو ما يتمم رغبته . وقد كان من حسن حظى ، والحمد لله ، أن أمكننى فيما بعد أن أحصل على صور المخطوطتين المحفوظتين سابقاً فى دار الـكتب فى برلين بواسطة صديقنا الدكتور كريمر ، وعناية أمين مكتبة جامعة تو بنغن بألمانيا وحسن اهتمامه . و بناء على ذلك فها نحن نجرؤ على أن نقدم هاتين الرسالتين بين أيدى الذين يشغفون بالعلوم القرآنية .

أما مؤلف كتاب المبانى فهو غير معروف ، لأن الصحيفة الأولى من النسخة الوحيـدة التى بين أيدينا قد فقدت ، ويذكر المؤلف فى الصحيفة الثانيـة من المخطوطة : أنه بدأ فى تأليف كتابه فى سنة أربعمائة وخمس وعشرين من الهجرة ، وسماه (كتاب المبانى فى نظم المعانى) وهو تفسير القرآن الـكريم الذى صدَّره بمقدمة فى عشرة أبواب . ويظهر لنا من لغته وأسـانيده أنه من علماء المغرب .

وكثيراً ما نجد أن ما يدلى به ، يجلو الأمور الغامصة الواردة فى كتب أبى عثمان الدانى القرطبى المنتشرة بيننا ، وتضيف الكثير إلى معرفتنا بما كان يلقنه علماء المغرب فى العلوم القرآنية . وقد ذكر المؤلف فى رسالته مصنفين آخرين ، وهما كتاب (الإبانة والإعراب) وكتاب (الدرر فى ترفيع السور) ولكننا لم نجد أثراً لهما فى فهارس خزانات المخطوطات .

أما مصنف الرسالة الثانية فهو من أهل المغرب أيضاً ؛ وهو : عبد الحق بن أبى بكر بن عبد الملك الغرناطى بن عطية ؛ وكانت وفاته حوالى سنة ٥٤٣ ﻫ ، أو نحو ذلك . وتوجد ترجمة له فى كتاب (القلائد) لابن خاقان ص ٢٣٩ ـ ٢٤٧ ، و (البغية) للسيوطى ص ٤٩ ، وكتاب (الصلة) لابن بشكوال ص ٨٣٥ . وقد صنف تفسيره المسمى (الجامع المحرر الصحيح الوجيز فى تفسير القرآن العزيز) فى الأندلس ، وصدره بمقدمة فى علوم القرآن . وكان تفسيره هذا كما هو معلوم أصلاً لكثير مما اشتهر به القرطبى فى كتابه (الجامع لأحكام القرآن) الذى طبع فى مصر فى عشرين مجلداً سنة ١٩٣٣ ـ ١٩٥٠ . هذا نفسه دليل ذامغ على الأهمية العظمى التى لهذا المؤلف ، وعلى ضرورة نشر رسالته هذه .

وقد استعملنا فى نشر هاتين الرسالتين النسخة المخطوطة الوحيدة من كتاب المبانى المحفوظة تحت رقم ١٠٣ فتشتين فى دار الكتب فى برلين ، وكذلك استعملنا ثلاث نسخ من مقدمة ابن عطية . الأولى فى برلين رقم ٤٠٨ سبرنجر ، والثانية فى المكتبة التيمورية رقم ١٦٨ ، والثالثة فى دار الكتب المصرية رقم ب ٢٥٠٣١

ومن حسن حظى أن أخص بالشكر الجزيل صديقى العالم العلامة فضيلة الشيخ سيد نوار الذى قرأ معى أصول الرسالتين وشرح لى كثيراً من التباساتهما ، والدكتور بطرس عبد الملك الذى تفضل فسمح لى بأن أنهل من ينابيع علمه ومعرفته ، و بفضل مساعدتهما لى وفقت إلى تصحيح الرسالتين ، وكذلك أمكن بفضل تشجيع مكتبة الخانجى ، و إقدامها ، ونشاطها ، ومثابرتها ، أن أقدم هذا الكتاب بين أيدى المشتغلين بهذه الموضوعات ، و بالله التوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم

[. . . . . .][1] غرف الجنان ، وزوّجهم بالخيِّرات الحِسان ، المضارعات للياقُوت والمرْجان ، ويمنع من أعرض عنه اشتغالاً بالعِصْيان ، فيهوى بهم إلى أسفل المهاوى والخسران ، وذلك : لأنه كلام الملك الديان ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لأنه محفوظ بالحجة والسلطان ، مَحْرُوسٌ عن مَكَايد أَهل العنود والطغيان ، فتبارك الله ذو النعمة والإحسان ، والفضل والامتنان ، خالق الجان والإنسان ، وله الشكر الدائم ، والذكر اللازم ، ما اختلف الملوان ، ومرجَ البحران ، وتقلب فى حكمه الثقلان .

أما بعد : فإن الله تعالى أنعم على هذه الأمة بالقرآن العزيز الجليل ، وجعله سبيلاً إليه ، مقروناً بالحجة والدّليل ، أكرم به رسوله الأمين ، وسماه صراطه المستبين ، وقرّع العرب بالإتيان بمثله ، أو ببعض منه إن لم يقدروا على كله ، وسمّاه بأسامى محمودة ؛ وضمنه معانى غير معدودة .

وكان : مما سماه به بعد وصفه بأحسن الحديث : المثانى . كما قال الله تعالى : (س ٣٩ آ ٢٣) « اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ » . فكما أن ظاهره حجة على فصحاء العرب بنظمه ، فكذلك باطنه حجة على علماء العجم بحكمه وعلمه ، وكما أن ظاهره مربوط بنظم لايتطرق إليه عيب[2] ، فكذلك باطنه مبسوط بحكم لاتبقى معه مادّة لريب .

وكما أن ظاهر نظمه لو وقع فيه خللٌ لـكان للطاعنين فيه مقال . فكذلك إن وقع فى نَظْم معانيه زَلل كان للمعرضين عنه مجال . و إليه أشار بقوله سبحـانه (س ٤١ آ ٤٢) « لاَ يَأْتِيهِ ٱلْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ » أراد ، والله أعلم ، من جهة نظم ألفاظه ولا من جهـة أحكامه ومعانيه ولـكن هذا علم

---

(١) الصحيفة الأولى مفقودة من الأصل .

(٢) فى الأصل : بغيب

خاص يختص الله به من يشاء فيهديه إلى معرفة طرقٍ منه دالّة على منازل شرف به وعنه ، وَهو الذى قال تعالى (س ٢٩ آ ٤٩) « بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَـاتٌ فِي صُدُورِ ٱلذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ » .

ولعمرى قد كنت شرعت فى باب الظاهر بكتب ألفتها فى فنونه ، وأوردت فى كل واحد منها ما هو الأليق فيه من عَزيزه وعيونه ، وكنت أشرت فى بعضها إلى احتياج طالب هـذا الباب إلى كتاب أستخرجه فيه ، وَوعدته استخراج ذلك بمصادره ومبانيه ، وأحببت بعدَ ذلك أن أشرع فى إنجاز ما وعدت ، والوفاء بما عَهِدتُ ، فقد قيل : أنجز حرٌ ما وعد . بكتاب أولفه فى معانيه ، والإبانة عن أسـانيده ومبادئه ، وأخدم كتاب الله تعالى خدمة قلَّ فيها المشاركون ، وكثر لها التاركون ، وابتدأت بالأخذ فى تأليفه ، واستخراجه يوم الأحد غرة شعبان سنة خمس وعشرين وأربعمائة ، بعد الاستخارة والإخلاص فى الدعاء ، ومقارنة الدعاء بالثناء لأن يوفقنى ويسددنى ، ويلهمنى ويرشدنى ، ويُسَهِّل علىّ سبيل ذلك ، وييسر لى المداخل والمسالك ، فإنه لا يوجد ذلك إلاّ بتوفيقه وتيسيره وتطويقه ، وحمل السّائل على تحقيقه ، إذ المرجع فى ذلك إلى بحور الخواطر لا إلى صـدور الدفاتر ، والله ولىُّ التوفيق ، وبيده الخير كله وهو كل شىء قدير .

واعلم : أن لـكل شىء مقدمة وأساساً ، عقلاً كان ذلك أو قياساً ، والأخذ فى الشىء من مقدمته أوعب له برمته من الأخذ بطرف منه أو وسط ، لأن ذلك مما يؤدّى إلى إجحاف أو شطط ، وجعلت لهذا الباب مقدمات ومبانى تتضمن ماقصدت له من المعانى وسميت هـذا الـكتاب : « كتاب المبانى لنظم المعانى » ومقدماتها ومبانيها عشرة فصول . كل فصل منها تتصل به فوائد وأبواب ، ثم يكون الفصل الحادى عشر أصل الـكتاب وعمدة هذا الباب .

الفصل الأول : فى ذكر ترتيب نزول القرآن ، وبيان المـكى والمدنى وما قيل فيه .

الفصل الثانى : فى كيفية جمع المصاحف والسبب المؤدى إلى ذلك ، وما قيل فيه .

الفصل الثالث : فى بيان أن القرآن تكلم الله به على هذا الترتيب الذى هو فى أيدينا اليوم ، لا على ترتيب النزول .

الفصل الرابع : فيما ادعوا على المصحف من الزيادة والنقصان ، والغلط والنسيان.

الفصل الخامس : فى اختلاف نُسَخ المصاحف ، والقول فى كيفيتها .

الفصل السادس : فى اختلاف عدد السور و إحصائها .

الفصل السابع : فى ذكر التفسير والتأويل ، والمحكم والمتشابه وَمَا يحتاج إليه به .

الفصل الثامن : فى ذكر من تحرج عن التفسير ، ومن لم يتحرج وجواز استنباط معانيه على الشرائط اللغوية ، واجتهاد المجتهدين فى أحكام القرآن المختلف فى تأويلها .

الفصل التاسع : فى نزول القرآن على سبعة أحرف ، وما قيل فى معانيه .

الفصل العاشر : فى ذكر تنزيل الكتب ، وأجزاء القرآن ، وعدد الآيات والكلمات والحروف . ولكل فصل من هذه الفصول كتب ومقالات اختصرناها فى كتابنا هذا . ومن أراد الإبلاغ فيها فعليه بكتبنا المؤلفة فى كل باب منها فإن الأئمة الماضين رحمةُ الله عليهم قد بالغوا فيها ونصحُوا ، ودفعوا عن كتاب الله تعالى ونَضَحوا .

أسأل الله جلت عظمته ، وعزت قدرته ، أن يجعل سعيي له ، ويعصمنى من الخطأ والخطل وركوب الباطل فى القول والعمل إنه لطيف خبير .

* * *

الفصل الأول

فى ذكر ترتيب نزول القرآن

اعلم أيدك الله بتوفيقه ، وهداك إلى سبيل الخير فى تحقيقه ، انا إنما ابتدأنا كتابنا هذا بذكر هذا الفصل لئلا يظن الجاهل انا أغفلنا عنه ، أو قصر علمنا منه ، أو انه وقف من ذلك على ما لايقف عليه غيره فتناهى إلى غيره خبره .

أخبرنا الإمام أبو عبد الله محمد بن على رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة منقلبه ومأواه قال : أخبرنا أبو النضر محمد بن على الطالقانىّ قال : حدثنا الشيخ أبو سهل محمد بن محمد بن على الطالقانى الانماري رحمه الله وذكره فى كتاب فيه ما فيه ، وأخبرنى الشيخ أبو القاسم عبد الله بن محمشاذ رضى الله عنه بهراة قال : أجاز لى الشيخ أبو سهل محمد بن محمد بن على الأنماريّ بكتاب فيه مافيه قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن سليم قال : حدثنا صالح بن محمد الترمذى قال : حدثنا محمد بن مروان الكلبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس قال : إن أول شىء نزل بمكة : (س٩٦) إقرأ باسم ربك ، ثم : (س٦٨) نون والقلم ، ثم : (س٩٣) والضحى ، ثم : (س ٧٣) يأيها المزمل ، ثم : (س ٧٤) يأ يها المدثر ، ثم : (س ١١١) تبت يدا أبى لهب ، ثم : (س ٨١) إذا الشمس كورت ، ثم : (س٨٧) سبح اسم ربك ؛ ثم : (س ٩٢) والليل إذا يغشى ، ثم: (س٨٩) والفجر ، ثم : (س ٩٤) ألم نشرح لك صدرك ، ثم : (س ١٠٣) والعصر ، ثم : (س ١٠٨) إنا أعطيناك ، ثم : (س ١٠٢) الهاكم ، ثم : (س ١٠٧) أرأيت الذى ، ثم : (س ١٠٥) ألم تر كيف فعل ، ثم : (س ١٠٩) قل يأيها الكافرون ، ثم (س ١١٢) : قل هو الله أحد ، ثم : (س ٥٣) : والنجم ، ثم : (س ٨٠) عبس وتولى ، ثم (س ٩٧) : إنا أنزلناه ، ثم :(س٢٢) الحج ، ثم : (س٩١) والشمس وضحاها ، ثم : (س ٨٥) والسماء ذات البروج ،ثم (س ٩٥) التين والزيتون ،ثم: (س ١٠٦)

لإيلاف ، ثم (س ١٠١) : القارعة ، ثم : (س ٧٥) لا أقسم بيوم القيامة ، ثم (س١٠٤) : ويل لكل همزة ،ثم (س٧٧) والمرسلات عرفا ، ثم (س٥٠) : ق والقرآن ، ثم (س٩٠) : لا اقسم بهذا البلد ، ثم (س٨٦) : والسماء والطارق ، ثم (س٥٤) اقتربت الساعة ،ثم(س٣٨) : ص والقرآن ، ثم (س٧) الأعراف ، ثم (س ٧٢) : قل أوحى،ثم (س٣٦) : يسن والقرآن ، ثم (س٢٥) : الفرقان ، ثم (س ٣٥) : الملائكة ، ثم (س ١٩) : سورة مريم ، ثم (س ٢٠) : سورة موسى ،ثم (س ٢٦) : الشعراء ، ثم (س ٢٧) : النمل ، ثم (س ٢٨) : القصص ، ثم (س ١٧) : سورة بنى إسرائيل ؛ ثم (س ١٠) : سورة يونس ، ثم (س ١١) : سورة هود ، ثم (س ١٢) سورة يوسف ، ثم (س ١٥) : الحجر ، ثم (س ٦) : الأنعام ؛ ثم (س ٣٧) : الصافات ، ثم (س ٣١) : لقمان ، ثم (س٣٤) : سورة سبأ ، ثم (س٣٩) : الغرف ، يعنى : تنزيل الزمر ، ثم (س ٤٠) : حم المؤمن ، ثم (س ٤١) : حم السجدة ، ثم (س ٤٢) : عسق ، ثم (س ٤٣) : الزخرف ، ثم (س ٤٤) الدخان ، ثم (س ٤٥) : الجاثية ، ثم : (س ٤٦) الأحقاف ، ثم (س ٥١) الذاريات ، ثم (س ٨٨) : هل اتاك ثم (س ١٨) : الكهف ، ثم : (س ١٦) النحل ، ثم (س ٧١) : سورة نوح ، ثم (س ١٤) : إبراهيم ، ثم : (س ٥٤) اقتربت[1] ، ثم (س٢١) : الأنبياء ، ثم (س ٢٣) : المؤمنون ، ثم (س ٣٢) الم السجدة ، ثم (س ١٣) : الرعد ، ثم (س ٥٢) : الطور ، ثم (س ٦٧) : تبارك الملك ، ثم (س ٦٩) : الحاقة ، ثم (س ٧٠) : سأل سائل ، ثم (س ٧٨) : عم يتساءلون ثم (س ٧٩) : سورة النازعات ، ثم (س ٨٢) : إذا السماء انفطرت ، ثم (س ٨٤) : إذا السماء انشقت ، ثم (س ٣٠) : سورة الروم ، ثم (س ٢٩) : العنكبوت . وهن ثلاث وثمانون سورة ممّا نزلت بمكة على النبى صلى الله عليه وسلم .

---

(١) كذلك فى الأصل : والمراد س ٥٥ الرحمن .

قال : وأول شيء نزل بالمدينة : (س ٨٣) ويل للمطففين ، ثم (س ٢) : البقرة ، ثم (س ٨) : الأنفال ، ثم (س ٣) : آل عمران ، ثم : (س ٣٣) ، الأحزاب ، ثم (س ٦٠) : الممتحنة ، ثم (س ٤) : النساء ، ثم (س ٩٩) إذا زلزلت ، ثم (س ٥٧) : الحديد ، ثم (س ٤٧) : سورة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم (س ٧٦) : هل أتى على الإنسان ؛ ثم (س ٦٥) : سورة الطلاق ، ثم : (س ٩٨) سورة لم يكن ، ثم (س ٥٩) : سورة الحشر ، ثم (س ١١٠) : سورة نصر الله ، ثم (س ٦٣) : سورة إذا جاءك المنافقون ، ثم (س ٢٤) : سورة النور ، ثم (س ٥٨) سورة المجادلة ، ثم (س ٤٩) : الحجرات ، ثم (س ٦٦) : سورة لم تحرم ، ثم (س ٦٢) سورة الجمعة ، ثم (س٦٤) . سورة التغابن ، ثم (س ٦١) : سورة الصف ، ثم (س ٤٨) سورة الفتح ، ثم (س ٥) سورة المائدة ، ثم (س ٩) سورة التوبة ، وهى آخر القرآن وسورة المائدة .

وإذا كانت فاتحة سورة نزلت بمكة كتبت بمكة ، ثم يزيد الله فيها مايشاء بالمدينة ، ونزلت بمكة (س ٩ آ ١٢٨) « لقد جاءكم رسُول من أنفسكم » إلى آخر السورة ، ثم (س ٥٦) سورة إذا وقعت ، ثم (س ١٠٠) : والعاديات ضبحاً ، ثم (س ١١٣) سورة الفلق ، ثم (س ١١٤) : قل أعوذ برب الناس ، وذلك ثلاثون سورة نزلت بالمدينة . فجميع ما نزل بمكة والمدينة مائة وثلاث عشرة سورة . منها : ثلاث وثمانون بمكة وثلاثون بالمدينة .

قال : وأخبرنا أبو النضر قال : حدثنا أبو سهل الأنمارىّ قال : حدثنا محمد ابن حاتم الجوزجانى وغيره قالوا : أخبرنا إبراهيم بن يوسف قال : حدثنا عمر ابن هارون ، عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : أول ما نزل بمكة وما أنزل منه بالمدينة الأول فالأول . وكانت إذا نزلت سورة فاتحة الكتاب

بمكة كتبت بمكة : ثم يزيد الله فيها مايشاء بالمدينة فكان أول مانزل بالقرآن[١]
(س ٩٦) : اقرأ باسم ، ثم (س٦٨) : نون والقلم ، ثم (س ٧٣) ، المزمل ،
ثم (س ٧٤) : المدثر ، ثم (س ١١١) تبت ، ثم (س ٨١) : إذا الشمس كورت ،
ثم (س ٨٧) : سبح اسم ربك ، ثم (س ٩٢) : والليل إذا يغشى ، ثم (س ٨٩)
والفجر ، ثم (س ٩٣) : والضحى ، ثم (س ٩٤) : ألم نشرح ، ثم (س ١٠٣) :
والعصر ، ثم (س١٠٠) : والعاديات ، ثم (س ١٠٨) : إنا أعطيناك ، ثم (س
١٠٢) : ألهكم ، ثم (س ١٠٧) : أرأيت ، ثم (س ١٠٩) : الكافرون ، ثم
(س ١٠٥) . ألم تر ، ثم (س ١١٣) : قل أعوذ برب الفلق ، ثم (س ١١٤) :
قل أعوذ برب الناس ، ثم (س ١١٢) : قل هو الله أحد ، ثم (س ٥٣) :
والنجم ، ثم (س ٨٠) : عبس ، ثم (س ٩٧) : إنا أنزلناه ، ثم (س ٩١) :
والشمس ، ثم (س ٨٥) : البروج ، ثم (س ٩٥) : التين ، ثم (س ١٠٦) :
لايلاف ، ثم (س ١٠١) : القارعة ، ثم (س ٧٥) : القيامة ، ثم (س ١٠٤) :
همزة ، ثم (س ٧٧) : والمرسلات ، ثم (س ٥٠) : قاف ، ثم (س ٩٠) :
البلد ، ثم (س ٨٦) : الطارق ، ثم (س ٥٤) : اقتربت الساعة ، ثم (س
٣٨) : ص ، ثم (س ٧) : الأعراف ، ثم (س ٧٢) : قل أوحى ، ثم (س
٣٦) : يسن ، ثم (س ٢٥) : الفرقان ، ثم (س ٣٥) : الملائكة ، ثم (س
١٩) : كهيعص ، ثم (س ٢٠) : طه ، ثم (س ٥٦) : إذا وقعت ، ثم (س
٢٦) : الشعراء ، ثم (س ٢٧) : النمل ، ثم (س ٢٨) : القصص ، ثم (س
١٧) : بنى إسرائيل ، ثم (س ١٠) : يونس ، ثم (س ١١) : هود ، ثم (س
١٢) : يوسف ، ثم (س ١٥) : الحجر ، ثم (س ٦) : الأنعام ، ثم (س
٣٧) : الصافات ، ثم (س ٣١) لقمان ، ثم (س ٣٤) : سبأ ، ثم (س ٣٩) :
الزمر ، ثم (س ٤٠) : حم المؤمن ، ثم (س ٤١) : حم السجدة ، ثم (س٤٢) :

---

(١) كذلك فى الأصل : والمراد من القرآن .

حم عسق ، ثم (س ٤٣) : حم الزخرف ، ثم (س ٤٤) : حم الدخان ، ثم (س ٤٥) : حم الجاثية ، ثم (س ٤٦) : حم الأحقاف ، ثم (س ٥١) : الذاريات ، ثم (س ٨٨) : الغاشية ، ثم (س ١٨) : الكهف ، ثم (س ١٦) : النحل ، ثم (س ٧١) : نوح ، ثم (س ١٤) : إبراهيم ، ثم (س ٢١) : الأنبياء ، ثم (س ٢٣) : المؤمنون ، ثم (س ٣٢) الم تنزيل ، ثم (س ٥٢) : الطور ، ثم (س ٦٧) : الملك ، ثم (س ٦٩) : الحاقة ، ثم (س ٧٠) : ذى المعارج ، ثم (س ٧٨) : عم يتسائلون ، ثم (س ٧٩) : النازعات ، ثم (س ٨٢) : انفطرت ، ثم (س ٨٤) : انشقت ، ثم (س ٣٠) : الروم ، ثم (س ٢٩) . العنكبوت ، ثم : (س ٨٣) المطففين . فهذه ما أنزلت بمكة وهى : خمس وثمانون سورة .

ثم أنزل بالمدينة : (س ٢) : البقرة ؛ ثم (س ٨) : الأنفال ، ثم (س ٣) : آل عمران ، ثم : (س ٣٣) : الأحزاب ، ثم (س ٦٠) : الممتحنة ، ثم (س ٤) : النساء ، ثم (س ٩٩) : إذا زلزلت ، ثم (س ٥٧) : الحديد ، ثم (س ٤٧) : سورة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم (س ١٣) : الرعد ، ثم (س ٥٥) : الرحمن ، ثم (س ٧٦) ، هلى أتى ؛ ثم (س ٦٥) ، الطلاق ؛ ثم (س ٩٨) : لم يكن ، ثم (س ٥٩) : الحشر ، ثم (س ١١٠) : إذا جاء نصر الله ، ثم (س ٢٤) : النور ، ثم (س ٢٢) : الحج ، ثم (س ٦٣) : المنافقون ، ثم (س ٥٨) : المجادلة ، ثم (س ٤٩) : الحجرات ، ثم (س ٦٦) : لم تحرم ؛ ثم (س ٦٢) : الجمعة ، ثم (س ٦٤) : التغابن . فجميع سور القرآن مائة وثلاث عشرة سورة[1] .

قال : وأخبرنا أبو النضر قال : أخبرنا أبو سهل الانمارىّ ، حدثنا محمد بن حاتم وغيره قالوا : أخبرنا إبراهيم بن يوسف قال : حدثنا عمر بن هارون ، عن

(١) ويلاحظ أن السور الآتية غير موجودة فى هذا البيان وهى (س ٦١) : الصف ، (س ٤٨) الفتح ، (س ٩) التوبة ، (س ٥) المائدة فعدد السور فيه مايه وتسع سورة فقط .

عثمان بن عطاء الخراسانى مثله . إلاّ أنه شك فى (س ٩٣) : الضحى . قال لاأدرى أمكية أو مدنية .

قال أبو سهل : فهذه الروايات كما ترى قد اتفقت على أن جميع سور القرآن ماية وثلاث عشرة سورة ، ولم يذكر فى شىء منها فاتحة الكتاب فى العدد ، ولافى أنها مكية أو مدنية ولا متى أُنزلت . غير أن الشيخ أبا محمد عبد الله بن محمد بن سليم جمعه .... ذكر أول ما ابتدأ فى التفسير أنها مكية ، وكذا كان مكتوباً فى طيه .

قال أبو سهل : وأخبرنا غير واحد : منهم إسحاق بن الحسن بن صدقة الجوزجانى ، عن محمد بن الأزهرى ، عن وكيع بن الجراح بن مَليح قال : حدثنى أبى وسفيان عن منصور ومجاهد قال : نزلت فاتحة الكتاب بالمدينة ، وهذا إسناد كما ترى فى صحته وشهرته .

قال أبو سهل : وقد وقع عندى حديث هو أوجب من هذه الأحاديث كلها ، وأقرب إلى المعنى المحتمل أن أول ما نزل من القرآن (س ١) : فاتحة الكتاب ، ثم (س ٩٦) : اقرأ باسم ربك ، وهذا عندى أشبه بالمعنى لجهتين . إحداهما : أنها سميت أم الكتاب لأنها أقدم ما أنزل وأوله كما سميت مكة أم القرى لأنها أقدمها . وسميت فاتحة الكتاب لأن الكتاب فتح بها أى ابتدئ النزول بتلك السورة ، والأخرى أن بها نفتتح القرآءة فى الصلاة ، وتثنى فى كل صلاة ، وليس من السور سورة بتلك المنزلة فيحتمل أن يكون تركهم ذكر نزولها وعدها فى عدد السور لشهرتها ، ولأنها لاتخفى على أحدٍ منزلتها بذلك على ما ذهبنا إليه . وطرح عبد الله بن مسعودٍ إياها من المصحف ، لأن المصحف إنما كتب وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان ، فلمّا لم تخف عليه فاتحة الكتاب طرحها من المصحف .

قال الشيخ أبو سهل : حدثنا أبو طلحة سريح بن عبد الكريم التميمىّ ، ومحبَّر بن محمد ، وأبو يعقوب يوسف بن على ، ومحمد بن فراس الطالقانيون قالوا : حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب القرشى

قال : حدثنا سليمان بن حرب المكى قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن على بن زيد ابن جدعان ، عن سعيد بن المسيب ، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن ثواب القرآن فاخبرنى بثواب كل سُورةٍ سُورةٍ على نحو ما أنزلت من السماء و بأن أول ما أُنزل عليه بمكة فاتحة الكتاب ، ثم (س ٩٦) : اقرأ باسم ربك ، ثم (س٦٨) : نون والقلم ، ثم (س ٧٤) : يا أيها المدثر ، ثم (س ٧٣) : يا أيها المزمل ، ثم (س٨١) : إذا الشمس ، ثم (س٨٧) : سبح اُسم ربك ، ثم (س٩٢) : والليل ، ثم (س ٨٩) : والفجر، ثم (س ٩٣) : والضحى ، ثم (س ٩٤) : ألم نشرح ، ثم (س ١٠٣) : والعصر ، ثم (س ١٠٠) : والعاديات ، ثم (س ١٠٨) : الكوثر ، ثم (س ١٠٢) : ألهكُم ، ثم (س١٠٧) : أرأيت ، ثم (س ١٠٩) : الكافرون ، ثم (س١٠٥) : الم ، ثم (س ١١٣) : الفلق ، ثم (س ١١٤) : الناس ، ثم (س١١٢) : الإخلاص ، ثم (س ٨٠) : عبس ، ثم (س٩٧) : إنا أنزلناه ، ثم (س٩١) : والشمس ، ثم (س٨٥) : البروج ، ثم (س٩٥) : والتين ، ثم (س ١٠٦) : لإيلاف ، ثم (س١٠١) : القارعة ، ثم (س٧٥) : القيامة ، ثم (س ١٠٤) : همزة ، ثم (س ٧٧) : المرسلات ، ثم (س ٥٠) : قاف ، ثم (س٩٠) : البلد ، ثم (س ٨٦) : الطارق ، ثم (س ٥٤) : الساعة ، ثم (س ٣٨) : ص ، ثم (س٧) : المص ، ثم (س ٧٢) : قل أوحى ، ثم (س ٣٦) : يسن ، ثم (س ٢٥) : الفرقان ؛ ثم (س ٣٥) : الملائكة ، ثم (س١٩) : كهيعص ، ثم (س٢٠) : طه ، ثم (س٥٦) : الواقعة ، ثم (س ٢٦) : الشعراء ، ثم (س٢٧) : النمل ، ثم (س٢٨) : القصص ، ثم (س ١٧) : سبحان ، ثم (س١٠) : يونس ، ثم (س ١١) . هود ، ثم (س١٢) : يوسف ، ثم (س١٥) : الحجر ، ثم (س٦) : الأنعام ، ثم (س ٣٧) : الصافات ، ثم (س٣١) : لقمان ، ثم (س ٣٤) : سبأ ، ثم (س ٣٩) : الزمر ، ثم :

الحواميات (س ٤٠ إلى س٤٦) يتبع بعضها بعضا ، ثم (س٥١) : والذاريات ، ثم (س ٨٨) : الغاشية ، ثم (س١٨) : الكهف ، ثم (س ١٦) : النحل ، ثم (س ٧١) : إنا أرسلنا ، ثم (س ١٤) : إبراهيم ، ثم (س ٢١) : الأنبياء ، ثم (س ٢٣) : المؤمنون ، ثم (س ٣٢) : الم السجدة ، ثم (س٥٢) : والطور ، ثم (س ٦٧) : الملك ، ثم (س ٦٩) : ألحاقة ، ثم (س ٧٠) : سأل سائل ، ثم (س ٧٨) : عم يتساءلون ، ثم (س ٧٩) : النازعات ، ثم (س ٨٢) : انفطرت ، ثم (س ٣٠) : الروم ، ثم (س ٢٩) : العنكبوت ، ثم (س ٨٣) : المطففين ، ثم (س ٨٤) : انشقت .

وما أُنزل بالمدينة أول سورة (س ٢) : البقرة ، ثم (س ٨) : الأنفال ، ثم (س ٣) : آل عمران ، ثم (س ٣٣) : الأحزاب ، ثم (س ٦٠) : الممتحنة ، ثم (س ٤) : النساء ، ثم (س ٩٩) : إذا زلزلت ، ثم (س ٥٧) : الحديد ، ثم (س ٤٧) : سورة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم (س ١٣) : الرعد ، ثم (س ٥٥) : الرحمن ، ثم (س ٧٦) : هل أتى ، ثم (س ٦٥) : الطلاق ، ثم (س ٩٨) : لم يكن ، ثم (س ٥٩) : الحشر ، ثم (س ١١٠) : إذا جاء نصرالله ، ثم (س ٢٤) : النور ، ثم (س ٢٢) الحج ، ثم (س ٦٣) : المنافقون ، ثم (س ٥٨) : المجادلة ، ثم (س ٤٩) : الحجرات ، ثم (س٦٦) : التحريم ، ثم (س ٦٢) : الجمعة ، ثم (س ٦٤) : التغابن ، ثم (س ٤٨) : الفتح ، ثم (س ٥) : المائدة ثم (س ٩) : التوبة ، ثم (س ٥٣) : النجم [١] .

فهذا ما أنزل بالمدينة ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم جميع سور القرآن مائة وأربع عشرةَ سُورة ؛ وآيات القرآن ستة آلاف آية ومائتا آية وست وثلاثون آية . وجميع حروف القرآن ثلاث مائة ألف حرف واحد وعشرون ألف حرفٍ

---

(١) لايوجد فى هذا الجدول س ٦١ الصف ، و س ١١١ المسد .

ومائتان وخمسون حرفاً ، لايرغبُ فى تعلم القرآن إلا السعداء ، ولا يتعهدُ قراءته إلا أولياء الرحمن .

قلت : وأكثر الروايات قد تظاهرت أن (س ٩٦) إقرأ باسم ربك ، أول مانزل من القرآن . وفى بعضها (س ٧٤) يا أيها المدثر ، مع أنه جعَل المعوّذتين مما أنزل بمكة . والمشهور من الروايات أنهما أنزلتا حين سحر لبيدُ بنُ أعصم (١) اليهُودىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة فأخذه عن عائشة ، ولأنه جعل (س٥٣) النجم آخر القرآن نزولاً ، وهى فى مشهور الروايات من أوائل القرآن نزولاً ، فكيف وقد ذكر فيه حديث الغرانيق ، وسجود صناديد قريش ؛ وقد رُوى أنها أول سورة أظهرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، ولأن خطاباتها توافق ابتداء الحال ولأن فيها حديث المعراج موافقاً لسورة سبحان (س ١٧) اللهمّ إلا أن نقول إن ذلك المعراج كان سوى هذا ، ولأنه جعل (س١٠٠) ، والعاديات : مكية . وفى المشهور أنها نزلت فى سريّة (٢) أنفذها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبطأ عليه خبرها فاشتغل قلبه . وهذه من أوصاف كونه بالمدينة بلا مرية ، وأما تسمية سورة الحمد بفاتحة الكتاب فلأنه ابتدأ الله سبحانه فى التكليم حين نزل بها جبريل عليه السلام إلى السفرة كما نذكره فى الفصل الثالث إن شاء الله تعالى .

وهذه الأحاديث كلها مكتوبة على وجهها فى كتاب فيه مافيه للشيخ أبى سهل رحمة الله عليه . إلا أنه لم يكن عندى إسنادها ، ووجدت إسنادها فيما أجازنى الشيخان أبو عبد الله محمد بن على ، والشيخ أبو القاسم عبد الله بن محمشاذ ، رويتها عنهما لأكون قد جمعت بين ذكر المشايخ ، فيكون الكتاب مباركاً علىّ وعلى من تخلف إلىّ ، فعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ، جعلنا الله ممن يقتدى بإيمان الصالحين ، وجمع بيننا و بينهم فى أعلى علّيين إنه أرحم الراحمين .

---

(١) انظر سيرة رسول الله لابن هشام ص ٣٥٢ (Ed. Wuestenfeld) ، وأسباب النزول للواحدى ص ٣٤٦

(٢) انظر أسباب النزول للواحدى ص ٣٤١

الفصل الثاني

في كَيفية جمع المصاحف ، والسبب المُؤَدّى إلى تأليفها

ثم بعد أن ذكرنا ترتيب نزول القرآن ، و بينّا السور المكية من المدنية مع اختلاف الروايات فيها ، والله أعلم بحقيقة الأمر فيه ، فعلينا[1] أن نذكر السبب الذى حملهم على تأليف المصاحف ، ومن الذى تولى ذلك لأكون قد استوفيت حظه من الكلام ، وقطعت بذكرها مواد الخصام .

ذكر الشيخ أبو سهل الانمارى رحمه الله فى كتابه . وأخبرنا الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن علىّ رضى الله عنه قال : حدثنا أبو الحسن على بن عبد الرحمن بن أبى السّرى البكّائى بالكوفة قال : حدثنى الحسن بن الطيب بن حمزة الشجاعى قال : حدثنا جمعة بن عبد الله أبو بكر السّلمى البلخى قال : حدثنا إبراهيم بن سعد اُبن سعد الزهرى ، قال : حدثنا مسلم بن شهاب الزهرى ، عن عبيد بن السّباق ، عن زيد بن ثابت قال : وأخبرنا منصور بن العباس ، قال : حدثنا الحسن بن سفيان قال : حدثنا سويد بن سعيد الانبارى قال : حدثنا إبراهيم بن سعد قال : حدثنا ابن شهاب ، عن عبيد بن السباق قال : وأخبرنا أبو على أحمد بن محمد بن يحيى السجستانى قال: حدثنا محمد بن حامد بن هارون قال: حدثنا على بن عبد العزيز قال : حدثنا أبو مُية قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن إبراهيم بن سعد الزهرى ، عن عبيد بن السّبّاق أن زيد بن ثابت حدثه قال : قال أرسل إلىّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة و إذا عنده عمر فقال أبو بكر : إن عمر أتانى فقال إن القتل قد استحر بقراء القرآن يوم اليمامة ، و إنى أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء فى المواطن كلها ، فيذهب من القرآن كثير ، و إنى أرى أن تأمر بجمع القرآن . قال :

---

(١) فى الأصل : فبينا

فقلت له : كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال لى عمر : هو والله خير . فلم يزل عمر يراجعنى فى ذلك حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر عمر . فرأيت فى ذلك الذى رأى . قال : قال زيد : فقال أبو بكر : إنك رجل شابّ عاقل لا نتهمك، قد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه . قال : فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علىّ مما أمرنى به من جمع القرآن . قال : قلت كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر ، قال: فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسف واللخَاف ، ومن صدور الرجال ، فوجدنا آخر سورة براءة مع خزيمة بن ثابت (س ٩ : آ ١٢٨ ، ١٢٩) « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ » حتى ختم السورة هكذا .

قال أبو علىّ : وفى رواية منصور قال : وجدت مع خزيمة أو أبى خزيمة الشك من إبراهيم آية قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها فى التوبة (س ٩) « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ » الآية . فكتبتها . وقال ابن أبى السرىّ فى حديثه حتى وَجَدت آخر سورة التوبة مع خزيمة أو أبى خزيمة لم أجدها مع أحدٍ غيره « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ » حتى ختم براءة ، ثم اتفقوا .

قال : كانت الصحف عند أبى بكر حتى مات ، ثم كانت عند عمر حتى مات ، ثم كانت عند حفصة بنت عمر . قال إبراهيم : فحدثنى ابن شهاب ، عن أنس بن مالك أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان بن عفان ، وكان يغازى أهل الشام معَ أهل العراق مع فتح أرمينية وأذربيجان فأفزعه اختلافهم فى القراءة . قال يا أمير المؤمنين : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب كما اختلف اليهود والنصارى . فبعث عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخهَا فى المصاحف

ثم نردها عليك . فأرسلتها إليه فأمر عثمانُ زَيد بنَ ثابت ، وعبد الله بنَ الزُبَيْر ، وسَعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحـارث بن هشام أن ينسخوا الصحف فى المصاحف .

وهذه رواية منصور وأبى علىّ ، ولم يذكر ابن أبى السَّرّى عبد الرحمن بن الحارث . ثم اتفقوا وقال لهم ما اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فإن القرآن نزل بلسانهم . قال ففعلوا ذلك حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف بعث عثمان إلى كل أفق مصحفاً من تلك المصاحف التى نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق . وقال أبو على : أن يخرّق أو يحرّق ، ثم قالا فى حديثهما يمحى أو يحرق ، هـذا لفظ منصور وقد انتهى حديثه وقال الاحراق . . . سوى ذلك . من القراءة فى كل صحيفة أو مصحف .

قال ابنُ شهابٍ : فأخبرنى خارجة بن زيد أنه سمع أباه زيد بن ثابتٍ يقول : فقدت آية من سورة الأحزاب قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسـلم يقرؤها (س ٣٣ آ ٢٣) « مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَاعَاهَدُوا اُللّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تبْدِيلاً » فالتمستها فوجدتها مع خزيمة بن ثابت فألحقتُها فى سورتها فى المصحف . هذا لفظ ابن أبى السرى ، وقال أبو على فى حديثه : فوجدتها مع خزيمة أو أبى خزيمة فألحقتها فى سورتها .

قال ابن شهاب : واختلفوا يومئذ فقال النفر القرشيون : التابوت ، وقال زيد : التابوه . فرفع اختلافهم إلى عثمان فقال : اكتبوه التابوت فإنه بلسان قريش . هذا لفظ أبى على وقد انتهى حديثه .

وقال ابن أبى السرى ، عن ابن شهاب : واختلفوا يومئذ فى التابوت فقال زيد : التابوه ، وقال ابن الزبير ، وسعيد بن العاص : التابوت . فرفعوا اختلافهم إلى عثمان فقال : اكتبوا التابوت فإنه بلسان قريش .

قال ابن شهاب : فأخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبدالله بن مسعود قال : يامعشر المسلمين أُعزل عن كتابة المصحف وَيوَلاهَا رجلٌ ، والله لقد أسْلمتُ وإنه لفى صُلْب رجل كافر . يريد زيد بن ثابت . قال : فلذلك قال ابن مسعود : ياأهل الكوفة ، أو يا أهل العراق : اكتبوا المصاحف وغُلّوهاَ فإن الله تبارك وتعالى قال(س٣ آ ١٦١) « وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غلَّ يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ » فالْقُوا الله بالمصاحف .

قال ابن شهاب : فبلغنى أنه كره ذلك من مقالة ابن مسعود رجالٌ من أفاضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى لفظ الشيخ أبى سهل الأنماری رحمه الله حدثنا أبو يعقوب يوسف ابن موسى قال: حدثنا محمد بن يحيى القطعىّ ، قال : حدثنا عبيد بن عقيل ، قال : حدثنا خارجة بن مصعب، عن عمارة بن غزيَّة ، عن الزهرى قال : حدثنى خارجة ابن زيد بن ثابت ، عن أبيه قال : جاء عمر بن الخطاب إلى أبى بكر فقال : يا خليفة رسول الله : إن الناس يوم اليمامة تنازَعُوا فى الشهادة وتهافتوا فيها تهافُتَ الفراش فى النار ، وإنى خشيت أن يهلك القرآن وهلاكه بذهاب حملته ، وإنى أرى لك أن تكتبه فى صحيفة واحدة . فقال أبو بكر : أأَصنع خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وأخاف مالم يخف رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فترادَّا القول بينهما حتى انقطع عمر من مجلسه . فجلس مُحزئِلاًّ يعنى منقبضاً . قال زيد : وأرسل إلىَّ فجئت فجلست بين يديه فقال لى ، وأشار إلى عمر كالبا كى : إنَّ هَذا أرادَنى أَنَ أجمع القرآن . فأبيت عليه وقلت أأصنع خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلتُ إليك فإن جامعتنى على أمرى لم أتابعه ، وإن أنت جامعته على رأيك اتبعتك ياعمر ماتقول ؟ قال عمر أرى أن تجمعَه فإنما قصدُك منه خير ، وإنى خشيت إن لقى المسلمون مثلها أن تذهب حملة القرآن .

وذهابه بذهاب حملته . قال أبو بكر : فما ترى يا زيد ؟ . قال زيد : كأنّ رأيي مثل رأيك ، وأَرَى عمرَ يقول : إنما قصدك منها خير . قال : فأما إذا تابعته فإنك كنت كاتب الوحى وأمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت عندنا أمينٌ فقد أمرتك أن تكتبه ، وسأجعل معك رَجُلاً : إبان[1] بن سعيد بن العاص الأموى الأكبر فإنه فتى من قريش فصيح . فقال : وأظنه قال هو من أفصح قريش ، وإنما أنزل القرآن بلغة قريش فابتدئه على بركة الله ، فإن أشكل عليكما شيء فارفعاه إلىّ لأكون معكما فيه . ثم أرسل إلى من كان عنده من القرآن شيء فجمعته .

وكان عند عمر من ذلك حظ كبير لم يكن عند أحد مثله . وكان القرآن إنما هو فى الأكتاف ، والسعف ، والألواح ، وقطع الأدُم ، قال : فكتبناه فما اختلفنا فى جمعه إلاَّ فى حرف واحد . قلت (س ٢ آ ٢٤٨) « أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوهُ فيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُم » ، وكانت لغة قريش التابوت ، ولغة الأنصار التابوه فقال إبان ابن سعيد : « أَنْ يأْتِيَكُم التَّابُوتُ » قال : فارتفعنا إلى أبى بكر فقصصنا عليه . فقال أبو بكر : أنفذاه التابوت على بركة الله . قال : وكتبناه أجمع فى صحيفة واحدة قال : فعرضتُ عَرضةً واحدة فوَجَدْتُنى قد أسقطت منه هذه الآية (س ٣٣ آ ٢٣) « مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ » . فسألت المهاجرين والأنصار ، فلم أجد عند أحد منهم وقد كنت أعرفها ، وقد كان أملاها عليّ رسول الله صلىّ الله عليه وسلَّم ، فكرهت أن أثبتها حتى يشهد معى غيرى ، فأصبتُهَا عند خزيمة بن ثابت الأنصارى الذى أجاز رسول الله صلَّى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين ، فكتبتها . ثم عَرضت عرْضةً أخرى فوجدتنى قد أسقطتُ آيتين وقد عرفتهما (س ٩ آ ١٢٨) « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ » حتى ختم الآيتين * فسألت عنهما المهاجرين والأنصار فلم أجدها

---

(١) فى الأصل أياد . والمراد : إبان . انظر أسد الغابة ١ : ٣٧ .

عند أحد منهم إلاَّ عند خزيمة بن ثابت الذى أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته فكتبتُهما فى آخر براءة . قال : فعَمد أبو بكر على ذلك حتى هلك ، ثم عَمَدَ عُمَر على ذلك حتى هلك ؛ فالتقى أهل الشام وأهل العراق مكفرّ هٰؤُلاء هٰؤُلاء ، وهٰؤلاء هٰؤلاء . ثم أن حذيفة بن اليمان أقبل قافلاً حتى قَدِمَ المدينة فنزل على عثمان قبل أن يأتى رحله فقال : يا أمير المؤمنين : أَدْرِكِ الناس قبل أن يتفرقوا كما تفرقت بنو إسرائيل . قال : ولم ؟ قال : التقى أهل الشام وأهل العراق بمرج أرمينية ، فهؤلاء على حرف ، وهَاؤُلاء على حرف ، يكفر هَاؤُلاء هَاؤُلاء ، وهاؤلاء ، هاؤلاء . قال زيد : فأرسل عثمان إلىَّ فقال : إنى أرى أن أجمع الناس على مُصْحف . فقلت : نِعم مارأيت ياأمير المؤمنين . فأرْسل عثمان إلى من كان عنده شيء من القرآن من المهاجرين والأنصار فجمعه كله فدفعه إلىَّ فكتبت المصحف . وأرسل إلى حفصة ، ابعثى إلىَّ بالرقعة ، فقالت إنى أخاف أن تحبسه عنى . فحلف لها عثمان ليردنَّه عليها . وأخرج المصحف إلى الناس وأحرق مَا سوى ذلك .

قال : وقال الزهرِىّ لمَّا هلكت حفصة أرسل عثمان إلى عبد الله بن عمر بعزيمَة لما أَرْسلَ إليه بالرقعةِ فأخذَها وأحرقها [١] .

قال الشيخ أبو سهل : وأخبرنا محمد بن حاتم ، قال : حدثنا قتيبة بن سعيدٍ ، قال : حدثنا عبد العزيز بن محمد بن عمارةَ بن غَزِيَّة ، عن اُبن شهاب ، عن خارجة اُبن زيد ، عن أبيه ، بطوله بمثل معناه ، إلاَّ أنه قال فى الصحيفة ، فأعطاه إياها فغسلها غَسْلاً .

قلت : فعرفت بمجمُوع ماذكرنا السبب الدَّاعى إلى جمع القرآن ، وتأليفه فى المصحف ، وعَرَفت أن مُصْحَفَ عثمانَ هوَ مصحف أبى بكر والذى يؤيد ماذكرنا حديث ذكره الشيخ أبو سهل قال : حدثنا مُوسى بن عيسى أبو عمران

---

(١) فى الأصل : فأخذه وأحرقه .

الطالقانى قال : حدثنا عيسى بن أحمد العسقلانى قال : حدثنا القاسم بن الحكم قال : حدثنا سفيان ، عن السرىّ ، عن عبدخير قال : سمعت علياً قال : يرحم الله أبا بكر هو أول من جمع بين اللوحين . فإن قيل : وكيف لم يجمعه النبى صلى الله عليه وسلَّم فى المصحف ؟ فلو كان ذلك خيراً لكان هو الأولى بفعله .

قلنا : إنه صلى الله عليه وسَلم لمّا وعده الله عز وجل أن يحفظ القرآن له وعليه ، ويثبته فى قلبه أمن نسيانَه فعمل على أنه يحفظُه على أمته ، ولا يزالُ يقرؤه عليهم ، ويقرئهم إياهُ ، ويعظهم به أحياناً ، ويعرِّفهم الفرائض والأحكام والمناسب[1] من تأويله الذى يعرف بعد تلاوته ، فكان بذلك مستغنياً عن كتب القرآن وجمعه ، وكان المسلمون غانين ، وبينهم النبى صلى الله عليه وسلم ، عن تخليد القرآن فى المصاحف والصحف ، فحين قُبض نبيهم صلى الله عليه وسلم أشفقوا من أن تحدُثَ الحوادث على حُفاظِ القرآن الذين عدتهم يسيرة فيضيع القرآن منهم، أو يفقد من حَملته باستشهاد حَافظيه ، فلما حَصلوا ذلك ، وعملوا عليه لم يجدوا شيئاً هو أحفظ للقرآن من كتبه وتخليده ، فكتبوه وخلَّدوه نظراً لأنفسهم ، ونَصِيحَة لمن ينأى ويَبعُدُ ممن لا يَحْفَظُه حفظهم ، ولا يعرفه معرفتهم ، ولم يمكن الجمع له إلاَّ بعد تشاور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واتفاقهم على أنه طريق الحق ، وباب الصدق ، ومنهاج الاستقامة .

وروى عن حسان الجعفى قال : ذكر السّرِيّ بن إسماعيل ، عن الشَعْبي قال : أبو بكر الصديق أول من جمع المصحف . وعن الجعفى أيضاً حدثنا ابُن عيينة ، عن مجالدٍ ، عن الشعبى ، عن صعصعة بن صُوحانَ قال : أبو بكر الصديق أول من جمع المصحف .

وَقد أخبرناك عن قول أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وهُم

---

(١) فى الأصل ، المنساب .

القدوة الأعلام فى الصدق ، وأئمة فى الحق ، شهد بصدقهم ربّ العالمين ، وأجمع على ذلك طوائف المسلمين ؛ فمن ضعف ثقتهم ، ولم يقتد بروايتهم لم تصح له صلاة، ولا زكاة ، ولا صيامٌ ، ولا فريضة ، ولا نافلة لأن جميع هذا على ما أتوا ونقلوا ، فإذا ألحقتهم تهمة بطلت الصلوات ، والزكوات ، وكل المفترضـاتِ . ثم نقول : لأن النبى صلى الله عليه وسلم أخبر بما يكون فى أمته من بعد موته إلى أن تقوم عليهم الساعة ، فأخبر أن أبا بكر يتولى جمع القرآن وتأليفه ، وقد انبىء عن ارتداد أهل الرّدة ، ومجاهدته فى سبيل الله ، ورده العرب إلى الإسلام ، كما أخبر عن حال أُسامة وجَيشِه ، فأحب صلى الله عليه وسلم أن تـكون تلك الفضيلة لأبى بكر من بعده ، ثم من بعد أبى بكر لعثمان بن عفان رضى الله عنهما ، واستأْثر الله هذه الفضيلة لخلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعده ، لا سيما وقد كان من جملة ماأخذ بمجامع فُؤاده أمر القرآن. لأنه الجامع للحدود والأحكام ، المبين لجميع شرائع الإسلام . و بضياع القرآن ضياع جميعها ، فلم يكن الله ليخرج رسـوله صلى الله عليه وسلم من الدنيا إلا وقد بشره بذلك ، وهذا من لطيف حكمة الله سبحانه فى ذلك . ثم أن القرآن لما كان حجة الله المستقيمة ؛ومحجَّته الواضحة المقيمة ، ولم يجد أعداء الدين فيه مغمزاً ، ولا فى نظمه مطعناً أخذوا يطعنون فى الشيخ عثمان أَمير المؤمنين رضى الله عنه إذ فوض أمر تأليف المصاحف إلى زيد بن ثابت دون أُبىّ . وهو الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم : أقرؤُ كم أُبىّ ودون اُبن مسعود وهو الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم : من سَرَّهُ أن يقرأ القرآن غضاً كما أُنزِل فليقرأ بقراءة اُبن أُم عبدٍ . وقائل هذا، المرقق ، عن صَبوح ، يُعرِّض بأبى بكر وعمر رضى الله عنهما « ويسر حَسْواً فى ارتغاء » [(١)] ، لأن من رتَّبَ و بدأ لهذه المرتبة ورَآه موضعاً لهذه المنزلة ، أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، وقد قال صلى الله

(١) مثل يضرب لمن يظهر أمراً ويريد غيره .

عليه وسلم : اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر ، وَمَا لعثمان فى أمر زيد إلا سُلوكه فى الأمر طريق أَبى بكر ، وعمر رضى الله عنهما ، و بناؤه على مذهبهما : وقد أخبرناك أن أبا بكر رضى الله عنه إنما فوض ذلك الأمر إليه لأنه كان شاباً حافظاً وعى القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا اختلاف بين الناس فيه ، وحفظ القرآن على العَرْضَةَ الأخيرة ، وهى آخر مرة عارض فيها جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم . والعمل على آخر عرضَة . فكان الذى حفظه زيد هو الذى العمل عليه ، ولأنه يلى كتابة الوحى ، و يرى إملاءَ الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك عليه . فكان يشاهد من أحوال القرآن مالا يشاهده غيره ، مع أن الكتابة بابٌ من العلوم جليل الخطر دون سائر العلوم والأثر . ولم يكن اُبن مسعود رضى الله عنه فيها مثله ، ولأنه رضى الله عنه كان جمع القرآن كله دون اُبن مسعود .

وروى عن أبى عبد الرحمن السّلمىّ أنه قرأ عَامَة القرآن على عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وكان عثمان والى أمر الأمة . فقال لى : إنك تشغلنى عن النظر فى أمور الناس فامضى إلى زيد فإنه فارغ لهذا الأمر يجلس فيه للناس واقرأ عليه فإن قرائتى وقراءته واحدة ، ليس بينى و بينه فيها خلاف فمضيت إلى زيد ، فقرأت عليه . فكنت ألقى علياً بن أبى طالب رضى الله عنه فاسأله فيخبرنى و يقول لى : عليك بزيد بن ثابت . فأقمت على زيد ثلاث عشرة سنة اقرأ عليه فيها القرآن فعرفت بذلك فضيلة زيد فى ضبط القرآن ، و إقرار أمير المؤمنين عثمان بن عفان له بذلك .

والذى يدل أيضاً على تصويب الشيخين رضى الله عنهما فى تفويض ذلك الأمر إلى زيدٍ أنه لم يكن يجمع القرآن كله إلا نفر يسير من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم .

وروى عن زائده ، عن الأعمش ، عن أبى ظبيانَ قال : قال لنا اُبن عباس :

أيّ القرآن تعدُّون أوّلاً ؟ قلنا قراءة عبد الله[1] ، وَقراءتنا هى الآخرة . فقال لهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان يعرض عليه جبريل عليه السلام القرآن كل سنة مرَّة فى شهر رمضان وانه عرض عليه فى آخر سنة مرتين فشهِدَ منه عبد الله مانسخ وما بدل .

وعن إبراهيم بن المهاجر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أنه قال : أىّ القراءتين تعدون أوّلاً ؟ قلنا قراءة عبد الله . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يعرض القرآن عليّ جبريل عليه السلام كل سنة مرة وأنه عرَضه ، وليس يقدح مثل هذا الطعن فى كتاب الله عز وجل ، إذ هو منقول تلاوته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنقل المتواتر الذى لا يمكن فيه خلاج ريب ، ولئن ساغ لأحد أن يشك فى أن هذا القرآن بجميع سوره وآياته هو الذى قرأه محمد صلى الله عليه وسلم على أصحابه رضى الله عنهم ، وتحدَّى العرب أن يأتوا بمثله فلم يجيبوه إلى ذلك ، وهو الذى تلقف المهاجرون والأنصار تلاوته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعَلَّموه من بعدهم ، هَلُمَّ جرًّا ، إلى أن اتَّصَل بنا ليسوغن له أن يشك فى أن محمداً قد كان بمكة يدَّعى النبوة ، ثم هَاجر منها إلى المدينة ، وأنه قد كان بينه و بين المشركين وقعة بدرٍ ، ووقعة أُحُد وسائر الوقائع ، ثم توفى بالمدينة وهو المدفون بها . و إذ قد كان مَن أظهر الشك فيما ذكرناه مُكابراً لنفسه إذ لا يمكن الشك فى ذلك لمن خالط الناس فسمِعَ أخبارهم ، كذلك لا يمكن فى أن هذا القرآن هو الذى قرأه محمد صلى الله عليه وسلم على الناس شك البتة ، ولو قد اقتصرنا فى دحر الملحد وَقَذعِه على هذا القدر لقد كان ذلك كافياً . غير أنا يجب أن نَذُبَّ عن هذا الخبر إذ قد يمكن أن يقع فيه ريب ، و إن لم يمكن ذلك فيما قلناه من أن هذا القرآن هو ما بلَّغه محمد صلى الله عليه وسلم عن ربه تبارك وتعالى .

فأقول : إن القرآن قد كان مجموعاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) يعنى عبد الله بن مسعود .

و إنه ما نزلت آية إلا وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يكتب له أن يضعها فى موضع كذا من سورة كذا . وقد تقدمت روايتنا عن أنسٍ فى ذكر من جمع القرآن من الأنصار ، ومن المعلوم الذى لا خباء به أن النبى صلى الله عليه وسلم قد كان يؤم أصحابه فى الصلوات الخمس لا يخل بذلك فى سفر ولا حضرٍ ، فقرأ فى الركعتين من كل صلاة بسورة مع فاتحة الكتاب ، ويسمعهم ذلك فى الغداةِ والعشى . فماذا كان يسمعهم ؟ ليت شعرى ، إن كانت آيات القرآن متفرقة ولم تنظم السور حتى أنهـا نظمت فى أيام أبى بكر أو أيام عثمان ، فبماذا كان يقرع العرب حيث يقول الله تعالى (س ١١ آ ١٣) « فأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ » . وذلك مما نزل بمكة ، ، ثم قال تعالى (س ٢ آ ٢٣) « فأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ » ونزل ذلك بالمدينة ، ولو كان ذلك على ما خيَّلوا لم يكن العبـاس بن عبد المطلب يهرب يوم حنين حيث انهزم القومُ فيقول : يا أصحابَ سورة البقرة ، وسورة آل عمران ، هذا رسُول الله ، يستدعيهم بذلك إليه .

ومن مشاهير مانقلت الرواة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله أبن عمروٍ بن العاص : إقرأ القرآن فى كذا ليلة يدعوه إلى النسير ، وهو يقول : إنى أطيق أكثر من ذلك ، إلى أن قال له : إقرأ القرآن فى ثلاث ليالٍ .

وأخبرنا الشيخ محمد بن على قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن جعفر ، وأبو منصور الحسن بن أحمد قالا : أخبرنا محمد بن أحمد بن حماد المعروف بأُبن ثلة الفقيه قال : حدثنا أبو عيسى الترمذىُّ قال : حدثنا عبيد بن أسباطٍ بن محمدٍ القرشى قال : حدثنى أبى عن مطرفٍ ، عن أبى إسحـاق ، عن أبى بردة ، عن عبد الله بن عمروٍ قال :قلت : يارسول الله ، فى كم اقرأ القرآن ؟ قال : اختمه فى شهرٍ . قلت : إنى أطيق أفضل من ذلك . قال : اختمه فى عشرين . قلت : إنى أطيق أفضل من ذلك . قال : اختمه فى خمس عشرة . قلت : إنى أطيق أفضـل من ذلك . قال : اختمه فى عشرٍ . قلت : إنى أُطيق أفضل من ذلك . قال : اختمه فى خمسٍ قلت : إنى أطيق أفضل من ذلك . فما رخص لى .

وقد روى فى غير هذا الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له أول مرة : اقرأ القرآن فى أربعين ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال له : لم يفقه مَن قرأ القرآن فى أقل من ثلث . قال : وحدثنا أبو بكر محمد بن إسماعيل بن العباس الوراق البغدادىّ إملاء قال : حدثنا يحيى بن محمد الصاعد قال : حدثنا الحسن ابن الحسن المروزىّ بمكة قال : حدثنا عبد الله بن المبارك قال : حدثنا سفيان الثورى ، عن سليمان ، يعنى الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبيدة السلمانىّ ، عن ابن مسعود قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إقرأ علىَّ . فقلت : أعليك اقرأ ، وعليك أُنْزل ؟ . فقال لى : أحب أن اسمعه من غيرى قال : فافتتحتُ سورة النساء فلما بلغت (س ٤ آ ٤١) « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَاؤُلَاءِ شَهِيداً » قال : فرأيت عينيْه تذرفان ، فقال لى : حسبك .

قال الشيخ : وأخبرنا منصور ، عن الحسن بن سفيان ، عن أبى نمير ، عن حفصٍ ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن غبيده ، عن عبد الله ، نحوه .

قال : وحدثنا الأستاذ إبراهيم بن محمد الطرماحى رحمه الله قال : حدثنا أبو الحسن الكارزى قال : حدثنا أبو سعيد محمد بن يوسف الجوسقى قال : حدثنا يحيى بن يحيى قال : حدثنا عَبْثَرُ أبو زُبَيد ، عن العلاء بن المسيب ، عن عمرو ابن مرة ، عن طلحة بن زيد الأنصارى ، عن حُذيفة قال : قامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من رمضان فى حجرة من جرائد النخل فَانضَّ عليه دَلوًا من ماء ثم افتتح الصلاة قال : الله أكبر ذو الملكوتِ ، وذو الجبروت ، والكبرياء ، والعظمة ، ثم افتتح البقرة . فقلت فى نفسى يقرأ المآية ثم يركع ، فجاوز . فقلت فى نفسى يقسمها بين الركعتين ، فجاوز . فقلت يختمها ثم يركع ، فختمها ثم أخذ فى آل عمران فختمها ثم ركع فقال : سبحان ربى العظيم ، يرددها فى ركوعه نحواً من قيامه ؛ ثم رفع رأسه فقال : سمع الله لمن حمده ، اللهم ربنا لك الحمد ، يرددهن نحواً من قيامه . ثم سجدَ فقال : سبحان ربى الأعلى ، يرددهن نحواً من قيامه . ثم جلس كذلك ،

ثم قام فصلى الأربع ركعات حتى جاء بلال إلى الغداة . وليس يمكن الاتيان على ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم انه قرأ سورة كذا فى صلاة كذا نحو ما روى أبو الأَحْوَص عن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الصبح يوم الجمعة (س ٣٢) : الم تنزيل ، و (س ٧٦) هل أتى على الإنسان .

وروى أن عمر خرج يوم عيد فقال : يا أبا واقد : ما كان النبىُّ صلى الله عليه وسلم يقرأ فى هذا اليوم ؟ [قال :] (س ٥٠) قاف و (س ٥٤) اقتربت .

وعن النعمان بن بشير أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى العيدين والجمعة (س ٨٧) سبح اسم ربك الأعلى ، و (س ٨٨) هل أتاك حديث الغاشية ، فإذا اجتمع العيدان فى يوم قرأ بهما .

وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ (س ٣٨) ص ، فسجد فيها . وعن قتادة ، عن أنس قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : إن لكل شىء قلباً وقلب القرآن (س ٣٦) يسن ، ومن قرأ يسن كتب له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات .

وعن أبى صالح ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكل شىء سنام وإن سنام القرآن سورة البقرة (س ٢) وفيها آية هى سيدة آى القرآن وهى آية الكرسىّ (س ٢ آ ٢٥٥) .

وعن أبى سلمة ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . من قرأ (س ٤٤) حم الدخان ، فى ليلة أصبح يستغفر له ألف ملك .

وعن أبى الزبير ، عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلّم كان لاينام حتى يقرأ (س ٣٢) الم تنزيل ، و(س ٦٧) تبارك الذى بيده الملك .

وعن البراء بن عازب قال : كان رجل يقرأ سورة الكهف (س ١٨) ، وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين فتغشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو وجعل

فرســه ينفر فلما أصبح أتى النبى صلى الله عليه وسـلم فذكر له ذلك فقال : تلك السكينة نزلت للقرآن .

وعن أسيد بن حضير أنه قرأ من الليل سورة البقرة (س ٢) فإذا هو مثلُ الظُلَة فيها أمثال المصابيح عرج إلى السَّماء حتى مر بها فلما أصبح حدث النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : تلك الملائـكة أتت لصوتك .

وقد ذكرتُ حَديث اُبن مسعود انه قال : لقد اقرأنى رسـول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا وسبعين سورة من فمه إلى فمى ، وإن زيداً لغلام فى الـكتاب . أخبرنا به منصور قال : حدثنا الحسن بن سفيان قال : حدثنا أبو الشعثاء قال : حدثنا يحيى بن آدم قال : حدثنا مولك ، عن الأعمش ، عن أبى وائل ، عن عبد الله بذلك .

قال : وأخبرنا منصور بن العباس ، قال : حدثنا الحسن بن سفيان قال : حدثنا أبو عمار الحسين بن حارث قال : حدثنا على بن الحسين قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنى منصور ، عن سفيان قال : بينما نحن جلوس عند عبد الله إذ جاء نهيك اُبن سنان فقال : ياأباعبد الرحمن كيف تقرأ هذا الحرف أياء أم ألف ؟(س ٤٧ آ ١٥) « مِنْ مَاءٍ غَيرِ آسِنٍ » أو غَيْرِ يَاسِنٍ ؟ فقال : أو كل القرآن قد أحصيت غير هذا ؟ قال : إنى لأقرأ المفصل فى ركعة . قال: فغضب ثم قال : أهَذًّا كهَذِّ الشعر. لقد علمت النظائر التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤهن كل سورتين فى كل ركعةٍ (س ٥٥) الرحمن ، و (س ٥٣) النجم ، و (س ٥١) الذاريات ، و (س ٥٢) الطور ، و (س ٥٤) اقتربت الساعة ، و (س ٦٩) الحـاقة ، و (س ٥٦) الواقعـة ، و (س ٦٨) نون ، [و] (س ٧٩) النـازعات ، و (س ٧٠) سأل سائل ، و (س ٧٤) المدثر ، و (س ٧٣) المزّمل ، و (س ٨٣) المطففين ، و (س ٨٠) عبس ، و (س ٧٦) هل أتى على الإنسان ، و (س ٧٥) لا أقسم بيوم القيامة ، و (س ٧٧) المرسلات ، و (س ٧٨) عم يتساءلون ،

و (س ٨١) إذا الشمس كورت ، و (س ٤٤) حمٓ الدخان .

قال ولم تذكر هذه الأخبار استناداً إليها فى أن هذه السور قد كانت معروفة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهورة فى أصحابه ، إذ اليقين بذلك أقوى وءاكد من أن نحتاج فيه إلى نقل الأخبار بأسانيدها ، بل هو الأمر الظاهر المشهور والمنقول على سبيل التواتر الممتنع من أن يعتوره شك أو يخالج[1] فيه ريب . لكنا ذكرنا هذه الأحاديث عروضاً لما عسى يتسلى به الملحد من بعض ماتقدمت روايتنا له فى حديث الزهرى عن عبيد بن السَّباق ، والأمر فى ذلك على ما وصفناه من شأن السور ومعرفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بها وقراءتهم لها فى صلاتهم ، وقيامهم بها طول لياليهم على ماأخبر الله عز وجل فى قوله (س٣٢ آ ١٦) « تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ » . وقوله تعالى (س ٥١ آ ١٧) « كَانُوا قَلِيلاً مِنَ ٱللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ » . وقوله تعالى (س ١٧ آ ٧٩) « وَمِنَ ٱللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ » . وليس يمكن ذلك إلا بأن تكون السور معروفة منظومة ممتنعة من أسباب الريب ودواعى الشك ، على ماقال الله تعالى (س ٢ آ ٢) « الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ » .

ومن المشهور الذى لا يجهل أنَّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه أقام من صلّى التراويح بالناس فى ليالى رمضان وأمره أن يقرأ فى الركعة الواحدة نحواً من عشرين آية فكان يحيى القرآن فى الشهر مرتين . ومعلوم أن ذلك لم يكن من المصحف الذى كتبه زيد ، لأن المصاحف لم تنسخ منه حتى كان فى خلافة عثمان فانتسخت المصاحف حينئذ والناس قبل ذلك كانوا يقرءون القرآن مما حفظوه .

قال : فإن قيل قدعرفتَ ماقد سردتموه من قولكم إنَّ القرآن قد كان منظوماً مجموعاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما قولكم فى الحديث الذى

---

(١) كذلك فى الأصل : والأفصح يخالجه

قدَّمتم روايته عن الزهرىّ عن عبيد بن السّبّاق فى جمع القرآن أيام أبى بكر ثم أيام عثمان .

قيل له : الوجه فى ذلك عندنا أن القرآن قد كان بجملته معلوماً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت السور معدودة لا يريبُ فيها أحد منهم . غير أنهم لم يكونوا قد جمعوها فيما بين الدَّفتين ، ولم يلزموا القراء توالى سورها ؛ فكان الواحد منهم يقرأ سورة البقرة (س ٢) ، ثم يقرأ النساء (س ٤) أو الأعراف (س ٧) أو نحو ذلك من غير ولاء للسُّوَر بفروض توقف عليه . وذلك أن الواحد منهم إذا حفظ سورة أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كتبها ثم خرج فى سرية فنزل فى وقت تغيبه سور ، فإنه كان إذا رجع فَأَخذ فى حفظ ماينزل بعد رجوعه وكتابته و يتبع مافاته على حسب ما يتسهل له ، فيقع فيما يكتبه تقديم وتأخير من هذا الوجه . وقد كان منهم من يعتمد على حفظه فلا يكتب ، على ما كان من عادة العرب فى حفظها أنسابها وأشعار شعرائها من غير كتابة . ومنهم: من كان يكتبها فى مواضع مختلفة من قرطاس أو عَسِيب أو لِخاف على ما روى فى الحديث ثقة منهم بما كانوا يعهدونه من جدّ المسلمين فى حفظ القرآن، وشدة تعهدهم له . فلا يرون أكثرهم حاجة إلى مصحف ينظر فيه . فلما أن مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبيله وجند المهاجرون والأنصار أجناداً فتفرقوا فى أقطار الدنيا ، واستحرَّ القتل فى بعضهم على ما روى فى الحديث ، خيف حينئذٍ أنه يتطرق إليه ضياع ، فأمر أبو بكر رضى الله عنه بجمع السور بين الدَّفتين على الوِلاء الذى كان يحفظه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذى حفظه أىّ فى العرضتين الأخيرتين . وكان يحفظه زيد وغيره من المهاجرين والأنصار الذين كانوا أحدث عهداً بأخذ القرآن وحفظه ، فكتبوا المصحف حينئذ وليس يقدحُ فى الثقة بالقرآن أن كانت السور متفرقة على غير ولاء بعد أن كانت معروفة عند عامتهم ، محفوظة عن أن يزاد فيها أو ينقص . كما أنه ليس يقدح فى قصائد زُهير ، والأعشى

وغيرهما من الشعراء أن تكون قصائدهم متفرقة ، ثم تجمع فى دفتين فتقدم قصيدة وتؤخر أخرى . ألا ترى أن قارئاً لو ابتدأ بسورة الأنعام (س ٦) فقرأها ، ثم قرأ بعدها سورة الكهف (س ١٨) ، ثم سورة البقرة (س ٢) . كذلك يفرق فى القراءة بين السور ،لم يكن عليه حرج فى ذلك ، أو لا ترى أن المصلي لا يلزم فى صلاته أن يوالى بين السورتين يقرؤهما فى الركعتين على ماهو فى المصحف ؟ لكنه إن قرأ فى الركعة الأولى من أول المفصّل ، وفى الثانية من آخره لم يتوجه إليه عتب . فعلى هذه السبيل كانت السور تقرأ على غير ولاء ، وهى منظومة الآيات ، مصونة عن الزيادة والنقصان ، والتبديل والتحريف . ثم أنها كتبت فى عَهْد أبى بكر رضى الله عنه على الولاء . و يدل على ماقلناه ، أن المصحف الذى ينسب إلى علي ، والذى ينسب إلى عبد الله[1] ، لن يوجد فى شيء منهما خلاف على المصحف الذى هو بين أظهرنا إلاّ فى ترتيب السور أنفسها والآيات . فأنها هذه الآيات التى نقرؤها بكلماتها وحروفها إلا أحرفاً لا تكاد تختلف باختلافها المعانى بمنزلة ما ذكر من مصحف عبد الله : (س ٢ آ ٢) « الٓمٓ تَنْزِيلُ ٱلْكِتَابِ » بدل « ذَٰلِكَ ٱلْكِتَابُ » من فاتحة سورة البقرة . وفيه (س ١٧ آ ٢٣) « وَوَصَّى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إلاّ إياهُ » بدل « وَقَضَى رَبُّكَ » وفيه : (س ٧ آ ١٧٠) « وَٱلَّذِينَ مَسَّكُوا ٱلْكِتَابَ » بدلَ « يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَابِ » وفيه : (س ١٠٩ آ ١) « قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا لا أَعْبُدُ مَاتَعْبُدُونَ » بدلَ « قُلْ يأَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ »[2] . و إنما اختلف ذلك فى العرضين على ماسنذكره إن شاء الله تعالى .

قال : وأخبرنا أبو على قال : وحدثنا أبو الحسين محمد بن حامد قال : حدثنا عبد العزيز . قال : حدثنا أبو عبيدٍ قال : حدثنا حجاج ، عن ابْن جريج قال : أخبرنى يوسف بن ماهك قال : إنى لعند عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها إذ جاء

---

(١) يعنى عبد الله بن مسعود

(٢) انظر Materials ص ٢٥ ، ٥٤ ، ١٣٣ ، ١١٢ .

أعرابى فقال : يا أم المؤمنين ، أرينى مصحفك . قالت : لم ؟ قال : لعلِّى أولفُ القرآن عليه فإنا نقرؤه غير مؤلف . قالت : وما يضرك أيَّه قرأت قبل ؟ إنما أُنزل أولَ ما أُنزل من القرآن سور المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا أناب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شىء لاتشربوا الخمرلقالوا :لاندع الخمر ، ولو نزل لا تزنوا لقالوا : لا ندع الزنا ، ولقد نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وإنى لجارته بمكة ألعب (س ٥٤ آ ٤٦) « وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ » ، وما نزلت سورة البقرة (س ٢) إلاّ وأنا عنده . قال فأخرج المصحف فأملَيْتُ عليه السور . قال أبو على : هذا حديث اُبن حامد .

وفى حديث إسحاق . ولو نزل لا تُرْبُوا لقالوا : لا ندع الرِّبا ، بالراء والباء . وفى إسناده أيضاً بين ابن جريج ويوسف بن مَاهَك عطاء . أولا ترى أنه اكتفى بإملاء السور عليه إذ لم يكن ماعنده وما فى مصحف عائشة خلاف إلا فى توالى السور ، وقد قالت له عائشة : وما يضرك أيَّه قرأت قبل ؟ ثم أخبرت أن نزول القرآن قد كان على ماهو أوفق لمصَالح أُولئك القوم الذين نزل فيهم ، ثم كان تأليفه على ماهو أوفق لمن بعدهم ممن مرنت نفوسهم على شريعة الإسلام ، وكان ذلك بما أوحى الله عز وجل إلى نبيه صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل عليه السلام ، ويدل على ماقلناه أيضاً أنهلولاالسور والآيات قد كانت معروفة عند عامة الصحابة رضى الله عنهم لقد كان يجب أن يقع بين النفر الذين كتبوا المصحف اختلاف فاحش فى نظمها ، وكذلك فى آيات منها أو فى أكثرها ، ولظهر ترافعهم فى ذلك إلى عثمان كما ترافعوا فى التابوت والتابوه ، ولتكلمت الصحابة فى كثير من الآيات هل هى من القرآن أم لا . ولسنا نجد اختلافاً نقل عنهم فى شىء مما بين الدفتين بتغير كلمة عن مجراها ، أو بنقل آية من موضعها ؛ وإنما اختلفوا فى دعاء القنوت ، ثم لم يثبتوه فى المصحف . وكان أُبىّ بن كعبٍ يظن أن قول النبى صلى الله عليه وسلم : « لوأن لابن آدم واديين من ذهب لتمنى إليهما ثالثاً ، ولا يملأُ جوف ابن

آدم إلاّ التراب ويتوب الله على من تاب [١] » هو من القرآن ، إذ كان قد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قرأها ويذكر أنها مما قال الله عز وجل ، فظن أُبيٌ أنه من القرآن ولم تكتب بعد فى المصحف .

وكان ابن مسعود لم يكتب المعوذتين وفاتحة الكتاب فى مُصْحفه لثقته بأنها لا تُنسى ، وإنما يكتب القرآن ليستذكر بالنظر فيه فحيث لا يخشى النسيان ، ولا يحتاجُ فيه إلى الاستذكار فلا حاجة إلى كتابته .

قال : فإن قيل أو ليس قد روى فى الحديث الذى قدمتموه أن قوله تعالى : (س ٩ آ ١٢٨) « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ » الآيتين ، وقوله تعالى (س ٣٣ آ ٢٣) « مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ » قد كتبوها بشهادة خزيمة أو أبى خزيمة؟

قلنا : بلى . وليس معنى ذلك أنهم أخذوا الآيات منه ، بل أنها قد كانت معروفة عندهم ، ولكنهم لم يجدوها مكتوبة إلاَّ عند هذا الرجل ، فلمَّا وجدوها عندَه كتبوها عنه ، ولو شاؤا لكتبوها عن حفظهم ، أوَ لاَ ترى أنها لولا أنها كانت معروفة عندهم لم يفتقدُوها ، وكيف يفتقدون مالا يعرفون هل هو أصلا ولكن الحافظ للقرآن قد يحتاط فيطلب مصحفاً يكتب منه . مع أن عمر رضى الله عنه قد اشتهر عنه الخبر لشدة إنكاره على من يكتب المصحف عن ظهر قلبه لما اختير الاحتياط ومنع الناس من المساهلة فيه .

ولقد أخبرنا منصور بن العباس قال : أخبرنا الحسن بن سفيان قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، وابن أبى شيبة ، ومحمد بن المثنى قالوا : حدثنا أبُو معاوية قال : حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال : جاء رجل إلى عمر وهو يعرفه ، فقال : جئتك ياأمير المؤمنين من الكوفة وبها رجل يملى المصاحف عن ظهر قلبه فَغَضِبَ ـ زَاد ابن أبى شيبة وابن المثنى ـ وانتفخ حتى كادَ يَمْلأ مابين شعبتى

---

(١) انظر الإتقان للسيوطى ص ٥٢٥

الرَّجل ، قالوا : ثم قال : من هو ويحك ؟ قال : عبد الله بن مسعود . قال : فانطفأ عنه الغضبُ ، قال : ويحك ما بقى من الناس أعلمُ بذلك منه ، وسأُحدثك عن ذلك : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال يَسْمُر عند أبى بكر اللَّيلة ، كذلك فى الأمر من أمر المسلمين ، وأنه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجنا معه ، فإذا رجل قائم يُصَلِي فى المصلَّى ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع قراءته فما كدنا نعرفه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سَرَّه أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أُم عبدٍ . قال : وجلس الرجل يدعو وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سل تعطه . فقلت : لأغدون إليه فلأُبشرنه فغدوتُ لأبشره فوجدتُ أبا بكر قد بشره ، ولاوالله ماسَابقتُه إلى خير قط إلاَّ سبقنى إليه .

قال الشيخ رحمه الله : واستنكار الرجل ذلك من أوكد دَليل على أن العامة فى ذلك الزمان كانت تستنكره ، وكذلك تخصيصه عبد الله بذلك دليل على امتناع سائرهم من مثله . فمن هذا الوجه طلبوا لنسخ الآيتين من يكتبونهما منه ويحتمل أن لم يحفظهما أول الكتاب ، ولكنهم عرفوها حتى أنه لو زيد فيهما حرف أو بدل لأنكروه .

وكذلك تجد أكثر المسلمين من قراء القرآن يعرفون السور والآيات ، حتَّى أنهم لو وجدوا فى المصحف حرفاً زائداً لأنكروه . ولذلك لو بدل حرف من موضعه إلا أن يكون فيما يجرى مجرى التقديم والتأخير ، أو كان بمنزلة قولهم : « عَذابٌ عَظِيمٍ » بَدَلاً مِنْ « عَذَابٍ أَلِيم » ، أو قوله « سَمِيعٌ بَصِير » بدلاً من « عَلِيمٌ حَكِيم » أو نحو ذلك . فإن هذا قد يشتبه على من لا يحفظُ القرآن ظاهراً .

فأما إبدال القرآن بما ليس فيه فليس يخفى على من عرف القرآن وقرأه وإن لم يحفظه عن ظهر قلبه . فلذلك ما كانوا يكتبونه من الرِّقاع واللِّخاف ، ويأخذونه بشهادة رجل أو رجلين وإنما ذلك عرفوه معرفةً لا يعتريهم فيها ريب له لأنهم

استوثقوا فيما ذكرناه من الألفاظ التى تجرى مجرى إبدال تواصل الآياتِ بعضها ببعضٍ على وفاق من المعنى . وكذلك تجد الواحد منا إذا رابه شىء من حروف المصحف سأل عنه واحداً من الحفاظ أو اثنين ، أو نظر فى مصحف أو مصحفين ثم يجزمه على ماثبت عنده ، ولسنا نجد من يرتاب فى كلمة من قصيدة امرئ القيس إنها لعلها من القرآن ، وإنما يقع الارتياب بما يجرى مجرى نقل حرف إلى موضع حرف حيث يتقارب المعنى فيه .

والذى يدل على ما قلناه أيضاً ما حدثنا به أبو منصور الأزهرى إملاء قال : حدثنا محمد بن إسحاق السَّعِدىّ قال : حدثنا يحيى بن الربيع قال : حدثنا سفيان ابن عيينة عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباسٍ قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يخطب على المنبر : إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق ، وأنزل معه الكتاب، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم [1] فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده ، وإنى أخاف والله أن يطول بالناس زمان فيقول قائل : مانجد الرجم فى كتاب الله تعالى فيضلوا لترك فريضة أنزلها الله ، ألا وإن الرجم حق على من زنى إذا أُحصن وقامت البينة ، أو كان الحمل والاعتراف . ثم قد كنا نقرأ « لا ترغبُوا عن آبائكم فإنه كفر بكم ، أو أن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم » [2] .

قال وحَدَّثنا أبو علىّ أحمد بن محمد بن يحيى قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم البُستى قال : حدثنا الليث بن سَعد ، عن يحيى بن سعيد الأنصارىّ ، عن ابن المسيب أن عُمر بن الخطّاب قال : أيها النَّاس : قد سُنَّتْ لكم السنَن ، وتُرِكْتم على الواضحةِ إلاَّ أن تضلوا بالناس يميناً وشمالاً ، وآية الرجم فلا تضلوا

---

(١) انظر الإتقان للسيوطى ص ٥٢٤ - ٥٢٨

(٢) انظر تاريخ الطبرى ١ : ١٨٢١ .

عنها فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجم ورجمنا ، فلا تقولن لا نجد حَدّين في كتاب الله فإنها قد أنزلت وقرأنا « الشيخ والشيخةُ إذا زنيا فارجموهما البتة » ، ولولا أن يقال زاد عمر في كتاب الله لكتبتها بيدى . وَوَجهُ الدلالة من هذا أنهم إذا لم يكتبوا آية الرجم مع شهادة عُمَر بها ومعَ معرفتهم بأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رجَم فإن الرجم من فرائض الله ، ولم يكتبها عمر بيده مَهْما قطع القول بأنها آية أنزلها الله ومعَ أنه أمير المؤمنين فكيف يظن بهم أنهم كتبوا آية في المصحف بشهادة رجل أو رجلين لولا أن الوجه في ذلك ما قلناه ، مع أن مدار حديث جمع القرآن على الزهريّ وليس يعرض خبر الواحد على النقل المشهور المتعارف والذى لا يجهله وليٌّ ولا عدو .

* * *

الفصل الثالث

فى بيان أن القرآن تكلم الله سبحانه به

على هذا الترتيب الذى هو فى أيدينا اليوم لا على ترتيب النزول

وإذ قد بينا كيفية جمع المصاحف والسبب المؤدى إلى تأليفها والردَّ على الطاعن فيها ، فبنا أن نتكلم أن الصحابة رضى الله عنهم لم يقدموا شيئاً أخره الله ، ولا أخروا شيئاً قدمه الله ، وَلم يؤلفوه من ذات أنفسهم بل بتوفيق كان لهم فيه ، وقد تقدَّمَ فى الفصل الثانى بعضُ ذلك إلا أنا لم نبلغ منه موضع الكفاية هناك .

والدليل على أن مابين الدفتين هو القرآن الذى أنزله الله عز وجل على المصطفى صلى الله عليه وسلم . وأنه لا زيادة فيه ولا نقصان منه ، فهو أن المسلمين كافة نقلوا من لدن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا خلفاً عن سلف ، وآخراً عن أول نقلاً مستفيضاً منتشراً متواتراً . إن مابين الدفتين هو جميع ماأراد الله عز وجل بقاءه فى هذه الأمة ، وهو القرآن العظيم الذى جعله الله معجزة لنبيه صلى الله عليه وسلم ، ودلالة على صدقه ، وتثبيت نبوته لا زيادة فيه ولا نقصان منه ، وهم قوم لايجوز عليهم الإجماع على نقلِ ما لا أصل له ، ولا التواطؤ على الإخبارِ عن باطلٍ ، وَلاَ عَلَى كتمان ماشاهدوه لكثرتهم وخروجهم عن الحصر ، وبمثل هذا النظر عرفنا النبوات والشرائع . ولئن جاز لنا الشكُّ فيما نقلوه إلينا من القرآن لكان ذلك مؤدياً إلى الشك فيما نقل إلينا على ألسنتهم من الشرائع والأحكام ، ونعوذ بالله أن يرتاب موحد فى شىء منه .

والذى يؤكد هذا النقل أيضاً إخبار الله عز وجل أنّه تولى حفظه ، وضمن حراسته ، فقال تعالى (س ١٥ آ ٩) : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » . ولا يجوز أن يقع خبر الله بخلاف مخبره ، تعالى عن ذلك علواً

كبيراً . قال عز وجل (س ٤١ آ ٤٢) : « لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ » . وأيضاً فانه وفَّر دواعى هذه الأمة على نقل القرآن إلينا وتولى حِراستَهم ، وَوَفق قُرَّاءهم لحفظه وتلقينه النـاس حتى نقلوا إلينا الهمزة الثقيلة والخفيفة ، وميزوا بين إطالة المشبعةِ واللطيفة ، واستقصوا فى حفظ الاشمام على المعلمين ، ففرقوا بين الاشمام وَروم الحركة ، وهو صفةٌ لبعض الحركات على الحروف ، وغير ذلك من الدقائق التى يطول الـكتاب بذكرها ، فـكيف يجوز أن يُتوهم على من هـذه صفتهم فى التوفّر على حفظ القرآن انهم غفلوا غفلتهم عن سُوَر كثيرة وآياتٍ ذواتِ عددٍ أن تقع إليهم ، وإنّما وقع إلى إمام الرّوافض بنواحى جبال أصفهانَ على حسب مايدَّعُونَه و يتخرصُونَه إن هذا لبعيد مستجهل فى مُسْتَمرّ العادَة جِدًّا .

وأما الدليل على انه فى اللوح المحفوظ على هذا الترتيب الذى فى أيدينا ، وانه تعالى أنزله جملةً إلى السماء الدنيا فى ليلة القدر ، ثم كان يُنزل منه الشىء بعد الشىء على حسب الحاجة إليه ، فهوَ قول الله تعـالى (س ٧٥ آ ١٧ ـ ١٩) : « إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَه ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَه ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بيَانَهُ » . وهذا ادلُ الدليل على أن الله عز وجل تولى تنزيله وَجَمْعَه ونظمه ، وأنزله على المصطفى صلوات الله عليه وسلامه على لسانِ جبريل عليه السلام ، وعصمه من السَّهو ، والخطأ ، والتحريف فيه . وَيَدل عليه حَديثٌ رواه أبو أحمد محمد بن أحمد بن الغطرْيفِ بجرجان قال : إن أبا خليفة الفضل بن الحُباب الجُمحىّ حدثهم قال : حدثنا عثمان بن الهيثم المؤذن قال : حدثنا عوفُ ، يعنى ابن أبى جميلة ، عن يزيد الرّقاشى ، عن ابن عباس ، قال : قلت لعثمان : ما حملـكم على أن قرنتم بين الأنفال (س ٨) و براءة (س ٩) من الميآت ، والأنفال من المثانى فقرنتم بينهما ؟ . فقال عثمان : كان إذا نزلت السورة من القرآن دعَا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض من يكتب لهُ فيقول : ضعها فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا ،

فأنزلت الأنفال بمكة ، و براءة بالمدينة من آخر القرآن ، فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يخبرنا أين نضعُها ، فوجدت قصَّتَها شبيهة بقصة الأنفال فقرنتُ بينهما ولم نكتب بينهما ، سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، فوضعتها فى السّبع الطُوال.

وفى غير هـذه الرواية ، كان إذا نزلت عليه الآية من السورة دَعَا بعض من يكتب له فيقول : ضعها فى موضع كذا وكذا من السورة . وهذا من أوضح الأدلة على أن هذا الترتيب الذى رتبه الله عليه . ولأجله كان صلى الله عليه وسلم يدلهم على موضع السور من القرآن ، والآية من السورة ، ليُكتَبَ و يحفظ على نظمه وترتيبه .

و يدل عليه أيضاً حديث روى عن أبى بكر بن عَيّاش ، عن أبى إسحاق ، عن البراء قال : آخر ما نزل من القرآن (س ٤ آ ١٧٦) « يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْـكَلَالَةِ » . قال أبو بكر بن عياش : وأخطأ أبو إسحاق لأن محمد بن السائب روى عن أبى صالح ، عن ابن عباس قال : آخر ما نزل من القرآن : (س ٢ آ ٢٨١) « وَٱتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إلى اللهِ » الآية . وقال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم : يا محمد ضعها فى رأس ثمانين ومائتين من البقرة .

والذى يؤيد ما ذكرناه : حديث رواه الحسين بن عبد الله بن أيوب المخزومى قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يعلم ختم السورة حتى نزل بسم الله الرحمن الرحيم . وهذا أيضاً من أدل الدليل على أن ترتيب السور التى فى أيدينا هو ما كان عليه فى اللوح المحفوظ .

وتدل عليه أيضاً الأخبار المروية عن النبى صلى الله عليه وسلم فى تسميته سورة : الحمد لله رب العالمين ، فاتحة الـكتاب ، فلولا أنه صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بأن يرتبوا هذا الترتيب عن أمر جبريل عليه السلام ، عن الله عز وجل ، لما كان لتسميته هذه السورة فاتحة الـكتاب معنى ، إذ قد ثبت بالإجماع أن هذه السورة ليست

بفاتحة سور القرآن نزولاً فثبت أنها فاتحته نظماً وترتيباً وتـكلماً .

ويدل عليه أيضاً : إجماع أكثر أهل مكة على التـكبير عقيب كل سورة من سـورة والضحى (س ٩٣) إلى آخر القرآن . ومعلوم أن هذه السور مختلفة النزول . وذلك : أن أول سورة أنزلت (س ٩٦) : « إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ » أو سورة المدثر (س ٧٤) .

ويُرْوى عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : سألت جابر بن عبد الله : أى القرآن نزل أولاً ؟ فقال (س ٧٤) « يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ » . فقلت له : إنهم يزعمون أن أول ما نزل من القرآن (س ٩٦) : « إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ » . فقال جابر : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى القرآن نزل أولاً ؟ فقال : كنتُ أهبط من حراء ، فسمعت صوتاً فنظرت أمامى فلم أر شيئاً ، فالتفت ورائى فلم أر شيئاً ، ونظرت عن يمينى فلم أر شيئاً ، ونظرت عن شمالى فلم أر شيئاً ، فرفعت رأسى فرأيت الملك ، فأتيت خديجة فقلت : دثرونى . دثرونى . فأنزل الله تعالى (٧٤ آ ١) « يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ » فكان أول القرآن نزولا .

وَرُوى عن أبى قرة ، عن أبى رجاء قال : كان أبو موسى يطوف علينا فى هذا المسجد ـ مسجد البصرة ـ فيقعدنا حلقاً ، فيقرئنا القرآن ، وكأنى أنظر إليه بين ثوبين له أبيضين ، وعنه أخذت هذه السورة (س ٩٦) « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى » . وكانت أول سورة أنزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم ، يدل ذلك على أنهم حفظوا القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الترتيب ، وأنهم عدوا من سورة والضحى « س ٩٣ » إلى آخر القرآن على هذا الترتيب الذى فى أيدينا ، وأن آخر القرآن سورتا المعوذتين (س ١١٣ و ١١٤) ، ويدل عليه إجماع المسلمين على جواز قراءة القرآن على اختيار هؤلاء الأئمة السبعة ، وأسانيدهم متصلة لعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأُبى بن كعب على هذا الترتيب الذى فى أيدينا ، فدل على أن

جماعة الصحابة رضى الله عنهم حفظوا القرآن عن النبى صلى الله عليه وسلم على هذا الترتيب الذى فى أيدينا ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم حفظه عن جبريل عليه السلام على هذا الترتيب الذى بأيدينا ، و إنه لم يكن بينهم خلافٌ فى شيء من ذلك ، إذ لو كان بعض الصحابة من هؤلاء الذين ذكرناهم يخالف أصحابه فى ترتيب أو تقديم أو تأخير أو زيادة أو نقصان ، لنقل ذلك إلينا عنه ، وفى ترك النقل بخلاف ماثبت عنهم أدل الدليل على صحة ماذكرناه ، و بالله التوفيق .

وأما الذى يدل على أن القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا فى ليلة القدر ، فهو قول الله تعالى (س ٩٧ آ ١) « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ » . ومعلوم أنه لم ينزله كله إلى الأرض فى ليلة واحدة ، ولكنه إلى السماء الدنيا ، ثم أنزل منه الشيء بعد الشيء كما قال تعالى : (س ١٧ آ ١٠٦) « وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ » وقال عز وجل : (س ٢٥ آ ٣٢) « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً » . فدل على أنه لم ينزله إلى الأرض جملة واحدة ، و إلا لم يكن لقول الكفار هذا جواب . وقد قال عز وجل جواباً لهم : (س ٢٥ آ ٣٢) « كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ، وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً » . أى أنزلناه كذلك ليكون أجدر أن يثبت فى فؤادك ، ويدلك عليه حديث ذكره منصور بن العباس الفقيه ببوسنج أن الحسن بن سفيان أخبرهم قال : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة قال : حدثنا عباد بن العوّام ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : نزل القرآن جملة من السماء العليا إلى السماء الدنيا فى رمضان ، وكان الله تعالى إذا أراد أن يحدث فى الناس شيئاً أحدثه . يعنى ، والله أعلم : أن الله عز وجل كان ينزله على النبى صلى الله عليه وسلم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة عند الحاجة إليها ومعرفة حكمها ، والوقوف على ما أراد الله تعالى من خلقه عند حدوث تلك الحوادث التى كان ينزل عقيبها القرآن .

وأما الدليل على أن معنى جمع أبى بكر الصديق رضى الله عنه القرآن فى

المصحف هو جمعه فى مصحف واحد بعد ما كان مفرقاً فى أيدى الصحابة رضى الله عنهم أجمعين صيانة له ، وأماناً من ذهابه ونسيانه بذهاب أهله .

حدث الزهرى عن عبيد بن السباق أن زيد بن ثابت حَدَّثه قال : أرسل إلىَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة ، وذكر الحديث بتمامه ، وهذا حديث صحيح ذكره البخارى فى جامعه الصحيح، عن موسى بن اسماعيل ، عن إبراهيم بن سعدٍ ، وفيه بيان شاف ، وأن السبب الذى دعا أبا بكر رضى الله عنه إلى جمع القرآن فى المصحف ماذكرناه .وقول زيد بن ثابت : فقدت آخر سورة التوبة (س ٩) ، دليل على أنه كان محفوظاً عندهم عَلَى هذا الترتيب الذى ذكرناه ، ثم الذى يؤكد جميع ماذكرناه أنه على الترتيب الذى فى أيدينا إجماع قراء الأمصار على تلقينه[1] على هذا الترتيب ، وأسانيدهم متصلة بنقل العدل عن العدل إلى النبى صلى الله عليه وسلم . والذى يؤيده أيضاً حديث الزهرى ، عن خارجة ، عن زيد بن ثابت أنه سمع زيد بن ثابت يقول : فقدت آية من سورة الأحزاب (س ٣٣) حين نسخت المصحف ، وقد كنت أسمع النبى صلى الله عليه وسلم يقرؤها . فالتمستها فوجدتها عند خُزيمة بن ثابتٍ الأنصاريّ : (س ٣٣ آ ٢٣) « مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ ... » فألحقتها فى سورتها فى المصحف . وهذا أيضاً حديث صحيح رواه البخارى ، عن موسى بن إسماعيل ، عن إبراهيم ، وفيه أيضاً دليل على ما ذكرناه فى الآية الأخرى ؛ وفيه أيضاً دلالة على أنه كان قبل أن جمعه عثمان فى المصحف على الترتيب الذى فى أيدينا ؛ لأن زيداً ذكر فى الخبر : انى ألحقت قوله تعالى « مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ » فى سورتها فى المصحف .

وروى شَبَابة ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن مُصْعَب بن سعدٍ قال : لما كثر اختلاف الناس فى القرآن قالوا : قراءة ابن مسعود ، وقراءة أُبىّ ، وقراءة سالم مولى أبى حُذيفة ، قال : فجمع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال : إنى رأيت

(١) أضيف فى الأصل : وتلفيقه

أن أكتب مصاحف على حرف زيد بن ثابت ، ثم أبعث بهـا إلى الأمصار .
قالوا : نِعْمَ مارأيت . قال : فأى الناس أعرَبُ ؟ قالوا : سعيد بن العاص . قال : فأى الناس أكتَبُ ؟ قالو : زيد بن ثابت كاتب الوحى . قال : فليُملل سعيدٌ وليكتب زيد بن ثابت . قال : ثم كتب مصاحِف فبعث بها إلى الأمصار . قال : فرأيتُ أصحاب محمدٍ صلى الله عليه وسلم يقولون : أحسن والله عثمان .

وفى هذه الرواية البيانُ الشافى أن عثمان جمع الناس على حرفٍ واحدٍ باتفاق أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، و إجماع منهم ورضاً بما فعله .

وأما المصاحف التى أمر بتحريقها فإنها ، والله أعلم ، كانت على هذا النظم أيضاً ، إلاَّ أنها كانت مختلفة الحروف على حسَب ما كان النبى صلى الله عليه وسلم سوَّغ لهم فى القراءة بالوجوه ، إذا اتفقت فى المعنَى و إن اختلفت فى اللفظ ، ثم بان لنا باتفاقهم على هذا الوجه الواحد أن الإباحة التى كانت فى قراءة القرآن من اختلاف اللفظ بالكلمة إذا اتفق المعنى قد نسخ ، وانه لا تجوز القراءة بما يخالف هذا المصحف المتفق عليه .

وروى عن علقمة بن مرثد ، عن العيزار قال . لما دخل المختار بن أبى عبيدٍ الكوفة كنَّا أيها الحى فيمن تَسَرَّع إليه ؛ فأتانا سُويد بن عطية إلى مسجدنا . فقال : يامعشرِ تِنْعَةَ ، يعنى اسم قبيلة : إن لكم قرابة وجواراً وحقاً ، وأنه قد بلغنى تسرعُكم إلى هذا الرجل ، و إنى محدثكم بما سمعته منه ، كنت أسير بين مكة والمدينة فأحْسَسْتُ قضيباً بين كتفىّ ، فالتفتُ فإذا المختار فقال ياشيخ : ماتقول فى هذا الشيخ ؟ فقلت : أى شيخ ؟ قال : على بن أبى طالِب . قلت : أحبه وأتولاه بسمعى و بصرى ، وقلبى ، ولسانى ، قال : و إنى أبغضه بسمعى و بصرى ، وقلبى . فقال القوم لسُويد : أبيت إلاَّ تثبيطاً عن آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرة لِنَعْثل [1] حرَّاق المصاحف . فقال : أما إذا قلتم حراق المصاحف فوالله لأحدثُكم

(١) وهذا اسم أطلقوه على عثمان للتحقير . ومعناه ضبع .

بحديث سمعته من عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه ـ سمعت علي بن أبى طالب يقول : يا معشر النّاس اتقوا الله عز وجل و إيا كم والغلوّ فى عثمان وقولكم : حرّاق المصاحف ، فوالله ماحرقها إلاّ عَن كلامنا أصحاب محمدٍ صلى الله عليه وسلم . قال : ماترون فى المصاحف ؟ فإن النّاسَ قد اختلفوا فى القراءةِ حتى أن الرّجل يقول للرّجل : قراءتى خيرٌ من قراءتك ، وقراءتى أفضل من قرائتك ، وهذا شبيه بالكفر . قلنا : فما الرأى عندك يا أمير المؤمنين ؟ قال : الرأى عندى أن يجتمع الناس على قراءة فإنكم إذا اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشد اختلافاً ، قلت : الرأى رأيك يا أمير المؤمنين . ووالله لو كُنتُ الوالى وقت عثمان لفعلتُ فى المصاحف مثل الذى فعل عثمان . فقال القوم لسُوَيد : بالله الذى لا إله إلا هو أسمعت هذا من فى علي بن أبى طالب ؟ فقالَ سُوَيد : والله الذى لا إله إلا هو لسمعتُ هذا من على بن أبى طالب . وفى هذا الحديث دليلٌ على تَصْويب عثمان فى تأليفه وتحريقه و إن ذلك كان باتفاق من الصحابة رضى الله عنهم .

فإن قيل : كُيف صح قولكم إن القرآن مرتّبٌ فى اللوح المحفوظ على هذا الترتيب ؟ وإن الصحابة لم ترتبه بأنفسها ؛ وقد انتشرت الأخبار أن أول مانزل على النبى صلى الله عليه وسلم (س ٩٦) « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ » وقوله (س ٧٤) « يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّر » وقالوا : إننا وجدنا مصَاحِفَ عُتقاً مفرقة فى البلاد ، منسوبة إلى عبد الله بن مَسْعُودٍ عَلَى خلاف هذا الترتيب الذى فى أيدينا ، فكيف يجوز مع هذا الخلاف الظاهر أن يدعى أن هذا الترتيب متفق عليه .

قلنا : إنه قد روينا فيما تقدم عن ابن عباس أنه قالَ فى قوله تعالى (س ٩٧ آ ١) « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ » ، يعنى ان الله عز وجل أنزله جملةً إلى السماء الدنيا ، ثم كان ينزل منها نجوماً السورة بعد السورة ، والآية بعد الآية على حسب الحاجة إليه و إلى معرفة أحكامه ، وتعليمه وترتيبه ، وَمعرفة موضع كلماته . وسوره . ومثال هذا فى الشاهد ان تعلم المبتدىء يبتدىء بتلقينهِ من أول

القرآن ، وربما يبتدىء من آخره ؛ وقد يبتدىء من وسطه سُوَرًا متفرقةً من القرآن على حسب رَغبةِ المبتدئ وحرصه واُحتياجه إلى تعلمه ؛ ثم لاتأمره بأن يحفظ على هذا الترتيب الذى لُقِنه ، بل تأمره بأن يضع كل سورة منها فى موضعها عند الحفظ والجمع والدراسة والتلاوة . كذلك كان جبريل عليه السلام ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم الآية بعد الآية ، والسورة بعد السورة على حسب الحاجة كما تقدم عن اُبن عباس وأُبى اُبن كعب . يدلُّ هذا الذى ذكرنا أن مصاحف كثيرة قد وجدت وهى متفقة غير مختلفة بحمد الله ومنِّه .

وقد رُوى عن محمد بن كعبٍ القرظىّ قال : رأيتُ مصاحف ثلاثة : مصحفاً فيه قراءة اُبن مسعودٍ ومصحفاً فيه قراءة أُبيّ ، ومصحفاً فيه قراءة زيد ، فلم أجد فى كل منها ما يخالف بعضها بعضاً . وهذه الحجج كلها نيرة دالة على صحة ما أنبأنا عنه ، و بطلان ماادعاه علينا المخالفون المعاندون .

وقال الشيخ محمد بن الهيصم رحمه الله : وليس يعرف لأُبيّ مصحفٌ يخالف هذا المصحف إلاَّ ما ينسَبُ إليه بخبر الواحد دون الجمع الذى يلزم اليقين ، وإنما كانت قراءته هذه القراءة التى عليها العامة ، قال : وقد ذكر بعض مشايخنا رحمهم الله أنه رأى مصحفاً منسوباً إلى أُبي خالف ببعض حروفه حروف هذا المصحف ، لكنا لا نأمن أن يكون ذلك من جهة بعض من يحب الافتخار بالغريب ، فإن هذه بليَّة قد أضَرَّتْ بالدين ، وأَخَلَّت بمصالح المسلمين ، وطرَّقتِ الملحِدين إلى الطعن فى أركان الإسلام ، وسَهَّلت عليهم الشَّغبَ فى أموره ، ولقد نرى من المفتئتين نواب الملوك ، وعبيد أرباب الأموال ، وأبناء الدنيا إذا لم يجدوا للقرآن ، وعلوم الدين عندهم موقعاً فيتقربون إليهم بغرائب الكتب ؛ و إذا أعوزهم الغريب الذى يستذرع به أخذوا بعض الكتب المعروفة يزيدون فيها وينقصون ، ويقدمون ويؤخرون ، ويعنْونونه بعنوان بديع ليتسببوا بذلك إلى استخراج شىء منهم ، فعلى هذا النحو لا يؤمن أحدهم أن يتعمد إلى مصحف فيقدم منه

سوراً ، ويؤخر أخرى ، ويحرف ألفاظاً . ثم يزعم أنه مصحف عليّ ؛ أو مصحف عبد الله ، أو مصحف أُبيّ . وليس غرض البائس من ذلك إلا أن يحمله إلى بعض الملوك فيقول : إن خزانة مثلك يَجِبُ أن لا تخلو من نسخة من كل مصحف ، ليستخرج من حطامه شيئاً ولا يبالى مما كان من جناية على الدين وأهله ، فمن سبيل العاَقل أن لا يجعل نفسه عرضة الترهاتِ فتهوسَه فإن الحق أبلج ، والطريق منهج ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم .

قال : والذى عندى أن القوم لم يَأْمروا زيداً بأن يكتب القرآن على غرض كان له ؛ ولا عَلَى غرض كان لأبى بن كعب ، وإنما أمروه أن يكتب على القراءة الظاهرة المشهورة المعروفة التى سَمِعها الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها فى المساجد والمشاهد ، ويقرئ بها الناس فى آخر عمره عند ما انبسط الإسلام ، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً ، دون التى قرأ بها قبل ذلك. وَذلك أنه ليس فى شىء من الروايات أنهم اشترطوا عليه عرض أبيّ أو غيره .

فإن قيل : وليس فى شىء منها أيضاً أنهم اشترطوا قراءة العامة وما قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم بآخره .

قلنا : إنهم لم يحتاجوا إلى هذا الاشتراط ، لأنهم علموا أن زيداً إنما حفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم القراءة المشهورة فى الناس ، إذ هو إنما صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأخذ عنه بآخره لصغر سنه قبل ذلك ؛ إلاَّ أن عرض أُبيّ كان على التأليف الذى هو تأليف المصحف أَولهُ فاتحة الكتاب ، ثم سورة البقرة ؛ وآخره سورة الناس ، على مارواه فى حديثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث ذكر فضل سورة بسورةٍ من أول القرآن إلى آخره على الِوْلآء الذى هو فى مصحفنا ، كما نذكره فى آخر هذا الفَصْل إن شاء الله تعالى .

وكان الكثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً قد حفظوا منه تأليف السور ، فقد يجوز أن يكون زيد احتذى حذو أُبى فى تأليف السور ، وقد

يجوز أن يكون هو يحفظ ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه أخبرنى غير واحدٍ عن الشيخ أبى سهل الأنماريّ رحمه الله قال : حدثنا محمد بن نصرٍ الطالقانىّ قال : حدثنا محمد بن الفضل بن نُبَاتَةَ ، قال : حدثنا يحيى بن إسحاق السَّالحوِنى قال : حدثنَا يحيى بن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن يزيد بن أبى حبيب أن عبد الرحمن بن شُماسَة المهرى أخبره ، عن زيد بن ثابت قال : بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع ، إذ قال : طوبى للشام . قيل : يا رسول الله ولِمَ ؟ قال لأن ملائـكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها . وإذ قد كان هو يؤلف القرآن من الرقاع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فبالحرى أن يكون قد حفظ تأليف السور منه ، ويجوز أن يكون أبو بكر وعمر أو غيرهما من الصحابة قد حفظ ذلك فاحتذى زيد حَذْوَه ، ولا يضُر أن لا يكون تأليف السُّور عند عامتهم واحداً فى الشهرة ، والـكلام كله على ما بيناه فى السور أنفسها ، فَإن السُّور لولم تـكن مشهورة كان لا يصح التحدى بها والدعوة إليها . وكان لا يمكن إقامة الصلوات بها ، وكان تـكون للملحد فيها مغمز أو يقول : فما يدريكم إذاً أنها كلام الله من غير زيادةٍ فيه أو نقصان منه ؟ فأماَّ إذ قد شهرت السور وعرفت فَلِئَنْ لم يعرف تأليفها ، فليس يخل ذلك بشىء من أمر الدين ، ولا مغمز فيه لأحد من الملحدين .

وأما أُبىّ فى فضله ،رحمه الله ، وعلمه فأحد الأسباب التى يمكن أن يكون لأجلها لم يولوه ذلك ، هو أن تـكون كانت به علةٌ تمنعه فى ذلك الوقت عن القيام بذلك من مرض أو شغل ، ويمكن أن تـكون المعلوم عندهم عن أُبى ، رحمه الله ، أنه وإن كان أقرأهم للقرآن ، فلم يكن أعرفهم بالـكتابة ، وكان زيدٌ أعرف بذلك منه ، ويمكن أن يكون زيد أحفظ لقراءة العامة من أُبى ، وإن كان أُبى يحفظ ما تلقفهُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عَرَضِهِ الذى عَرَضَ عنه خاصَّةً ، مع أن قوله صلى الله عليه وسلم : اقراءكم أُبى ، ليس يُوجبُ أن يكون اقرأ الصحابة جميعاً حتى

لا يكون أحد اقرأ منه ، فإن للكلام مخارج وأسباباً تدل السامعين بما يشاهدونه من الأحوال ويعرفونه من الأسباب على المراد ، وليس من غاب كمن شاهدَ ، ولا من عرف الأسباب والمقدمات كمن جهل ، فنحن إذا وجدنا الذين شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعوا قوله شفاهاً عَدلوا فى العمل إلى خلاف الوجه الذى يسبق إلى قلوبنا من ظاهر اللفظ ، وأجمعوا وأجمع جمهورهم على ذلك علمنا أن معنى الكلام ما ذهبوا إليه دون ما سبق إلى قلوبنا ، وإذ قد وجدنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قدموا فى القراءة زيداً ، وولوه كتابة المصحف دَلنا ذلك على أنهم استرجحوه فى القرآن ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم لما قال : أقرأوكم أُبى ، فإنه ذكره بالمنقبة التى كانت أفضل فيه بعد الإسلام وهى القراءة ، ولم يرد بذلك ترجيحه بها على جميع الصحابة ، لكن على الكثير منهم ، كما أنه لما قال : أصدقكم لهجة أبو ذر ، وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ ، فإنه لم يرد ترجيحهما على أبى بكر ، وعلي رضى الله عنهما فى الصدق والعلم بالحلال والحرام . الا ترى أن الأمة صنفان : صنف هم أهل السنة ، وصنف هم الشيعة ، فلوسألتهما جميعاً عن أصدق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمهم بالحلال والحرام لقال السنىّ أبو بكر ، وقال الشيعىّ علىّ .

وقد رُوى عن النبى صلى الله عليه وسلم : خير أهل الله عمر ، وَأهل الله هم أهل مكة ، ولا أحد يزعم أن عمر خير أهل مكة ، لأنه لا أحد إلا ويفضل عليه ، إما أبا بكر وإما علياً .

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : يجىء معاذٌ يوم القيامة بِرَتْوَةٍ متقدما العلماء بِرَتْوةٍ . فلم يرد بذلك تفضيله على جميع العلماء ؛ وكذلك مَا قال : أقرأكم أُبى ، لم يوجب تفضيله على جميع الصحابة ، ولا يمنع ذلك أن يكون زيدٌ اقرأ منه ، وإن كان هو اقرأ من كثير من الصحابة ، وإن زيد بن ثابت وإن كان فى حداثةٍ من السن فى جانب أكابر الصحابة ، فلقد كان من أكابرهم فى

الفقه والرأى ، وكانت الرئاسة له بالمدينة فى القضاء والفتيا ، والقراءة والفرائض فى عهد عمر ، وعثمان ، وعلىّ إلى أن توفى سنة خمسٍ وأربعين بعد وفاة على بخمس سنين

وذكر عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال : كان عمر يوجّه الناس فى البلدان فيقال له فى زيد بن ثابت فيقول ، لم يسقط علىَّ مكان زيدٍ ولكن أهل البلد يحتاجون إلى رأى زيد .

قال : وأخبرنى أبو على أحمد بن محمد ، قال : حدثنا إسماعيل بن محمد البغدادى الصفَّار ، قال : حدثنا الرماديُّ ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة قال : كان قضاة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة : عمر ، وعلى ، وأُبىّ بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو موسى الأشعرى ، وزيد بن ثابت . فكان قضاء عمر ، وابن مسعود ، والأشعرى يوافق بعضه بعضاً ، وكان يأخذ بعضهم من بعض ، وكان قضاء علىّ ، وأُبىّ يشبهُ بعضهُ بعضاً ، وكان يأخذ بعضهم من بعض . قال : وكان زيد يأخذ من علىّ وأُبى ما بدا له .

ورُوى عن بكير بن عبد الله الأشجّ أنه قال : جُل ما أخذ به سعيد بن المسيب من القضاء والفتيا من زيد بن ثابت ، وكان لايذكر له قضاء ولا فتياً عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قال فاين زيدُ بن ثابتٍ ؟عن هذا ، زيد أعلم الناس بما تقدمه ، ويقول : لا أعلم لزيد قولاً لايعمل به أهل الشرق والغرب ، وأنه لتأتينى عن غيره أحاديث وعلم مارأيت احداً من الناس يعمل بها .

قال الشيخ رحمه الله : أخبرنا أبو النضر ، قال : حدثنا الشيخ أبو سهل الانمارىّ رحمه الله ، قال : أخبرنا أبو الوليد قال : حدثنا محمد بن سلمة ، عن أبى عبد الرحمن ، عن زيدبن أبى أنيسة ، عن أبى إسحاق ، عن مصعب بن سَعيد قال : جلس عثمان بن عفان على المنبر ،فحمد الله وأثنى عليه فقال : ألا إن عهدَكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة سنة وأنتم تختلفون فى القراءة . يقول الرجل لصاحبه : والله ما تقيم قرائتك ، فَاعزمُ على من كان عنده من القرآن شىء إلا جاء به . فجاء الناس بماعندهم ، فجعل يسألهم

على ذلك البينة أنهم سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : من أعرب الناس ؟ قالوا : سعيد بن العاص . قال : من أكتب الناس ؟ قالوا زيد بن ثابتٍ . قال : فليُمِلّ سعيد ، وليكتب زيد . فكتب مصاحف ففرقها في الأجنادِ . قال مصعبٌ : فلقد سمعت رجالاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : لقد أَحسن عثمان .

قال رحمه الله : و إنما سأل البينة لما يمكن أن تشتبه من إقامة الحروف دون الآية والسورة اللتين لا يشتبهان ، وماذا يظن بعثمان بن عفان رضى الله عنه أنه مال إلى زيد بن ثابت ، وزيد لم يكن رجلاً من بنى أمية ، ولا كان لعثمان به علاقة نسبٍ ، و إنما كان رجلاً من عرض الأنصار لَولَا الثبتُ ، ولو قد أمر عثمان بكتابة المصحف ابن مسعود لكان لقائل أن يقول ، مَال إليه لقوله : حَيثُ وَلَى أمرنا خيرُ من بقى . ولم قال : إذ كان ذلك قوّة لشَغْبه ، أو أمر بذلك عبد الرحمن ابن عوف لقال قائل : ذلك لأنه اختاره للخلافة ، أو أمر به بعض بنى أمية لكان فيه مغمز . وكذلك أبو بكر ، وعمر رضوان الله عليهما حيث أمرا زيداً بذلك ، وأنه لم يكن له بهما اختصاص بوجه يوجب التهمة والله المستعان .

فإن قيل : كيف اعتمدتم حديث ابن عباس ، وتركتم حديث أُبىّ ، وابن مسعود وغيرهما . وقد كان أصغر منهم سناً وتعلم منهم بعض علومه .

قلنا : لأنا وجدنا ابن عباس قد بلغ من الشروع فى علم التفسير والتأويل مبلغاً لم يبلغه أحد من الصحابة فمن بعدهم فيما علمناهُ ، و إن كان الأكثرون من أفاضل الصحابة وقد كانوا أكبر منه سِناً وأكثر صحبةً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكثير منهم قد فضلوه فى العلم وشرف المنزلة . غير أن الله عز وجل يختص كل واحد من عباده على حسب ما سَبقَ من علمه فيه . و إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء .

وقد كان رضوان الله عليه أُتى من الذكاء ، والفهم ، وجودة القريحة ، وشدة

العناية فى طلب العلم مَالمْ يؤت أحدٌ من أقرانه ، وامتدت أيامُه إلى أن كثرت طلبَة العِلم واحتاجت إليه الأمّة فانتشر علمه ، وعظمت بركتهُ وأقر له أهل زمانه بالبراعة واعترفوا له بالسِّباق .

أخبرنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي رحمه الله قال : أخبرنا أبو علي أحمد ابن محمد بن يحيي قال : أخبرنا أبو جعفر محمد مُعاذٍ المالِينِي قال : حدثنا الحسينُ ، هو ابن الحسَنِ المروزيّ ، أخبرنا هُشيمٌ ، عن ابن بشير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان عُمَر يأذن لأهل بدرٍ ، ويأذن لى معَهُم . فقال بعضُهم أتأذن لهذا الصَّبىّ معنا وفى أبنائنا من هو مثله ؟ فقال عمر : إنه من قد علمتُم . فأذن لَهم ذاتَ يَوم وأذن لى معَهُم فسألَهُم عن هذه السورة (س ١١٠) : « إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللَّهِ » . فقالوا أمر الله نبيَّه إذا فتح له أن يستغفره ، وأن يتوب إلى الله . فقال لى ما تقولُ ؟ فقلت لعله لَيْس كذاك ؛ ولكن أخبر نبيّه بحضور أجله فقال : « إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ » ، فتح مكة ، « وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا » ، فذلك علامة موتك : « فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ، إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا » . فقال عمر : كيف تلومونني عليه بعد ماترون ؟

قال : وأخبرنا غير واحدٍ مِنْهُم : أبو العباس محمد بن محمد الأنماريّ قالوا : حدثنا الشيخ أبو سهل الأنماريُّ رحمه الله قال : حدثنا عمر بن أحمد بن إسماعيل الشِّنغامى قال : حدثنا خليل عن سَالم البَرَّاد البصريّ قال : حدثنا عبد الوارث بن سعيدٍ قال : حدثنا خالد الحذَّاء عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : ضمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صدره فقال : اللهم علمه الحكمة .

قال : وأخبرنا منصور بن العباس قال : أخبرنا الحسن بن سفيان قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال : أخبرنا المغيرة بن سَلمة المخزوميّ قال : حدثنا عبد الواحد ابن زيادٍ قال : حدثنا عاصم بن كليب ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عباس قال :

كان عمر إذا دعا الأشياخَ من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم دعاني مَعهُم فقال: لاتكلم حين تكلموا . فدعانا ذات يوم أو ليلة فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى ليلة القدر ماقد علمتم ، التمسُوها فى العشر الأواخر وتراً ففى أىّ الوتر ترونها ؟ فقال رجل برأيه : إنها تاسعةٌ ، سابعةٌ ، خامسةٌ ، ثالثةٌ . فقال لى : مالك لا تتكلم يا اُبن عباس ؟ قلتُ يا أمير المؤمنين : إن شئت تكلمتُ . وقَالَ : مادَعوتك إلا لتتكلم ؟ فقلت : إنما أقول برأى . فقال : عن رأيك أسألك ، فقال : إني سمعت الله أكثر ذكر السّبع ، فذكر السماوات سبعاً ، والأرضين سبعاً ، حتى قال فيما قال : وما أنبتتِ الأرض ، سبع . قال عاصم قال : أى ؟ فقلت له : كل ما قلت عرفته . فما تعَنى بِقوْلِك ما أنبتت الأرض ، سبع . فقال (س ٨٠ آ ٢٦ ـ ٣١) « ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ، وَعِنَبًا وَقَضْبًا ، وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً ، وَحَدَائِقَ غُلْباً ، وَفَاكِهَةً وَأَبًّا » . والحدائق : كل ما يلتف حَديقة ، والأبُّ ما أنبتت الأرض مما لا يأكل الناس . فقال عمر : أعجزتم أن تقولوا مثل ماقال هذا الغلام الذى لم تستوِ شؤون رأسه ؟ ثم قال : إنى نهيتك أن تتكلم معهم ، فإذا دعوتك فتكلم معهم .

وعن سعيد بن جبير ، عن اُبن عباس قال : كنت فى بيت ميمونة فوَضعتُ للنبى صلى الله عليه وسلم وَضوءه . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : من وضَعَ هٰذا ؟ فقالت ميمونة : وضعه عبدُ الله . فقال : اللهم علمهُ التأويل ، وفقهه فى الدين .

وعن عمرٍو بن دينار ، عن طاوس ، عن اُبن عباس قال : دَعَانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمَسح على ناصيَتِي وقال : اللهمَّ علمه الحكمة وتأويل الكتاب .

وعن الأعمش ، عن شقيق قال: كان اُبن عباس عَلَى الموسم فافتتح سورة هودٍ (س ١١) فجعل يقرأ ثم يُفَسر . فقال شيخ من الحى : ما رأيت كاليوم كلاماً يخرج من رأس رَجُل لو سمعت به الترك لأسلمت .

وعن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير قال : لمَّا مات اُبن عباس جاء

طائر من السماء أبيضُ فدخل فى أكفانه فكانوا يرون أنه عِلمه .

وعن المعتمر بن سليمان قال : سمعت أبا زيادٍ قال : حدثنا أبو رجاء العَطاردىُّ قال : هذا المكان من ابن عباس مثل الشِّراكِ البالى من الدمُوع . ووضَع المعتمر أصبعه على جفن عينه السفلَى .

قال : وأخبرنا أبو على أحمد بن محمد قال : حدثنا دَعْلَجُ بن أحمد قال : حدثنا محمد بن غالب قال : حدثنا أبو حذيفة قال : حدثنا سعيد ، عن سلمة بن كُهَيلٍ ، عن كُريبٍ ، عن ابن عباس قال : بت عند خالتى مَيْمونة فقَام النبى صلى الله عليه وسلم من الليل فأتى حاجتَه ثم غسل يديه ووجهه ، ثم نام ، فقام إلى القِرْبة فأطلق شيئاً فيها ، ثم توضأ وضوءًا بين الوضوءين ولم يكثر وقد أبلغ ، ثم قام يصلى . فقمت فتمطيتُ كراهية أن رآنى كنت أراقبه فقمت عن يساره فأخذ رأسى فحوّلنى عن يمينه فتمت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة ركعة ثم نام حتى إذا نفخ ، وكان إذا نام ، يعنى نفخ ، أتاه بلال فَأَذَّنَه فقام يُصلى ولم يتوضأ . وكان يقول : اللهم اجعل فى قلبى نوراً ، وفى سمعى نوراً ، وفى بصرى نوراً ، وعن يمينى نوراً ، وعن يسارى نوراً ، ومن فوقى نوراً ، ومن تحتى نوراً ، ومن خلفى نوراً ، واعظم لى نورا .

قال : وأخبرنا أبو عبد الله محمد بن يزيد النيسابورى رحمه الله ، ومنصور بن العباس البُوسَنجى قالا : أخبرنا الحسن بن سفيان . قال : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة عن هُشَيم ، عن أبى بشرٍ ، عن سعيد بن جبير وابن عباس قال : جمعتُ المحكم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : قلت له ما المحكم ؟ قال: المفصل . قال أبو بكر : وزاد فيه غير هُشَيم وقبض وأنا ابن عشر .

قال رحمه الله : ولم يعرض هذه الأخبار أو يستقص فضائل ابن عباس فإن ذلك غير ممكن لاسيما فى هذا الكتاب ، و إنما أردنا من ذلك أن يعلم الناظر فى هذا الكتاب ما سبق له من دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ما كان من

جدِّ عنايته فى مراقبة أحوال النبى صلى الله عليه وسلم سراً وعلانية ، ليلا ونهاراً ، حتى كأنه كان ليتعمد المبيت فى بيت خالته ميمونة ليلة يكونُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها ، ثم يحتفظ عن النوم لينظر إلى مايفعله ، ثم يحتذى حذو مايفعله ويحفظ دعواته ، ويراعى حركاته وسائر حالته وعسى أن يكون بعض من بلغه صغر سنه كان ، حيثُ مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبيله ، يُقدِّرُ فيه قصوراً عَمَّا يراد علمه فى باب التفسير ، فإنه رضى الله عنه ذكر أنه جمع المفصَّل وهو ابن عشرٍ كما ذكرناه ، ولم يُزن بوفور علمه صغر سنه حيثُ قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسيما بتفسير القرآن من قبل أن سبيل الخوف على تفسيره يتجه على وجوهٍ منه مَا يُعْرَفُ من جهة اللغة ، وذلك مالايحتاج فيه إلى تعلم إذ هو شىء خلقى ، يعنى ، نشأ عليه . ومنه ما يُعْرَفُ من جهة الأسْبَاب التى أُنْزلت الآيات فيها ، والأحوال التى وجهت إليها ، وذلك ما قد كان ابن عباس شاهد الكثير منها ، وما لم يشاهِده فقد كان يُحَدَّثُ به ليلاً ونهاراً فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى مجالسه حتى كان ذلك عنده بمنزلة المشاهد الذى لا استِرابةَ فيه . ومن هذا الوجه يَعْرِف العام والخاص ، وما هو من الأوامر حتم وما ليس بحتم ، وبه يفرق بين الناسخ والمنسوخ ، ومنه ما كان يحتاج فيه إلى سماع وبيان كمثل أركان الصلوات ، ومقادير الزكواتِ ، وسائر الأحكام التى أجملتها آيات القرآن ، وبالسنة يعرف تفسيرها ، فما كان من هذا الضرب فإنه رضى الله عنه قد كان فهم فى صغر سنه جملةً وافية بما وهب له من العقل والقريحة ، وجدّ العناية . وما عدا ذلك ، فقد كان يسأل عنه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته باذلاً فى ذلك وسعه ، مستفرغاً فيه مجهوده إلى توفيق ساعدَه من الله عز وجل ، ودعاء استجيب فيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : حدثنا الحسين بن أحمد بن قيصر الدامغَانى قال : حدثنا محمد بن إبراهيم ابن بُومردَ قال : حدثنا عمَّارُ بنُ رجاء قال : أخبرنا وهب بن جرير قال : حدثنا

أبى ، هو جرير بن حازم ، قال : سمعت يَعلى بن حكيم يحدثُ عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار : هلم نسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنتعلم منهم . قال : العجب لك يابن عباس . أترى أن الناس يحتاجون إليك ، وفى الأرض من يراهم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فتركت ذاك وأقبلت على المسألة فاتَّبعُ أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وإن كان ليبلغنى عن الرجل الحديثُ سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم فآتِيهِ قائلا : فأتوسّد ردائى على باب داره ، فتَسْفى الرّياح فى وجهى ، فإذا خرج قال : ما حاجتك يابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ . فأقول : حديث بلغنى عنك تحدثه عن النبى صلى الله عليه وسلم فأحببت أن أسمعه منك . فيقول : فهَلا بعثتَ إلىّ حتى آتيك ؟ ! . فأقول : أنا كنتُ أحق أن آتيك . قال : فإن ذلك الرجل يمرُّ بى وقد ذهب أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فاحتيجَ إلىّ . فيقول : أنت كنت أعقل منى .

قال : وحدثنا أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرىّ إملاء قال : حدثنا محمد بن إسحاق السعدىّ قال : حدثنا يحيى بن الربيع قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن الزهرىّ ، عن عبيد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : كنتُ أقرىء عبد الرحمن ابن عوف ونحن بمنًى ، وذكر الحديث بطوله تمام خطبة عُمرَ رضى الله عنه ، وإذ قد بلغ من منزلته فى الشرف أنه كان يُقرىء مثل عبد الرحمن بن عوف فى خلافة عمر مع سوابق عبد الرحمن ، وشرف منزلته فما الذى يتعَجَّبُ المتعجب من براعته فى علم القرآن وتقدمه على سائر من بقى بعد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم .

وقد رُوى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر نفراً من أصحابه فخص كل واحدٍ منهم بماخصه الله به من الكرامة ، ثم قال : وَحَبرُ هذه الأمّةِ ، وفى بعض الروايات وبحر هذه الأمة ، عبد الله بن عباس .

وبلغنا عن عبد الله بن مسعود أنه قال : نعم ترجمان القرآن ابن عباس .

قلت : ثم لمَّا كان ابن عباس فى فضله ، و براعته ، و إقرار الأكابر من الصحابة بفضله وفطنته ، وتقدمه فى تفسير القرآن وترجمته ، أخبر أن الله تعالى أنزل القرآن جملة من أوله إلى آخره على الترتيب الذى فى أيدينا إلى السماء الدنيا ليلة القدر ، ثم أنزل منه نجوماً نجوماً على حسب الحاجة إليه ، ووافقه ظاهر النص بحاجته إلى قول ابن عباس رضى الله عنهما مع النصوص والأخبار ، فوجب الاعتقاد بذلك ، والانقياد له . لأنه لم يقل شيئاً من هذا إلا بعد سماع له قائم ، أو برهان لازم ، مع شدة الوعيد لمن يقول فى القرآن برأيه ، ومن زعم أن بعض القرآن سَقط على المسلمين وقت جمع المصحف ، وأن السور ضم بعضها إلى بعض بالمشورة والرأى فقد أعظم على الله الفرية . لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يملى كلما نزل من القرآن على كتّابه أولاً بأولٍ ميلاً إلى حفظه وصيانته ، فحفظ القرآن من أوله إلى آخره على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الستة الذين ذكرناهم .

وجمع أبو بكر المصحف ، ونحا نحوه فى الجمع عُمر ، وقفا أمرهما فيه عثمان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحسنون ذلك من فعله و يُجمعُون على تسديده ، ثم أحضر عثمان الصحف التى جمع فيها عمر القرآن فعارض بها صحفه فما خالفها فى حرف . فمن أىّ وجه سقط على المسلمين بعض القرآن و بين أظهرهم من يحفظه منذ وقتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والحفاظ له يعلمون الناس على المداومة والمتابعة ؟ و إن عثمان لم يجمع المصحف حتى وعَى جميع القرآن يَدُلك عليه قول حسان بن ثابت :

ضَحّوا بأشمط عنوان السجُودِ به   يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً

وقول امرأته : إن قتلتموه فكثيراً ما كان يختم القرآن فى ركعة واحدة . ولم لايحفظونه مع ملازمتهم النبى صلى الله عليه وسلم وقراءتهم عليه وَأخذهم عنه فى كل وقت وترغيبه إياهم فى حفظه ؟ وقد قال صلّى الله عليه وسلم : خيركم من تعلم القرآن وعلمه . وقال صلى الله عليه وسلم : إن لله أهلينَ من الناس . قيل من هم

يارسول الله ؟ قال : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته . وكيف يُنزل الله تعالى من كلامه مايريدُ به نفع خلقه وهدايتهم ، ثم يسقط عنهم حفظه حتى ينسى لفظه ، ويَبطل حكمه ؟ ورَوَى ابن مسعودٍ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم : إن هذا القرآن مَأدُبَةَ الله عز وجل فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن هو حبل الله ، النور المبين ، والشفاء النافع ، لا يعوجُّ فيقوم ، ولا يزيغ فيستعيب ، ولا تنقضى عجائبه ، لا يخلق عن رد .

وروى عن الحارث قال : دخلت المسجدَ فإذا الناس وقعوا فى الأحاديث . فأتيت علياً فقلت : يا أمير المؤمنين : ألا ترى الناس وقعوا فى الأحاديث ؟ قال : أو قد فعلوها ؟ قلت : نعم . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنها ستكون فتنة . قلت : فما المخرج منها يا أمير المؤمنين ؟ قال : كتاب الله ، كتاب الله ، فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم ، وحكم مابينكم . هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبَّارٍ قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لاتزيغ به الأهواء ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن رد ، ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم ينته الجن لما سمعوا عن أن قالوا : (س ٧٢ آ ١) « إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً ، يَهْدِى إِلَى ٱلرُّشْدِ » . من قال به صدق . ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أُجِر ، ومن دعا إليه هُدى إلى صراطٍ مستقيم . أو قال : من استعصم به هدى إلى صراط مستقيم . ثم قال : خذها إليك يا أعور . فمذهب هذا القائل إبطال هذه الأحاديث لأنه إذا لم يكن تاماً ولا صحيح التأليف والترتيب فالحكم به غير جائز والمسلمون كلهم لم يهدوا إلى الصراط المستقيم ، ولأن القرآن إذا أسقط منه شيء بطل الباقى ، لأنه لَا يَجُوز أَنْ يكون الساقط نَاسِخاً الباقى ، كما نسخ قوله (س٢ آ ١٤٤) : « قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَاءِ » الآية ، فنسخت هذه الآية صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين إلى بيت المقدس . وكما نسخ بقوله

(س ٥ آ ٩٠) « إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ ، وَٱلْأَنْصَابُ » الآية ، شرب الخمر . لأنه لو سقط منه شيء لـكان يمكن أن يكون الساقط ناسخاً للحاصل الباقى ، ولأن النبى صلى الله عليه وسلم قال ، فيما روى عنه أبو أمامة : من أعطى ثلث القرآن فقد أُعطى ثلث النبوة ، ومن أُعطى ثلثى القرآن فقد أُعطى ثلثى النبوة ، ومن أُعطى القرآن كله فقد أُعطى النبوة كلها ، إلاَّ أنه لا يوحى إليه . ولو لم يكن القرآن على ما هو عليه الآن فى أيدينا لم نكن نقف منه الآن على ثلثٍ ، أو ثلثين ، أو نصف ، أو ربع لا على جميعه ، ولم يكن أحدٌ خاتماً له ولبطل فضل الختمات .

وروى عن العوَّام بن حوشب أن أبا عبد الرحمن السلمى كان إذا ختم عليه الخاتمُ القرآنَ أجلسه بين يديه ووضع يده على رأسه وقال : ياهذا : إتق الله فما أعرف أحداً خيراً منك ، إن عملت بالذى عَلمْتَ ، ففى هذا الحديث دليل على أن القرآن الذى فى أيدينا كامل تام ، من ادعى نقصاً فيه ، أو زيادة ، أو تغييراً ، أو تبديلا ، أو تقديماً ، أو تأخيراً فقد كذب على الله تعالى وبهت رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، لأن أبا عبدالرحمن كان خرّيج على بن أبى طالب ومن أخذ القراءة عنه وتعلمها منه ، فإذا أخبر بأنَّ آخر القرآن هو الذى ليس بعده شيء كان الذى يقول هو مذهب على رضى الله عنه ، وقد كان على رضى الله عنه يصلى بالناس صـلاة المغرب والعشاء الآخرة ، وصـلاة الصبح ، ويقرأ والناس يستمعون قراءته ويفهمون قوله . فلو خالف عثمان ، وأبا بكر ، وعمر رضى الله عنهم فى حرف واحد إذا كثر منه ليسـارع الناس إلى السؤال عنه وتغييره فى المصاحف . مع أن القرآن الذى حصله عنه أبو عبد الرحمن وفضله فيه هو كالذى كان يؤُم الناس به فى صلواته فيجدونه موافقاً لرأى أبى بكر ، وعمر ، وعثمان وسائر المسلمين ، ولو وقعوا فيه على زيادة حرف أو كلمة ، أو نقصان لفظةٍ لوافقوا علياً عليها فأثبتوها فى المصاحف على قوله ، وما يأمر به من رسمه ، لعلو درجته ، وارتفاع مرتبته ، فقد حصَّلوا فى كلامه المنثور ضمةً فى حَرفٍ وباء فى كلمة فتابعوا

حكايتهما عنه ونسبتهما إليه ، أحد الحرفين الدُهْقَانُ ، بضم الدال ، والآخر نيروزا
من النيروز . فقد روى عن معاذ بن العلاء أخى أبى عمرو بن العلاء ، عن أبيه ، عن
جده قال : سمعت على بن أبى طالب يقول : ما أصبتُ من فيكم إلا هذه القارورة
أهداها إلى الدُهقان ، ثم أتى بيت المال ، ثم قال خذ ، خذ ، وأنشأ يقول :

أَفلحَ مَن كان له قَوصَرَّة يأكل منها كل يوم مَرَّة

روى أنه أهدى إلى على رضى الله عنه فَالوذج فى جام يوم النيروز فقال :
نَيْرزوا لنا كل يوم ، فَمن ضبط من لفظ على ضمة نادرة ، وياء نادرة فهو حقيق بأن
لا يغفل من قراءته كلمة تثبت : ولفظة تسقط ؛ وحركة تغير . فمن ادعَى أن ألفاظه
فى منثور كلامه ضبطت ، وكلماته فى قراءة القرآن ضُيِّعَتْ فقد أخبر بمحال لا نقبله ،
ولا يشهد له بصحته حكيم . ولقد أوجب الله سبحانه علينا أن نتبع الصحابة
بإحسان ؛ وأن نقابلهم بتوقير وإذعان . وكذلك أمرنا الرسول صلى الله عليه
وسلم ، ولعن من يبسط فيهم لسانه بسوء وبهتان ، وإنهم جميعاً قد أجمعوا
على هذا المصحف ، ولم يكونوا يجتمعون إلا على حق ، وصواب ، وصدق ، لاسيما
وقد سمعوا الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : فمن يَزِيدُ فى كتاب الله تعالى أو
ينقص منه ، أو يرومه بنقص ، أو يفسره برأيه ، وهم كانوا أعظم حرمة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وتوقيراً لكلامه من أن يستخفوا به وبكلامه ، وبالقرآن
الذى هو علم لنبوَّته وبرهان لرسالته بما كُسِيَ من نظمه ، وفصاحته ، وكماله ،
وبلاغته . فلو لم يكن لهم توقيف رضى الله عنهم منه ، صلى الله عليه وسلم ، أن
القرآن مرتب بهذا الترتيب لما كانوا يرضون تأليفه ، ويثنون على أمير المؤمنين
عثمان رضى الله عنه بالثناء ، والترحيب .

وكذلك تشهد له العقول الصحيحة ، والأذهان الصريحة . وإلاّ فأى عقل
كان يوجب تأخير سورة إقرأ (س ٩٦) إلى أخريات الكتاب ، وهو من أوله

نزولاً ؟ وتقديم قوله : (س ٢ آ ٢٨١) « وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ » ، إلى أول الـكتاب وهو من آخره نزولاً ؟

وكيف كان يوجب تأخير السور المـكية وهى من أوائلها نزولاوتقديم السور المدنية وهى من أواخرها نزولا ؟ فعلمت بهذا أن هذا أمراً لايهتدى إليه بعقل دون أن يكون له توقيف من سمعٍ ، وحاشا لله وعياذاً به أن نظن بهم ظن السوء أو نحل بهم محل التهمة ، ولو لم يكن الأمر على ماذكرناه لما كانوا يؤخرون المنسوخ عن الناسخ . مثل قوله (س ٢ آ ٢٣٤) : « وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنـكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ » ، نسخ قوله : (س ٢ آ ٢٤٠) « وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنـكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِمْ » . والناسخ متقدم على المنسوخ فى الترتيب . ولا شك فى أن الناسخ يتأخر ومثله : قوله تعالى : (س ١٦ آ ٦٧) «وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً» ، نسخ بقوله (س٥ آ ٩٠) « إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ » ، وهو قبله . ومثله : قوله تعالى : (س ٢٩ آ ٤٦) « وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْـكِتَابِ » ، نسخها قوله:(س ٩ آ ٢٩) « قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَيُؤْمِنُونَ بِاللهِ » إلى قوله : « وَهُمْ صَاغِرُونَ » . ولها نظائر . ومثله : تقديم قوله (س ٢ آ ٦٧) : « إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً » . فهو مسبوب[1] على قوله (س٢ آ ٧٢) : « وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً » ، وهو السبب . ولو كانوا يفعلونه بعقـولهم لقدموا السبب على المسبوب[1] ، ولظهر لهم مخالفٌ يعمل بعقله فى ذلك الوقت ، ولنقل ذلك إلينا كما نقل هذا .

أفتراك أيها الطاعن علمت أنت بفطرتك ماجهلوا أولئك بعقولهم ؟ ولم يدركوه بأذهانهم ؟ ووقفت بقريحتك على مالم يقفوا عليه فى أوقاتهم وأحيانهم ؟ وكل هذا وأمثاله يدلُّك على أنهم لم يفعلوا شيئاً فى كتاب الله تعالى إلا بتوقيف . ألا تراهم

(١) كذلك فى الأصل ويجوز أن المراد منه مسبب .

كيف تحرَّجوا عن تفسير بعض الآياتِ وهم أهل اللسان . يدلك عليه : ماروِيَ عن ابن أبى مُليْكة قال : سُئِل أبو بكر رضى الله عنه عن تفسير حرفٍ من القرآن فقال : وأى سماء تظلنى ؟ وأى أرض تُقلنى ؟ وأين أذهبُ ؟ وكيف أصنع إذا قلت فى حرف من كتاب الله عز وجل بغير علم ماأراد به ربى تعالى[1] ؟

وروى فى غير هذا الوجه أنه سئل عن قوله (س ٤ آ ٨٥) « مُقيتاً » ، وكذلك روى عن عمر ، قريب منه ، فى الأبّ[2] ، وعن عبيدة ، والشعبى وغيرهم ، من تحرّجهم عن التفسير والتأويل بما يطول ذكره هاهُنَا ، ولعلنا نذكره فى موضع آخر ونبين وجه ذلك . وإذ قد كان تحرجهم عن التأويل والتفسير لهذا المكان . فكيف كان يتفسر النص والكتاب ، وتقديم المؤخر ، وتأخير المقدّم ؟ وكيف ينسبون تأليف السور ؟ بل كيف لايأخذون أنفسهم بحفظها ، وسؤالهم عنها وفيهم من يحفظ جَميع القرآن ؟ أفتراهم حَفِظوا القرآن كله وهم لا يَعرفون تأليف سُوره ؟ ولأية علة لا يحفظ تأليف سُوَر القرآن من كان لا يحفظ أول ما أُنزلَ من القرآن وآخرهوتأخيره ، وناسخهومنسوخه ، ومكيِّه ومدنيه ، وأحكامه وفرائضه ، وسننه؟ وحفظ بعض هذه الأشياء أتعب وأشق من حفظ تأليف السور وضم بعضها إلى بعض .

فإن قيل : رُوى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه جمع القرآن فى المصحف ، وروى أنه جمعه فى الصحف ، ومعلوم أن بينهما تبايناً لأن الصحف غير المصحف .

قيل : لا تنافى بينهما ، وذلك : أنه جمع القرآن . وجعله أجزاء متفرقة ،أعشاراً وأسباعاً ، وأقل وأكثر ، فسميت بذلك الأجزاء . وما كانت بين الأخير صحفاً وصحيفة . وكان له فيه غرض . وذلك : أنه أجدى وَأحوطُ من جمعه فى مصحف

---

(١) كذلك فى الأصل : ويجوز أن المراد منه ما أراده ربى

(٢) يعنى « أبًّا » فى س ٨٠ آ ٣١ .

واحد ويمكن أن يكون جمعه فى مصحف ومَدَارِجَ . وجمعه فى جَامع له فسماه مصحفاً . فـكان الناس ينسخون من تلك الصحف والمدارج ، والمصحف محفوظ محوط عنده ، وهذا لا تنافى فيه لأنه جمعه إلى الصحف التى لَيسَتْ بين لوحين ، وفى مصحف بين لوحين . ويحتمل أيضاً أنه جمع الصحف التى كانت فى أيدى الناس مكتوباً فيها وحصلت عنده . ثم نسخ منها جامعاً بين لوحين وكانت الصحف محتفظاً بها عنده ؛ ثم عند عمر ؛ ثم عند حفصة ، وإنما حفظوها لأنها هى الأصل . وقد كانت عرضت وعرف صحتها . فلذلك اعتمد عثمان عليها . والذى يؤكد جميع ماذكرناه حديث أُبيّ بن كعب فى فضل القرآن وسوره على هذا الترتيب . وقد كنّا أوردناها فى « كتاب الغرر فى أسامى السُّوَر » متفرقةً إلا أنا أحببنا ذكرها هَاهُنا بلفظها لتـكون أجمع وأقمع .

أخبرنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن المنتصر رحمه الله قال : حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد بن الغطريف بجرجان قال : حدثنا أبو الفضل العباس بن حماد بن فضالة بالبصرة قال : حدثنا يحيى بن حبيب بن عدىّ قال : حدثنا يوسف بن عطية الباهلى أَبو المنذر قال : حدثنا هرمز بن كثير قال : حدثنا زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن أبى أمامة ، عن أُبى بن كعب أن جبريل أتى النبى صلوات الله عليهما قال : يامحمد : آتِ أُبَيًّا وأقرأه منى السَّلام وَأَقْرِء عليه القرآن . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أُبَيًّا . فقال : إن جبريل يقرئك السلام . فقال أُبيّ : عليه وعليك السلام يارسول الله : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن جبريل أمرنى أن أقرأ عليك القرآن . فقرأه عليه فى تلك السَّنَةِ التى قبض فيها مرَّتين . قال أُبيّ : بأبى أنت وأمِّى يارسول الله . أما إذ كانت تلك خاصة قراءة القرآن فخصَّنى بثواب القرآن مما علمك الله وأطلعنى عليه . فقال : نعم افعل إن شاء الله . ثم قال صلى الله عليه وسلم : أيما مسلم قرأ فاتحة الـكتاب أعطى من الأجر كمن قرأ ثلثى القرآن ، وأعطى من الأجر كمن تصدّق على كل مؤمن ومؤمنة . ومن قرأ سورة البقرة

(س ٢) فصلوات الله عليه ورحمته ، ثم أعطى من الأجر كالمرابط فى سبيل الله سنةً لا تسكن روعته . وقال : ياأُبىُّ : مر المسلمين يتعلمون السُّورة التى تذكر فيها البقرة ، فإن تعلمَها بركة ، وتركها حسرة، ولا تستطيعُها البَطَلَة . قلت : يارسول الله : وما البَطَلَةُ ؟ قال : السحرة . ومن قرأ آل عمران (س ٣) أُعطى بكل آية منها أماناً على جسر جهنم . ومن قرأ سورة النساء (س ٤) أُعطى من الأجر كأنما تصدق على كل من وَرِث ميراثاً وأُعطى من الأجر بعَدَدِ من اشترى محرَّراً وبرئ من الشرك وكان من شيعته التى يتجاوز عنهم . ومن قرأ المائدة (س ٥) أُعطى من الأجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجاتٍ بعَدَد كل يهودى ونصرانيّ يتنفس فى الدنيا .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نزلت عليَّ سورة الأنعام (س ٦) جملة واحدة وشيعها سبعون ألف ملكٍ لهم زجل بالتسبيح والتحميد . فمن قرأ الأنعام استغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية يوماً وليلةً وصلَّى الله عليه . ومن قرأ الأعراف (س ٧) جعل الله يوم القيامة بينه و بين إبليس ستراً ، وكان آدم شفيعاً له يوم القيامة .

ومن قرأ الأنفال (س ٨) ، وبراءة (س ٩) فأنا له شفيع وشاهد أنه برىء من النفاق ، وأُعطى عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقةٍ ، وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته فى الدنيا .

ومن قرأ سورة يونس (س ١٠) أُعطى من الأجر عشر حسناتٍ بعدد من كذب يونس وصدق به أو صدقه ، و بعدد من غرق مع فرعون .

ومن قرأ هود (س ١١) أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق نوحاً ، وهوداً ، وصالحاً ، ولوطا ، وشعيباً ، و إبراهيم ، وموسى صلوات الله عليهم ، وكان عند الله يوم القيامة من الشهداء .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : علموا أرقاءكم سورة يوسف (س ١٢) فأيما

مسلم تعلم سورة يوسف وتلاها وعَلّمَها ماملكت يمينه وأهله هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه قوَّة أن لا يحسد مسلماً .

ومن قرأ الرعد (س ١٣) كان له من الأجر وزن كل سحابٍ مضى ، وكل سحابٍ يكون ، عشر حسنات ، وبعث يوم القيامة من الموفين لعهد الله .

ومن قرأ سورة إبراهيم (س ١٤) أعطى من الأجر عشر حسنات بِعَدَدِ مَن عبد الأصنام ومن لم يعبدها .

ومن قرأ سورة الحِجر (س ١٥) كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم .

ومن قرأ سورة النحل (س ١٦) لم يحاسبه الله يوم القيامة بما نعم فى دار الدُّنيا ، و إن مات يوم تلاها كان له من الأجر كالذى مات حسَنَ الوصية .

ومن قرأ سورة بنى إسرائيل (س ١٧) فرقَّ قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار فى الجنة والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقيةٍ والأوقية خير من الدنيا .

ومن قرأ سورة الكهف (س ١٨) فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة تكون . فإن خرج الدجال فى تلك الثمانية الأيام عصمه الله من فتنة الدجال .

ومن قرأ عند مضجعه (س ١٨ آ ١١٠) « إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ » إلى آخرها كان له نور يتلألأ إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه ، فإن كان مضجعه مكة كان له نور يتلألأ إلى البيت المعمور وحشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ .

ومن قرأ سورة مريم (س ١٩) أعطى حسنات بعدد من كذَّب زكرياء وصَدَّق به ويحيى ، ومريم وعيسى ، و إبراهيم ، و إسماعيل ، و إسحاق ، و يعقوب وموسى ، وهارون ، و إدريس صلوات الله عليهم و بعدد من دَعَا لله ولدا ، و بعدد من لم يدع لله وَلدا .

ومن قرأ سورة طه (س ٢٠) أعطاه الله ثواب المهاجرين .

ومن قرأ الأنبياء (س ٢١) حاسبه الله حساباً يسيراً ، وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر الله اسمه فيها .

ومن قرأ سورة الحج (س ٢٢) أُعطى من الأجر حجَّة وعُمْرة بعدد من حج واعتمر فيما مضى أو فيمن مضى ومن بقى .

ومن قرأ سورة المؤمنين (س ٢٣) بشرته الملائكة بروح وريحان وما تقرّ به عينه عند نزول ملك الموت به .

ومن قرأ سورة النور (س ٢٤) كان له عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة

ومن قرأ سورة الفرقان (س ٢٥) بعث يوم القيامة وهو موقن أن الساعة آتية لا ريب فيها ودخل الجنة بغير حساب .

ومن قرأ طسم الشعراء (س ٢٦) كان له [من الأجر[1]] عشر حسنات بعَدَدِ من صدق موسى وكذبه .

ومن قرأ طس النمل (س ٢٧) كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من كذب موسى وصدقه ، و إبراهيم ، ونوحاً ، وهوداً ، وصالحاً ، ولوطاً ، وشعيباً ، و بعدد من لم يدع لله ولداً ، و بعدد من صدق بعيسى وكذبه .

ومن قرأ طس النمل كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدَّق موسى وكذبه ، وصالحاً ، وسليمان ، ولوطاً وخرج من قبره وهو ينادى لا إله إلا الله .

ومن قرأ طسم القصص (س ٢٨) كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق موسى وكذبه ولم يبق ملك فى السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقاً (س ٢٨ آ ٨٨) « كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » .

ومن قرأ العنكبوت (س ٢٩) كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المؤمنين والمنافقين .

---

(١) فقد من الأصل

ومن قرأ سورة الروم (س ٣٠) كان له من الأجر عشر حسنات ، بعَدَد كل ملكٍ يسبح ممن فى السموات والأرض وأدرك ماضَيَّع من يومه وليلته .

ومن قرأ لقمان (س ٣١) كان له يوم القيامة لقمان رفيقاً ، وأُعطى من الحسنات عشراً عشراً بعدد من عمل المعروف ، ومن عمل المنكر .

ومن قرأ الم تنزيل السجدة (س ٣٢) وتبارك الذى بيده الملك (س ٦٧) . أُعطى من الأجر كأنما أحيا ليلة القدر .

ومن قرأ سورة الأحزاب (س ٣٣) وعلمها ما ملكت يمينه وأهله أعطى أماناً من عذاب القبر .

ومن قرأ سورة سبأ (س ٣٤) لم يبق رسول ولا نبى إلاَّ كان له يوم القيامة رفيقاً ومصافحاً .

ومن قرأ سورة الملائكة(س ٣٥) دعته يوم القيامة ثمانية أبواب من أبواب الجنة يدخل من أيها شاء .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لكل شىء قلباً و إن قلب القرآن يٓس، فمن قرأ يٓس(س ٣٦) يريد بها الله غفر له وأعطى من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتى عشرة مرة . أيما مسلم قرئت عنه إذا نزل بهملك الموت كان له بعددِ كل حرف من سورة يٓس عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفاً يصلون عليه و يستغفرون له ، و يشهدون غسله ، و يتبعون جنازته ، و يصلون عليه ، و يشهدون دفنه . وأيما مسلم قرأ يٓس وهو فى سكرات الموت ، أوقرأت عنده ، لم يقبض ملك الموت رُوحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة فيشر بها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت رُوحه وهو ريان ، ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان .

ومن قرأ سورة الصافات (س ٣٧) أُعطى عشر حسنات بعدد كل جنّى وشيطان ، وتباعدت منه مردة الشياطين ، و يشهد له حافظاه أنه مؤمن بالمرسلين .

ومن قرأ سورة ص (س ٣٨) كان له بكل جبلٍ وشجرة تُسَبِّح لله ثواب وحسنات ، وعصم أن يُضرّ على ذنبٍ صغير أو كبير .

ومن قرأ سورة الزمر (س ٣٩) لم يقطع الله رجَاءه يوم القيامة ، وأعطاه الله ثواب الخائفين الذين يخافون الله عز وجل .

ومن قرأ المؤمن (س ٤٠) لم يبق نبى ولا صديقٌ ولا شهيدٌ ، ولا مؤمن إلا صلى عليه واستغفر له .

ومن قرأ حم السجدة (س ٤١) أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف منها .

ومن قرأ حم عسق (س ٤٢) كان ممن تصلى عليه الملائكة ويسترحمون .

ومن قرأ الزخرف (س ٤٣) كان يوم القيامة ممّن قال (آ ٦٨) « يَاعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ ٱلْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ » .

ومن قرأ الدخان (س ٤٤) فى ليلة جمعة غفر له ، وإن قرأها فى سائر الليالى كانت له نوراً يوم القيامة .

ومن قرأ سورة حم الجاثية (س ٤٥) سكن اللهُ رَوعَه وستَر عورتَه عند الحِسابِ .

ومن قرأ سورة الأحقاف (س ٤٦) كتب له عشر حسنات بكل رملة فى الدنيا .

ومن قرأ سورة محمدٍ (س ٤٧) صلّى الله عليه وسلم ، كان حقاً على الله أن يسقيه من أنهار الجنة .

ومن قرأ سورة الفتح (س ٤٨) كان كمن بايع تحت الشجرة معَ محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن قرأ سورة الحجرات (س ٤٩) أُعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من أطاع الله ومن عصاه .

ومن قرأ سورة ق (س ٥٠) هَوّن الله عليه تاراتِ الموت وسكراته .

ومن قرأ سورة الذاريات (س ٥١) أعطاه الله عشر حسناتٍ بعدد كل ريح هبَّ وخرَّب فى الدنيا .

ومن قرأ سورة والطور (س ٥٢) كان حقاً على الله أن يؤمنه من عذابه ويتنعم فى الجنان .

ومن قرأ سورة والنجم (س ٥٣) أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به .

ومن قرأ سورة اقتربت الساعة (س ٥٤) فى كلّ غبٍ ، بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر ، وإن قرأها كل ليلة ، كان ذلك أفضل .

ومن قرأ سورة الرحمن (س ٥٥) رحم الله ضعفه وأدَّى شكر ما أنعم الله عليه .

ومن قرأ سورة الواقعة (س ٥٦) لم يكتب من الغافلين .

ومن قرأ سورة الحديد (س ٥٧) كتب من الذين آمنوا بالله ورسوله .

ومن قرأ سورة المجادلة (س ٥٨) كان يوم القيامة فى حرم الله .

ومن قرأ سورة الحشر (س ٥٩) لم تبق جنة ، ولا نار ، ولا عرش ، ولا كرسىّ ، ولا الحجب ؛ ولا السموات السبع والأرض ، والهواء ، والريح ، والطير ، والجبال ، والشجر ، والشمس ، والقمر ، والملائكة إلاّ صلوا عليه واستغفروا له . وإن مات من يومه وليلته كان شهيداً .

ومن قرأ الممتحنة (س ٦٠) كان له المؤمنون والمؤمناتُ شفعاء يوم القيامة .

ومن قرأ الصف (س ٦١) كان عيسى بن مريم مُصَلياً مستغفراً له مادام فى الدنيا ، وإذا مات كان رفيقه .

ومن قرأ سورة الجمعة (س ٦٢) كتب الله له عشر حسنات بعدد من ذهب إلى الجمعة أو لم يذهب .

ومن قرأ سورة المنافقين (س ٦٣) برىء من النفاق .

ومن قرأ سورة التغابن (س ٦٤) رفع عنه موت الفجأة .

ومن قرأ سورة الطلاق (س ٦٥) مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن قرأ سورة لم تحرّم (س ٦٦) أعطاه الله توبةً نصوحاً [١] .

ومن قرأ سورة ن والقلم (س ٦٨) كان له ثواب الذين حَسَّنَ الله أخلاقهم .

ومن قرأ سورة الحاقة (س ٦٩) حاسبه الله حساباً يسيراً .

ومن قرأ سورة سأل سائل (س ٧٠) أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم حافظون .

ومن قرأ سورة نوح (س ٧١) كان من المؤمنين الذين لحقتهم دعوة نوح .

ومن قرأ سورة الجن (س ٧٢) كان له بكلّ جنّى صَدَّق بمحمد صلى الله عليه وسلم وكَذَّب ، به عتق رقبة .

ومن قرأ سورة المزمل (س ٧٣) رفع الله عنه العسر فى الدنيا والآخرة .

ومن قرأ سورة المدثر (س ٧٤) أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صَدَّق بمحمد صلى الله عليه وسلم بمكة وكذب به .

ومن قرأ سورة القيامة (س ٧٥) شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة أنه كان مؤمناً بيوم القيامة .

ومن قرأ سورة هل أتى (س ٧٦) كان جزاؤه على الله جنة وحريرا .

ومن قرأ المرسلات (س ٧٧) كُتِبَ له أنه ليس من المشركين .

ومن قرأ عم يتساءلون (س ٧٨) سقاه الله من برد الشراب يوم القيامة .

ومن قرأ والنازعات (س ٧٩) لم يحبس فى الحساب يوم القيامة حتى يدخل الجنة إلاَّ قدر الصلاة المكتوبة .

ومن قرأ عبس (س ٨٠) كان وجهه يوم القيامة ضاحكا مستبشراً .

---

(١) لايوجد هنا جزاء من قرأ سورة الملك (س ٦٧) لأنه ذكر تلك السورة مع س ٣٢

ومن قرأ إذا الشمس كُوِّرَت (س ٨١) أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته .

ومن قرأ إذا السماء انفطرت (س ٨٢) كتب له بكل قطرة من ماء حسنة ، و بعدد كل قبر حسنة ، وأصلح الله سيآته يوم القيامة .

ومن قرأ و يل للمطففين (س ٨٣) سقاه الله من الرحيق المختوم (. آ ٢٥)

ومن قرأ إذا السماء انشقت (س ٨٤) أعاذه الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره .

ومن قرأ والسماء ذات البروج (س ٨٥) أعطاه الله من الأجر بعدد كل جمعة وكل غربة فى الدنيا عشر حسنات .

ومن قرأ والسماء والطارق (س ٨٦) أعطاه الله بعـدد كل نجم فى السماء عشر حسنات .

ومن قرأ سبح (س ٨٧) أعطاه الله عشر حسنات بكل حرف أنزله الله على إبراهيم ، وموسى ، ومحمد عليهم السلام .

ومن قرأ سورة الغاشية (س ٨٨) حاسبه الله حساباً يسيراً .

ومن قرأ الفجر (س ٨٩) فى ليالى العشر غفر الله له ؛ ومن قرأها فى سائر الأيام كانت له نوراً يوم القيامة .

ومن قرأ لا أقسم (س ٩٠) أعطاه الله أمانا من غضبه يوم القيامة .

ومن قرأ والشمس (س ٩١) فـكأنما تصدّق بكل شىء طلعت عليه الشمس والقمر .

ومن قرأ والليل (س ٩٢) أعطاه الله حتى يرضى ، وأعفاه من العسر ويَسَّرَ له اليسر .

ومن قرأ والضحى (س ٩٣) جعله الله يوم القيـامة فيمن يرضى بمحمد أن يشفع له ، وكتب له عشر حسنات بعدد كل يتيم وسائل .

ومن قرأ ألم نشرح (س ٩٤) أعطى من الأجر كمن لقى محمداً صلى الله عليه وسلم مغتمًّا ، يفرِّج عنه .

ومن قرأ والتين (س ٩٥) أعطاه الله خصلتين اليقين والعافية مادام يفعل الصلاة ، وكتب له بعدد من قرأ هذه السورة صيام يوم .

ومن قرأ إقرأ باسم ربك (س ٩٦) أعطى من الأجر كأنما قرأ المفصل كله .

ومن قرأ إنا أنزلناه (س ٩٧) أعطاه الله من الأجر كمن صام رمضان ووافق ليلة القدر .

ومن قرأ ألم يكن (س ٩٨) كان يوم القيامة من خير البرية مشهداً ومقيلا .

ومن قرأ إذا زلزلت الأرض (س ٩٩) أعطاه الله من الأجر كأنما قرأ البقرة (س ٢) .

ومن قرأ والعاديات (س ١٠٠) أُعطى من الأجر ، أراه قال ، بعدَدِ من بات بالمزدلفة .

قال : حدثنا يحيي بن حبيب ، حدثنا مُعْتمر بن سليمان ، حدثنا هشام بن حسّان قال : بلغه أن العاديات تعدل ثلث القرآن .

ومن قرأ سورة القارعة (س ١٠١) ثقل الله بها منزلته يوم القيامة .

ومن قرأ الهاكم (س ١٠٢) عافاه الله من أن يحاسب بالنعمة التى أنعم عليه بها .

ومن قرأ سورة والعصر (س ١٠٣) ختم الله له بالصبر ، وكان من أصحاب الحق .

ومن قرأ ويل لكل همزة لمزة (س ١٠٤) أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

ومن قرأ سورة أَلَمْ تر (س ١٠٥) أعاذه الله من العذاب والمسخ فى دار الدنيا .

ومن قرأ لإيلاف (س ١٠٦) أعطاه الله من الأجر بعدد من طاف حول الـكعبة واعتكف بها .

ومن قرأ أرأيت (س ١٠٧) غفر الله له ، إن كان الزكاة مؤدياً .

ومن قرأ الـكوثر (س ١٠٨) سقاه الله من كل نهر فى الجنة ، وكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قرّبه هو فى يوم نحر أو قرّبَ به غيّرُه .

ومن قرأ يأيها الـكافرون (س ١٠٩) أعطى من الأجر كأنما قرأ ربع القرآن ، وتباعدت منه مردة الشياطين ، وتعافى من الفزع الأكبر يوم القيامة .

ومن قرأ إذا جاء نصر الله (س ١١٠) أُعطى من الأجر كمن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة .

ومن قرأ تبّت (س ١١١) أرجو أن لا يجمع الله بينه و بين أبى لهب فى دار واحدة .

ومن قرأ قل هو الله أحد (س ١١٢) أعطى من الأجر كأنمـا قرأ ثلث القرآن ، وأعطى عشر حسنات بعدد من أشرك بالله وآمن بالله .

ومن قرأ قل أعوذ برب الفلق ؛ وقل أعوذ برب الناس (س ١١٣ ، ١١٤) فـكأنما قرأ جميع الـكتاب الذى أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم .

فتأمل رحمك الله هذا الحديث بطوله وفيه أربع من الفوائد :

أحَدها : الترغيب فى قراءة كل سورة على حيالها .

والثانية : بيان أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن على أُبىّ مرتين فى السنة التى قبض فيها . وذلك يدُل (على) أنه كان مجموعاً فى حياته ليس أنه جمع بعد موته صلى الله عليه وسلم .

والثالثة : مافيه الدلالة على أن سور القرآن ترتيبها على ما كتبه زيد فى المصحف . وقد كان محفوظاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و إن كان الـكثير منهم قد كان يقرؤها على غير الولاء ، ولـكن على ما اتفق له حفظه وكتابتهُ .

والرابعة : مافيه من ذكر عدد سور القرآن ، فإن القرآن جملتهماية وأربع عشرة سورة على التأليف الذى جمع بين الدفتين ، واجتمع عليه المهاجرون والأنصار ، إلاما كان من ترك ابن مسعود كتابة المعوذتين وفاتحة الكتاب فى مصحفه اعتماداً منه فيها على حفظ العامة لها حتى لايخاف عليها النسيان .

وأما ماذُكر عن أُبىّ بن كعبٍ أنه عَدَّ دُعاء القنوت[1] : « أللَّهُمَّ إنّا نَسْتَعِينُكَ » إلى آخره سورة من القرآن ، فإنه إن صح ذلك عنه ، فإنه كتبها فى مصحفه لاعلى أنها من القرآن بل ليحفظها ولا ينساها احتياطا ، لأنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم كان يقنت بها فى صلاة الوتر .

وكانت صلاة الوتر أوكد السُنن فاحتاط عليها لذلك أشدَ مما احتاط على سائر السنن ، وقد يكتب الرجل فى كتابه ما تكون عنايته بهأشدَّ . والذى يدل على صحة هذا الوجه أنه رضى الله عنه لم يذكرها فيما ذكره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثواب من يقرأ كل واحدة من سور القرآن ، فهو إذاً إن قال فيها شيئاً فهو أنه جعلها مما أوحى الله عز وجلَّ إلى رسوله صلى الله عليه وسلم مما سوى القرآن ، ليس أنه عدها فى سورِ القرآن . وذكر أنه رضى الله عنه داخلته الشبهة من حيث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك فى تضاعيف أوقاتٍ كان يقرأ فيها القرآن فظنه من القرآن ، ولا يستنكر دخول الشبهة على واحدٍ ، ولا أُحِقُّ هذا الوجه لأنه رضى الله عنه كان فى العلم والدراية أَجَلَّ من أن يخفى عليه القرآن ، ويَلْتَبس عليه غيرهُ ، سيما وقد قرأ (عليه) رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن مرتين . والذى يؤيد ماذكرناه اتصال القراءة به كما ذكرناه ، ولم يذكر واحد من أولئك الأئمة عنه أنَّه عَدَّهما فيما قرأوا عليه .

وذُكر عن بعض المتقدمين أن القرآن مائة وثلاث عشرة سورة . وذلك على أنهم جعلوا الأنفال (س ٨) ، وبراءة (س ٩) ، سورة واحدة ، ولذلك

---

(١) انظر الاتقان للسيوطى ص ١٥٣ .

جُمعتا فى الذكر فى الحديث الذى رويناه عن أُبى ،وجمعه المعوذتين أيضاً وهما سورتان بلا اختلافٍ ، إلاَّ أن الأنفال و براءة لما جُعِلتا من السبع الطُّوَالِ اشتبه أن تكونا عندهم سورة واحدة .

فإن قيل : فكيف قدم الله تعالى سورة البقرة (س ٢) على سورة الأنعام (س ٦) ، والأنعام نزلت قبلها ؟ قلنا : فى ذلك ثلاثة أجوبة :

أحدُها : أن هذا داخل فى الشكل الذى استأثر الله تعالى بعلمه ، وستره عن جميع الخلق ، إذ كانوا لايضطرون إلى ما فيـه ، ولا معرفة بهم إلى علمه ودرايته ، ولا ضرر يلحقهم فى غموض علمه عَلَيْهم والإيمان به على هذه الجهة ينفعُهم وَ يُوفرّ حقهم من ثواب الله تعالى كما ستر عن العالم تعيين المؤذن فى قوله تعالى (س ٧ آ ٤٤) : « فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ ٱللهِ عَلَى ٱلظَّالِمِينَ » وَلم يُعلِمْهُم أهو من الملائكة أم من الآدميين أو من الجن .

والثانى : أن الله تعالى قدم المدنى على المكىّ لأنه خاطب العرب بلغتها ، وما تَعرفُ من أفانين خطابها ومحاورتها ، فلما كان كلامهم مبنياً على تقديم المؤخر وتأخير المقدم ولو نقدوه من القرآن لقالوا ما باله عرِى من هذا الباب الموجود فى كلامنا المستخلَى من نظامنا . قال عبيد بن الأبرص :

مَا أن تبَدَّلَتْ مِنْ أَهْلِهَا وُحُوشاً ... وَغيَّرتْ حَالَهَا اُلخطُوب
عيْنَاكَ دَمْعُهُما سَرُوب ... كَأَنَّ شأنَيْهِمَا شَعِيب

أراد عيناكَ دمعهما سرُوبُ إلا أن تبدلت من أهلها وحوشاً فقدم وأخّر .
وقال الفرزدق :

إنَّ الفرزدقَ صَخْرَةٌ مَلمومةٌ ... طالت فَلَيْسَ تَنالُهَا الأوعال

أراد طالت الأوعال فليس تنالها فقدم وأخر . وقال جرير :

طَافَ الخيالُ وَأَيْنَ منك لمَامَا

أراد طاف الخيال لماما وأين هو منك . وقال ذُو الرّمة :

أأنْ ترَسَّمْتَ مِنْ خرقاءَ مَنْزِلَةً   مَاءُ الصَّبَابَةِ من عَيْنَيكَ مَسجُومُ

أراد ماء الصبابة من عينيك مسجوم لأن ترسمت من خرقاء منزلة ، فقدم وأخر . ونظائرها كثيرة . والذى يؤيد الوجه الأول و إن إستتار علم ذلك اختيار من الله تعالى ، ماروى عن الربيع بن خثيم أنه قال: إن الله تعالى أنزل هذا القرآن واستأثر منه بعلم ما شاء ، واطلعكم على ما شاء . فأما الذى استأثر به لنفسه فلستم بنائليه فلا تسألوا عنه . وأما الذى أطلعكم عليه فهو الذى نسائل (١) عنه فتخبرون به . وما كل القرآن تعلمون ولا بكل ما تعلمُونَ تعملون .

الثالث : هو أنَّ سورة الأنعام (س ٦) و إن كانت مكية النزول ، وقرع بها أهل مكة فهم و إن كانوا خطباء مبرزين ، وشعراء مفلقين فهم كانوا أمة أُميين لا عهد لهم بالكتاب والكتابة ، فدخل خاصَّتُهم فى جملة الجهال ، وأهل المدينة و إن كانوا كفاراً فإنهم كانوا من اليهود ، و يتعاهَدُون الكتب و يتدارسونها ويستمعون إليها ويُحصِّلونها ، فدخلوا فى جملة العلماء . وكما وجب تقديم العلم على الجهل فكذلك وجب تقديم حملة العلم على الأميين فى الخطاب ، فإن ذنب العالم أقبح من ذنب الجاهل ، وليس الذى هو محجوج بحجة العقل كالذى هو محجوج بحجة السمع ، فأوجبت الحكمة الابتداء فى التكلم بالسور المدنية و إن تأخرت فى النزول . و يؤيده قوله تعالى : (س ٣٩ آ ٩) « هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » ؟ وهذا من لطائف القرآن . و بالله التوفيق .

---

(١) كذلك فى الأصل والمراد تسائلون

الفصل الرابع

فى بيان ما ادعوا على المصحف من الزيادة والنقصان والخطأ والنسيان والكشف عنها بأوجز البيان

و إذ قد بيّنا الكلام فى أن القرآن تكلم سبحانهُ به على هذا الترتيب الذى هو فى أيدينا اليوم ، لاعلى ترتيب النزول ، واوضحنا الحجج فيه من دلائل الأخبار والإجماع والمعقول ، فبِنَا أن نأخـذَ فى ذكر ما ادَّعى على المصحف من الزيادة والنقصان،والخطأ والنسيان ، لأنهم يتذرعون بذلك على ابطال حكم القرآن ظناًمنهم أنهم يُدحِضُون محكمات البرهان . زعموا أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه أسقط من المصحف خمسمائة حرف . وقد بيَّنا فيما قبلُ ما يكفينا القول فيه من اتفاق الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على تأليفه ورضاهم بمصحفه .

ولو كان كما قالوا لعارضه الحفَّاظ الذين حفظوا جميع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما وافقوه وتابعوه على إنكار هذا الباطل ونظائره كان فى هذا برهان على أن جميع ما ذكروه باطل . ولأنه لو كان كما زعموا لكان علىّ رضوان الله عليه حين افضت الخلافة إليه يتداركها . لأن من أقر الخائن على خيانته كان كفاعلها إذا أمكنه ردُهَا فكيف وهو الإمام المطاع . ولو كان من ذلك شىء لنقل إلينا كما نقل حرقه الرجل الذى قال له : أنت أنت بالنار ، وأنشد :

إنى إذا رَأَيْتُ أمْراً مُنكراً   أوقدتُ ناراً ودَعَوتُ قنبرا

لكان يحمل الناس على الحق ويمنعهم عن الباطل ، ولكان أولى الناس باتباعهِ أصحابُه الذين رووا عنه وجوه الأخبار والرّوايات والقصص والقراءات .

فإن قيل : كيف يصح ما أسستَ عليه كلامك ؟ وهديتَ إليه نظامك ؟

وقد روى عن اُبن عباس قال : قال عمر بن الخطاب وهو يخطب على المنبر : إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً بالحق ، وأنزل معه الكتاب ، وكان فيما أنزل عليه آية الرجم ، ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده ، و إنى أخاف أن يطول بالناس زمان فيقول قائل : والله ما نجد الرجم فى كتاب الله فيضلوا لترك فريضة أنزلها الله تعالى ، ألا وإن الرجم حقٌّ على من زنى إذا أحصن ، وقامت البينة أو كان الحمل والاعتراف . ثم قد كنا نقرأ « لَا تَرْغَبُوا عن أبائكم فإنه كُفْرٌ بكم . أو أن كفراً بكم أن ترغبوا عن أبائكم » . وفى بعض الروايات ، وقرأنا آية الرجم وَوَعيناهَا وعقَلناها .

وروى عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : يأيها الناس : قد سُنَّتْ لكم السُّنن وَتركتم على الواضحة إلا أن تضلوا بالناس يميناً أو شمالا،وآية الرجم فلاتضلوا عنها فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجم ورجمنا، فلا تقولن : لا نجد حدّين فى كتاب الله فإنها قد أنزلت وقرأناها « الشيخ والشيخة فارجموهما البتة » ولولا أن يقال زاد عمر فى كتاب الله لكتبتها بيدى .

وفى رواية أخرى عن عمر رضى الله عنه أن آية الرجم قد أنزلت وقرأناها ونحن لانجدها فيما بين الدفتين .

قلنا : إن هذه الأخبار آحادٌ لايجوز الاعتراض بأخبار الآحاد على ما ثبت بالتواتر ، بل يجب أن تطلب لها وجوه تنزل عليها وتساق إليها ليجمع بين الآحاد كلها و يقال بموجبها ، ولأن كل مابين الدفتين قدبان عن غيره لعجيب نظمه الذى عجز عنه الأولون والآخرون من أهل اللسان . وما عداه فقد دل نظمه على أنه ليس بمعجز ، وأنه ليس بقرآن . فإذاً وجه الرواية فى آية الرجم يحتمل ، والله أعلم ، أن يكون معناه ، كنا نرويها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على عهده فعبَّر عن الرواية بالقرآة ، ومنه يقال ، ومنه يقال : فلان يقرأ الحديث والسنن على فلان .

والذى يؤيد هذا التأويل قوله : لولا أن يقال زاد اُبن الخطاب فى كتاب الله

لكتبتها فى المصحف ، ولايقال زاد فيه لما عُرف أنه متصل ، لكنه لما كانت عنده سنة مؤكدة ، وحكماً لازماً ، حث على حفظها وقراءتها ودراستها لئلا يغفل الناس عنها كما حث على حفظ آى القرآن .

والذى يؤكد هذا التأويل حديث ذكره محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه قال : أخبرنا أحمد بن نجد بن العدنان قال : حدثنا سعيد بن منصور قال : حدثنا ابن شهاب عبد ربه ، عن عوف الأعرابيّ ، عن الحسن أن عمر قال : لقد هممت أن ادعو بنفر من المهاجرين والأنصار ، معروفة أسماؤهم وأنسابهم ، وا كتب شهادتهم فى ناحية المصحف . هذا ماشهِدَ عليه عمر بن الخطاب وفلان، وفلان يشهدون : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم فى الزنى ، وإنى خفتُ أن يجىء قوم من بعد يرون أن لا يجدونها فى كتاب الله فيكفرون بها .

ومما يدل عليه أنه لو كان من القرآن لاثبته فى المصحف ، ولما تركه بقول الناس لأن ما كان قرآناً فإنه لا يترك مخافة قولهم لأنهم لايقولون لما كان قرءآناً أنه ليس بقرآن .

فإن قيل : فما الذى خافه عُمر من إثباته ؟ .

قلنا : إنما خاف أن يثبت فى المصحف ماليس منه فيقال زاد فى القرآن ، ولعل من ينظر فيه يضيفه إلى سائر مافى المصحف من القرآن فيكون هو سبب ذلك . وكان مقصوده من هذا القول إثبات وجوب الرجم وفرضه . لا أنه من القرآن المتلو فى المصحف . وتخصيصه كتابتها فى حاشية المصحف دون إثباته دليل على أن تأويله ماذكرناه .

وأيضاً فإن عمر كان يحث أبا بكر الصديق رضى الله عنهما على جمع القرآن صيانة له ولحفظه ؛ فكيف يجوز عليه أن يترك إثبات ماهو قرآن عنده ولا يكتبه فى المصحف مع حرصه على جمعه وحفظه وصيانته ؟ ولأن أبا بكر جمع القرآن فى أيامه فلم يكن عمر ليثبت فى المصحف مالم يره أبو بكر منه . ولأن الستة الذين

جمعوا القرآن وحصلوه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو خفى على عمر شيء من القرآن لسألهم عنه فإن عرفوه أثبتوه ، و إن لم يعرفوه لم يثبتوه ، وكان بهم مستغنياً عن شهادة العدول . ومحال أن يكون أبو بكر أسقط من القرآن شيئاً احتاج عمر إلى إثباته .

وقد أجاب بعض العلماء عن هذا الخبر بأن قال : إنه كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم فى الابتداء من الأمر والنهى والجواب عن السؤال . وفى حادث يحدث مايقضيه الله عز وجل من غير أن يكون ذلك قرآناً يجب إثباته فى المصحف، أو تجوز الصلاة به ، و يشافهه جبريل عليه السَّلام بذلك ، فيكون ذاك رسالة مؤدَّاة ، فينتهى إليه ويمتثله . وَلَا يثبت به قرآن ، محتمل أن يكون ما ذكر فى هذا الخبر وأمثاله نزل على هذه الجهة فثبت حكمها بأمر الله عز وجل ، ولم يثبت رسمها لأنها لم تنزل على الجهة التى كان ينزل القرآن المتلو فى الصلاة عليها ، على ما أخبرت به عائشة رضى الله عنها إنه لما نزل عليه مانزل من القرآن فى شأن أهله علته وغشيته وتخلله فتور كالقبضة أو النوم حتى غرق وَغَطَّ فى غشيته ، ثم سرى عنه وأفاق وقد نزل مانزل عليه فى شأنها ، وكان يسمى ذلك فى وقت نزوله قرآناً ، ووحياً ، وكتاباً ، وتنزيلا مضافاً إلى الله عز وجل ، إذ هو قرآن على معنى أنه يقرأ ، إذ كان ما يقرأ جاز أن يسمى قرآناً فى مجاز اللغة ، وكتاب روحى ، وتنزيل على هذا الوجه . وقد قال بعض أهل العلم فى قوله تعالى : (س ٣٣ آ ٣٤) « وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ايَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ » إن الحكمة ما كان ينزل على هذه الجهة .

ومما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : أوتيت القرآن ومثله معه ، إنه الحكمة . ومعنى قوله : ومثله معه . هو : ما كان على هذا الوجه الذى ذكرناه مما فيه إعلام حكم و إثبات قضية لا إثبات رسم ولا إنزال قرآن . وقوله صلى الله عليه وسلم لأبى العسيف : سأقضى بينكم بكتاب الله ، ثم قضى بالرجم وليس له ذكر فى

كتاب الله عز وجل ، فإنه عنى بقوله : كتاب الله ، حكم الله الذى أنزله على الوجه الذى ذكرناه .

وقال بعض أهل العلم : أراد بقوله : فى كتاب الله ، حكم الله ، نظير قوله : (س٩٨ آ٣) « فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ » ، أى أحكام عادلة ، وقوله : (س ٥ آ ٤٥) « وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ » ، أى حكمنا . وقول الشاعر :

وَمَا ذَاكَ قال الله إذ هُو يكتبُ ومَالَ الْوَلاء بالْبلاء ومِلْتُم

أى يحكم ، مع أن وجه الدلالة فى هذا الحديث إنهم إذ لم يكتبوا آية الرجم مع شهادة عمر بها ، ومع معرفتهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ، وأن الرجم من فرائض الله ، ولم يكتب عمر بيده مع ماقطع القول بأنها آية أنزلها الله ، ومع ما أنه أمير المؤمنين ، فكيف يظن بهم أنهم كتبوا آية فى المصحف بشهادة رجل أو رجلين لولا أن الوجه فى ذلك ماقلناه ؟

وكذلك الدلالة من قول عمر على أنه إنما كان يجعل ذلك بمنزلة الشهود ، لم يكن يجعله مما يودع المصاحف ويتلى فى الصلوات أوضح وأظهر . ألا ترى أنه قال: لولا أن الناس يقولون : زاد عمر فى كتاب الله ، لكتبتها بيدى ؟ أخبر أنه إن كتبها ظن الناس أنها من القرآن ، وإن كان قد تجب كتبتها لئلا يتادّى الزَمان إلى دروس حكمها لولا ماحذر من ظن يعرض للناس أنها كسائر آيات القرآن . وإلاّ فإن عمر قد كان بحيث لاتأخذه فى الله لومة لائم ، ولئن ظن ظناً فى ذلك فليس ذلك أيضاً مما يبعد . وجملة الأمر : إن امتناع الأمة من إلحاق ماذكر عن أُبيّ ، وعن عثمان ، بالمصحف دليل واضح على أنهم إنما أخذوا القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذاً ظاهراً جلياً ، لم يخالجهم فى شىء من آياته وكلماته شك . ولم يعتمدوا فى ذلك على قول الآحاد وإن قال القائل معظماً فيهم .

فإن قيل : أليس قد روى عن زر بن حبيش قال : قال أُبيّ بن كعب : كم آى تقرأ بسورة الأعراف (س ٧) ؟ قلت ثلاثاً وسبعين أو ثنتين وسبعين . قال

قط ؟ قلت : قط . قال : والله لقد كانت توازى سورة البقرة (س ٢) . ولقد كانت أطول ، ولقد كان فيها آية الرجم . قلت : يا أبا المنذر وما آية الرجم ؟ قال : « إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالاً من الله . والله عزيز حكيم » .

قلنا : إن هذا الحديث ليس من الصحة[1] بحيث تجب به الحجة ، فضلاً عن الزيادة فى القرآن به : لأن أهل النقل قد ضعفوا سنده . ثم إن صح احتمل أن يكون معناه أن تفسيرها كان يوازى سورة البقرة ، وأن فى تفسيرها ذكر الرجم الذى وردت به السنة فى قوله تعالى (س ٣٢ آ ٥٠) « قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ » فيكون ما فرض عليهم فى أزواجهم الرجم على الحرائر ، والجلد فيما ملكت أيمانهم . وقوله تعالى (س ٣٣ آ ٣٣) « وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى » . وقوله تعالى (س ٣٣ آ ٣٤) « وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ » . وقد ذكرنا ما قيل فى تفسير الحكمة ، وقد قيل : إن الحكمة السنة ، وآيات الله القرآن ، وهى حكمة أيضاً . ولولا أن ذلك كذلك لما كان عمر يمتنع من إثباتهما فى الكتاب ،وهو خليفة مطاع ، وقد شهد به مثل عمر ، وأبى بكر ولم ينكره المهاجرون والأنصار .

وقد أجاب بعض العلماء عن هذا الخبر بأن كل مالم يكتب بين الدفتين مما ورد الخبر بأنه قرآن ، أو هو مما أُنزل ، فهو من الجنس الذى كان ينسخ ، فيرفع من صدور الرجال أيضاً . فلا يكون محفوظاً[2] بالقلوب ، ولا مكتوباً[2] فى المصاحف . والذى يزيد على ما فى أيدينا من سورة الأحزاب (س ٣٣) قد رفع ونسخ رسمه وحكمه إلا آية الرجم فإنه نسخ رسمه و بقى حكمه .

والذى يؤيد هذا المعنى قول أُبيّ فى الخبر إنها كانت فيما مضى توازى سورة

---

(١) فى الأصل : فى الصحة

(٢) فى الأصل : محفوظة ومكتوبة .

البقرة ، ولفظه كان إخباراً عما مضى ، فكأنه أراد أنها كانت فيما مضى توازى سورة البقرة ،وأنها الآن لاتوازيها لما وقع من النسخ فى الزيادة على مافى المصحف.

ومن الدليل على أن فى القرآن مانسخ ورفع ومحى حفظه من صدور الرجال ماروِىَ أن رجلاً قام من الليل ليقرأ سورة من القرآن فلم يقدر على شىء منها ، وقام آخر ، وقام ثالث ، فذكر الحديث إلى أن قال : فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنها مما نسخ الله البارحة .

وقد قيل إن هذا من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم ، فإن رفع المحفوظ من القلوب فى باب الإعجاز لحفظ الكثير فى المدة اليسيرة ، ولا يكون ذلك إلاَّ وقت النبوة للدلالة على صدق رسالته .

فإن قيل : أليس روى عن عَاصم ، عن زرّ قال : فى قراءة أُبيّ بن كعب : « ابن آدم لو أُعطى وادياً من مال لالتمس ثانياً ، ولو أُعطى واديين من مال لالتمس ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلاَّ التراب و يتوب الله على من تاب » .

وَرُوِىَ عن عكرمة قال : قرأ علىّ عاصم ُ لم يكن (س ٩٨) ثلاثين آية هذا فيها .

قلنا : ذكر أُبن الأنبارى أن هذا باطل عند أهل العلم لأن قراءتى أُبن كثير وأبى عمرو متصلتان بأُبىّ بن كعب لايفرقان فيهما هذا المذكور فى لم يكن (س ٩٨) ، مع أن هذا معروف فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، على أنه من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم لا يحكيه عن رب العالمين فى القرآن . وَمَا يرْويه أُثنان معهما الإجماع أثبت مما يحكيه واحد مخالفاً مذهب الجماعة لاسيما والقرآن كل آية فيه مُعجزةٌ حجةٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم على المخالفين .

فإذا خرجت من القرآن آية عن جملته فصارت فى كلام المخلوقين زايلها الإعجازُ وكما لايُقال : قال الله تعالى هذا فى القرآن ، لما لم يقله فى القرآن ، فكذلك لايخرج

أن كتاب الله المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم شىء ينفى عن رب العالمين ، ويدخل فى كلام البشر .

والذى يؤيد ماذكرناه حديث روى عن العبّاس بن سهل قال : سمعت ابن الزبير على المنبر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن ابن آدم أُعطى وادياً ملآن ذهباً لأحب إليه ثانياً ، ولو أُعطى ثانياً لأحب إليه ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلاّ التراب ، ويتوب الله على من تاب » . وَيُبين أنه من كلام البشر اختلافُ الألفاظ فيه . ففى حال يحكى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : لو أُعطى وادياً من مال ، وتارة يروى ، وادياً من ذهب . وقد نزّه الله سبحانه القرآن عن هذا الاختلاف ونفاه عنه بقوله (س ٤ آ ٨٢) : « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كثيراً » يعنى : أنه لما كان من عند الله زال عنه الاختلاف .

وذكر الشيخ محمد بن علىّ : أن ماذكر عن أُبيّ ابن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأه إياها ، فإن لذلك وجهين :

أحدهما : أن يكون ذلك مما قد نزل به الوحى ، ثم نسخ الله تلاوته ، فعرف عامة الصحابة نسخه . ولم يعلم ذلك أُبيّ فأقام على ما أقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وعلى ذلك يَدُل ما روى عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباسٍ ، عن عمر أنه قال : علىٌّ أقضانا وأُبىٌّ أقرأنا ، وإنا لندع بعض ما يقول أُبيّ . وأُبىٌّ يقول : ما أخذت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا أدعه . وقال الله تعالى : (س ٣ آ ١٠٦) « مَانَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا » . ألا ترى إلى إستشهاد عمر بقول الله عز وجل : « ما نَنْسَخْ مِنْ آيةٍ أَوْ نُنْسِهَا » ؟ ولم يكن ليستشهد بذلك إلا ليدل على أن مايقول أُبىّ ، قد نسخ عن التلاوة .

وروى عن علقمة بن قيس أنه قال : رآنى أُبىّ بن كعب فقال : كم تعدون

سورة الأحزاب (س ٣٣) ؟ فقلت : ثلاثاً وسبعين آية . فقال أُبىّ : أما إنها كانت توازى سورة البقرة (س ٢) ولـكن ذهب رسمها . فهذا الإقرار منه يرفع ماذكر عنه فى الحديث الأول .

والوجه الآخر : وهو أولاهما عندى ، وعليه كان يعتمد شيخى أبو جعفر محمد ابن أحمد بن جعفر ؛ أن الذى ذكره أُبىّ قد كان من الوحى الذى نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مما سوى القرآن الذى هو متلو فى الصلوات ، وذلك بمنزلة السنن التى أُوحيت إليه خارج القرآن . قال الله عز وجل (س ٧٥ آ ١٨ ، ١٩) « فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ » ، فاخبر عن بيان ، بعد ما يقرؤه جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم . وقال تعالى (س ٣٣ آ ٣٤) « وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ » و إنما هى حكمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوها سوى آيات القرآن ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : أُوتيت القرآن ومثله معه .

قال : وأخبرنا إبراهيم بن المطيب قال : حدثنا عمار عن على ، عن محمد ، عن أبان . عن أنس ، عن عبادة بن الصامت قال : نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (س ٤ آ ١٥) « وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ » إلى قوله « أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً » وقال : فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين ظهرانى أصحابه إذ تربَّدَ وجهه ، وأخذته الرَّحضاء ، ثم مسح وجهه ، ثم قال : اقبلوا عنى ، ثلاث مرات قد جعل الله لهن سبيلا . قالها ثلاث مرات أيضاً البكر بالبكر ، جلد مائة وتغريب سنة ، والثيب بالثيب ، جلد مائة ورجم بالحجارة .

وروى همامٌ ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن صفوان بن يعلى بن منيه ، عن أبيه قال : كان يعلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يقول : وَدِدْتُ أنى قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أُنزل عليه الوحى ، وقال عمر : أيسرّك أن تنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الوحى ؟ قال :

فرفع الثوب فنظرت إليه وله غطيطٌ ، قال همام : أحسبه قال : كغطيط البكر . فلمّا سرى عنه قال : أين السائل عن العمرة ؟ قال : فقال : اخلع الجبة ، واغسل أثر الخلوق ، أو قال : أثر الصُفرة ، واصنع فى عمرتك ما صنعت فى حجك . و إذ قد كان هذا سبيل نزول السُّنَّة عليه ، والذى ذكره أُبيّ مما أقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مما أنزله الله خارج القرآن ، وكان أُبى يذكره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجعله وحياً أنزل عليه من غير أن يجعله قرآناً يتلى ، و إن ثبت أنه أطلق عليه اسم القرآن ، فإن ذلك على معنى اشتقاق الاسم مما يقرأ ، ليس أنه أدعى أنه مما يتلى فى الصلوات .

وكان شيخى أبو جعفر يقول : إنه لا يبعد أن يكون أُبيّ لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر تلك الكلمات عن الله ، ولعله ذكرها فى تضاعيف ما يقرؤه من القرآن على ماقد يبين الواحد منا معنى آية فى تضاعيف قراءته من غير أن سوى به قراءة القرآن ، أو ذكرها موصولة بآية يقرؤها فظن ، لذلك أنها من جملة المتلو . فليست أمثال هذه الظنون مما يمتنع على السنن ، ولم يلزمه فى ذلك حرجٌ إذ هو لم يضف إلى رَبّه تعالى ماليس من وحيه ، و إنما أضاف إلى مايجب تلاوته من القرآن ، فلم يبلغ خطاؤه فى ذلك مبلغ الحرج والضلال .

قلت : وهذا ممكن . ولكن الأخذ بغيره أولى ، لأن أُبيّ بن كعب لم يكن بالمحَل الذى يخفى عليه القرآن وحكمه فى نظمه و إعجازه فيصل به ماليس فى جَدّ نظمه ولا إعجازه ، ولا سيما وقد قرأ عليه النبى صلى الله عليه وسلم القرآن فى سَنَةٍ مرتين وأخذ عنه القراءة .

فإن قيل : أليس قد روى عن عبد الله بن أبى بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد[1] بن زُرارة ، عن عائشة أنها قالت : كان فيما يقرأ من القرآن

---

(١) فى الأصل : ابن أسعد .

فسقط ، يحرم من الرضاع عشر رضعاتٍ[١] ، ثم نسخن إلى خمس معلومات . وقد روى فى غير هذه الرواية : فكانت فى جُليد فأكله الدّاجن لاشتغالنا بموته ، تعنى موت النبي صلى الله عليه وسلم .

قلنا : هو على ماقدّمنا ذكره . إن هذا من جنس ما كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر والنهى وغير ذلك على جهة التبليغ ، لا على جهة أنه قرآن يتلى ويكتب فى المصاحف ؛ لأنه لو كان من القرآن المتلوّ المكتوب فى المصاحف لما بطل بأكل الداجن ، ولما سقط بالنسخ ، والله عز وجل يقول : (س ١٥ آ ٩) « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » ، وقال تعالى (س ٤١ آ ٤٢) « لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ » ، ولو كان من القرآن لما اجتمع الناسخ والمنسوخ فى آية واحدة ، بل كانت الآية الناسخة تتأخر عن المنسوخة ، كما لا يجوز أن يجتمع حكمان مختلفان فى وقتٍ واحدٍ ، وحالٍ واحدة ، وكيف يجوز أن يكون قرآن يتلى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ماأَخْبَرَتْ به عائشة رضى الله عنها ، ولايَحْفَظه واحد من الصحابة ؟ ولا كاتب الوحى الذى جمع القرآن فى زمن أبى بكر ، وعثمان ، وهو : زيد بن ثابت رضى الله عنهم ؟ ولو كان من القرآن لما احتمل ما يذكرون حدوثه فيه من السهو والإغفال والتفريط حتى أكله الدّاجن ، أو سقط من المصحف مع شدة حرص الصحابة رضى الله عنهم على جمعه وحفظه ، كما لم يحدث فى غيره من الآى يدل على أنه من جنس ما كان ينزل عليه على جهة التبليغ والرسالة ، لا على جهة أنه قرآن يتلَى أو يكتب .

ومن نحو هذا ماروِىَ عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال، حكايةً عن ربِّه عز وجل ، إنه قال : « كل عمل ابن آدم له إلا الصَّوم فانه لى وأنا أجزى به[٢] » .

---

(١) انظر الموطأ للامام مالك بن أنس ص ٢٢٤ ، والاتقان للسيوطى ص٥١٧

(٢) انظر صحيح البخارى ، كتاب الصوم . باب ٩ .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « أنا عند ظن عبدى بى ، فليظنّ بى ماشاء »
ونحوها أخبار كثيرة يعلم و يتيقن أنه صلى الله عليه وسلَّم لم يعلمه ولم يحكه إلا بوحى
ورسالةٍ من الله عز وجل . فمن زعم أن هذه الكلمات من عند الله عز وجل
وَوَحيه وتنزيله فقد صدق ، لأنه حُكم حَكم به وأوحاه وأنزله ، ولاتجوز تلاوة شىء
منه فى الصلاة إذ لم ينزل بالنظم الذى نزل به سائر القرآن ، الذى أمرنا بتلاوته
وكتابته فى المصاحف ، ونقله إلينا العامة عن العامة . وقال بعضهم : معنى قولها كانوا
يقرؤونها أى : فى حكم السنة لا فى حكم الكتاب ، على نحو ماذكرنا فيما تقدم أنه
يقال : تقرأ السنن والأحاديث ، لأنها لم تقل : كان يقرأ من القرآن . ومعنى قولها :
نسخن كما تنسخ السنة بعضها بعضاً ، وقولها : كانت فى صحيفة ، يجوز أن يكون من
السنة المكتوبة فى الصحيفة ، لأنهم كانوا يكتبون السنن فى الصحيفة . ألا ترى
إلى ما رُوِى أنه صلى الله عليه وسلم كتب لآل عمرو بن حزم كتاباً فى ضروب
من الفروض ، والصدقات ؟ ويحتمل إن صحت هذه اللفظة أن يكون من القرآن
متأولاً مفسراً من حكمه ، لا متلوًّا من لفظه ونظمه . ولولا أنه كذلك لما كانت
الأمة تجمع على إسقاط ماضمن الله سبحانه حفظه من الكتاب ، ومع ذلك فإنه
كيف يتوهم أن يكون ذلك قرآناً بطل ناسخه ومنسوخه بأكل الدَّاجن ؟ وكيف
يصح أن يكون الناسخ والمنسوخ قد نزلا معاً حتى كتبا جميعاً فى جُلَيْدٍ فأكلتهما
الداجن ؟ فإن قول القائل : إنهما كتبا فى رقعة واحدة منفردة عن غيرهما يشير إلى
نزولهما معاً حتى اتفق كتابتهما معاً فى موضع واحدٍ دون سائر المواضع ، ولئن كان
الذى أكله الدّاجن إحدهما دون الآخر ، وبقى الآخر ، فما بال المسلمين ماسمعوا
شيئاً من ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تفردت عائشة رضى الله
عنها بسماعه ، وتغافلت عنه إلى أن أكله الداجن . هذا والله البعيد الذىلايتوهم .
ثم إن كثيراً من الأخبار قدنقلها قوم يحبُّون نقل الغريب والشهرة به ، والافتخار

بما يؤخذ عنهم دون غيرهم من غير أن يصح أصله أو يعتمد على نقله . و ما كان بهذه المنزلة فلا معترض به على كتاب الله عز وجل .

ومن ذلك حديث رواه أبو أحمد الغِطريفىُّ ، عن الحسين بن سفيان ، عن سعيد بن جبير ، عن معقل بن عبد الله ، عن عكرمة بن خالد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن أُبىّ بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا أُبَيّ : إنى أقرئك سورة ، فقال له أُبَيٌّ : أو قد أُمِرْتَ بذلك يا رسول الله ، بأبى أنت وأُمّى؟ قال : نعم . قال : قلت : فأقرئنيها بأبى أنتَ . فأقرأه (س ٩٨ آ ١ ـ ٣) « مَا كَانَ[1] ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ[2] بِمُنْفَكِّينَ[3] حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ، رَسُولٌ مِنَ ٱللهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً ، فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ » ، وكان ها هنا فى أصل الغِطريفىّ حرف لم نحقق صُورته ، أى ذات اليهودية والنصرانية .

قال : [4] وأنا أظنه غير ذاتِ [5] اليَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ . إنَّ أَقْوَمَ الدِّينِ حَنِيفِيَّةٌ [6] مُسْلِمَةٌ غَيْرُ مُشْرِكَةٍ ، وَمَنْ يَعْمَلْ صَالِحًا فَلَنْ يُكْفَرَهُ . وَمَا اخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ . إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ ، وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ وَخَالَفُوا ٱلْكِتَابَ لَمَّا جَاءَهُمْ ، أُولٰئِكَ عِنْدَ ٱللهِ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ . مَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّا أُمَّةً

---

(١) فى مصحفنا ، لم يكن .

(٢) كذلك فى الأصل : والقراءة المشهورة عن أبى بن كعب : والمشركون .

(٣) فى مصحفنا ، منفكين .

(٤) زعموا أن كل هذا النص من مصحف أبى بن كعب . انظر Materials ص ١٧٩ .

(٥) فى رواية أخرى : ورأيت اليهودية .

(٦) فى رواية أخرى : الحنيفية

وَاحِدَةً فَأَرْسَلَ [١] اللهُ ٱلنَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ يَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ [٢] وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَيَعْبُدُونَ اللهَ وَحْدَهُ . أُولَٰئِكَ عِنْدَ اللهِ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ . جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ . ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ » .

وروى عن شعيب ، عن عاصم بن أبى النجود ، عن زرّ بن حبيش ، عن أُبىّ ابن كعب قال : قرأ علىّ النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن (س ٩٨) ، وقرأ فيها : « لَوْ أَنَّ ٱبْنَ آدَمَ سَأَلَ وَادِياً مِنْ مَالٍ وَأُعْطِيَ لَسَأَلَ ثَانِياً ، وَلَوْ أُعْطِيَ ثَانِياً لَسَأَلَ ثَالِثاً ، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ٱبْنِ آدَمَ إِلَّا ٱلتُّرَابُ ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ » [٣] ، وقرأ فيها « إِنَّ ٱلدِّينَ عِنْدَ ٱللهِ ٱلْحَنِيفِيَّةُ ٱلسَّمْحَةُ . لَا يَهُودِيَّةٌ وَلَا نَصْرَانِيَّةٌ . وَمَنْ يَفْعَلْ خَيْرًا فَلَنْ يُكْفَرَهُ [٤] » .

وروى عن عطية بن قيس ، عن أبى إدريس الخولانى ، أن أبا الدرداء ركب إلى المدينة فى نفر من أهل دمشق ومعهم المصحف ليعرضوه على أُبىّ بن كعب ، وزيد وغيرهما . فغدوا على عمر ، فلما مرُّوا بهذه الآية (٤٨ آ ٢٦) « إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ وَلَوْ حَمِيتُمْ كَمَا حَمُوا لَفَسَدَ ٱلْمَسْجِدُ ٱلْحَرَامُ » : فقال عمر : ماهذه القراءة ؟ فقالوا : أقرأنا أُبىّ ، فقال عمر لرجل : أدع لى أُبيًّا . فجاء فقال لعمر : أنا أقرأتهم ، فقال عمر لزيد بن ثابت : إقرأ يا زيد . فقرأ قراءة العامة ، فقال عمر : اللهم لا نعرف إلا هذا . فقال أُبىٌّ : والله يا عمر ، إنك لتعلم أنى كنت أَحضر وتغيبون ، وأُدعى وتحجبون ، وَيُصْنَعُ بى . والله لئن أحببت لألزمنَّ بيتى ، فلا أُحدث أحداً بشىء ، ولا أقرئ أحداً

---

(١) فى رواية أخرى : فبعث .

(٢) فى رواية أخرى : بالمعروف .

(٣) انظر الإتقان للسيوطى ص ٥٢٠ .

(٤) انظر صحيح الترمذى ، كتاب التفسير على س ٩٨ .

حتى أموتَ . فقال عمر : اللهم غفراً ، إنا لنَعلم أن الله قد جعل عندك علماً ، فعلِّم الناس ما علمت . فهذه وما يشبهها أحاديثُ لم تَشْتَهِر بين نقلة الحديث و إنما يرغب فيها من يكتبها طلباً للغريب ، وما كان كذلك فليس لأحد أن يعترض به على الكتاب الذى قد حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم اتصل بنا كالنهار الذى لا يُريب فيه ذو عينين . مع أنه ليس مجرى أكثرها إلاَّ نقل كلمةٍ من مَوضع إلى موضع وتقديم لفظٍ وتأخيره . وقيل : قد يحتمل أن يكون ذلك مما استحب تلاوته ، وأن أُبَيًّا أَخبر عما كانوا يقرؤونه قبل النسخ ، أو أن يكون ذلك مما أقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل العرض الأخير .

يدل على ذلك ما روى فى الحديث الطويل الذى ذكر فيه فضل من قرأ كل سورة من القرآن على حيالها ، فقال أُبىّ : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السنة التى قبض فيها مرتين ، وقال فيه : من قرأ سورة لم يكن (س ٩٨) ولم يقل :سورة ما كان، وكذلك رواية زِر عن أُبىّ . والذى يؤكد ما قلناه اتصال قراءة أبى جعفر بأُبن عباس ، وأبى هريرة ، وابن مسعود ، وَغيرهم ، وهم قرأوا على أُبىَّ بن كعب ، واتصال قراءة أُبن كثير بمجاهد ، وقرأ مجاهدعلى أُبن عباس ، وقرأ أُبن عباسٍ على أُبىّ ، واتصال قراءة أبى عمروٍ بمجاهد ، وسعيد بن جبير ، وهما قرآ على أُبن عباسٍ ، وقرأ أُبن عباسٍ على أُبىّ . فهؤلاء الأئمة ، وأعلام الدين الذين رووا عنهم وحفظوا عليهم نبرةً ، ومدَّةً ، وتشديدةً ، فلو كان من قراءة أُبىّ ذلك لقرأه عليهم ، ولرووا عنه وحفظوا عليه لطول تلك الألفاظ ، مع أن كل من صحت قريحته ، وسلمت فطرته ، علم أن ماذكروه ليس من جنس ماتحدّى الله به العرب بالإتيان بمثله لأنها لم تكس كسوة النظام ، ولم تلبس رونق الإعجاز. وكيف يصح ذلك ؟ وأن عمر كان عام الحديبية مع النبى صلىّ الله عليه وسلَّم حيث صدّوا عن البيتِ ، وقال فيه ماقال : أنعطيكم الدنية فى ديننا ، وراجع النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، والصديق أبا بكر على ماذكر ، فكيف كان يخفى

عليه ذلك ؟ وأنه مما أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، سكن بذلك ماخامر قلب عمر من اختلاج الريب ، هذا والله محال من المقال ، وضلال فى الجدال .

فإن قيل : أليس قد روى فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من سَرَّه أن يقرأ القرآن غضًا كما أُنزل فليقرأه كما قرأه ابن أم عبدٍ[1] ؟ فكيف بالذى ذكر عنه رضى الله عنه أنه قال : المعوّذتان ليستا من كتاب الله تعالى ، وإنه كان يحكيهما من المصحف ؟

وروى عن أبى إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد أن عبد الله بن مسعود كان يحكى المعوذتين من المصحف ، ويقول : لا نزيد فيه ماليس فيه . وقال بعضهم ، فى كتاب ماليس فيه . والذى ذكر عن وكيع ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين قال : كان ابن مسعود لا يثبت المعوذتين ، ولا فاتحة الكتاب فى المصحف .

قلنا : قد صححنا بالأدلة التى قدمناها : أن قراءة عبد الله بن مسعود ، فى هذه القراءة التى فى مصاحفنا . وليس فى هذا الخبر دلالة أن له قراءة بخلاف قراءتنا ، بل فيه أن قراءة عبد الله قراءة مرتلة محققة ، تجب على من أراد الترتيل أن يتابعه فى قراءته . ثم إن هذا الخبر إنما ورد فى تقديم ابن مسعودٍ فى التحقيق والتمكين ، وحسن الأداء ، وجودة القراءة ، والإعلام بأن قراءته مرتلة محققة ، مقومة مرسلة ، لأن الغَضَاضَة من صفات القراءة ، وليس فيه ذكر الحروف ، ولا اعتبار الترتيب بحالٍ . ألا تراه قال : فليقرأه كما يقرؤه ابن أمّ عبدٍ ؟ أى كما يرتله ويقوّمه ، ويحسّنه ، ويحققه ، ويقوّم ألفاظه .

والذى يؤكد هذا أنه قال فى روايةٍ أخرى : من أراد أن يقرأ القرآن رطباً كما أُنزل . فوصف القرآءة والتلاوة بالطرآءة ، وحسن اللفظ بها ، ولم يتعرّض لذكر الحروف والترتيب .

---

(١) يعنى عبد الله بن مسعود .

روى أبو الحسن على بن محمد بن سعيدٍ الدرّاق قال: حدثنا أبو شعيب الحرانىّ قال : حدثنا أحمد بن عبد الملك بن واقد الحرانىّ قال : حدثنا زهير قال : حدثنا أبو إسحاق أنه سمع أبا عبيدة ، عن عبد اللّٰه بن مسعود ، أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج هو وأبو بكر ، وعمر وكان أبو بكر دعاهم فخرجوا من منزله إلى المسجد ، مسجد المدينة ، وعبد الله قائم يصلى و يقرأ ، ثم جلس وتشهد وأثنى على الله عز وجل بما هو له أهل أحسن ما يُثنى رجل ، ثم صلّى على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم ابتهل فى الدعاء والنبى صلى الله عليه وسلم قائم يسمع ، فجعل يقول : سوف يُعطه . فقال أبو بكر : من هذا يارسول الله ؟ قال : عبد الله اُبن أم عبدٍ ، فمن سرَّه أن يقرأ القرآن غضًّا كما أُنزل فليقرأه كما قرأه اُبن أم عبدٍ ، فابتدره أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فسبقه أبو بكر ، وزعم عمر أن أبا بكر سبقه ، قال عمر : كان والله سباقا بالخير . وهذا واضح فى رجوع هذه اللفظة إلى صفة قراءته من الترتيل والتقويم والتحسين .

وروى اُبن ُعمر ، ومحمد بن أحمد بن حمدان قال: أخبرنا أبو يَعلى الموصلى قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير قال : حدثنا اُبن فُضيْل قال : حدثنا الأعمش ، عن خيثمة ، عن قيس بن مروان ، عن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة اُبن أمّ عبدٍ .

ثم يقال لهذا السائل المعترض بهذا الخبر على ما ادّعاه : إن تخصيص النبىّ صلى الله عليه وسلم عبد الله بتحسين القرآن وترتيله لايدل على أن غيره لايزيد فى قراءته ، ولا يقومها ولا يحققها ، بل فيه التنبيه على حسن قيامه بها ، وعنايته بتقويمها ، وهذا لتخصيصه سالماً مولى أبى حُذيفة ، ومعاذ بن جبل ، بأخذ القرآن عنهم ، لا يدل ذلك على أن غيرهم لا يؤخذ عنهم ، بل فيه الإبانة عن قيامهم به ، وعنايتهم بتعليمه . يدل عليه : حديث رواه أبو الحسن على بن الحسن بن على بن مطرف الجراحى القاضى ببغداد قال : [حدثنا] أحمد بن محمد بن الجراح ، قال : حدثنا أبو سفيان سعيد بن مُسلمٍ قال : حدثنا إبراهيم بن مهدىّ قال : حدثنا أبو إسماعيل

المؤدّب ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذوا القرآن عن أربعة : عبد الله بن مسعود ، فبدأ به ، وعن أُبى بن كعب ، وعن معاذ بن جبل ، وسالم مولى أبى حذيفة .

ونحو هذا ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: أقضاكم علىّ ، وأفرضُكم زيد ، وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبلٍ ، وما أظلت الخضراء ، ولا أقلّت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبى ذرٍ . والقصد به أنهم أكثرُ استعمالا لهذه العلوم تخصيصاً لهم وتفضيلاً .

ومعلوم أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه لا يوازى به أحد من الصحابة ومن بعدهم ، فى الصدق ، وفيهم جماعة يتقدمون هذا فى العلم بالحلال والحرام . فدل أن ذلك إعلام منه بأنهم أشد الناس عناية بهذه العلوم ، وأكثرهم استعمالاً لها ، فكذلك ما روى من تقديم عبد الله على غيره ، فى حسن اللفظ ، والترتيل ، والتحقيق ، والتقويم . والله أعلم بجميع ذلك .

وأما عبد الله بن مسعود فإنه كان يمتنع فى الابتداء من تسليم مصحفه إلى عثمان ، وكره توليه زيد بن ثابت كتابة المصاحف دونه حتى قال عثمان : من يعذرنى من أبن مسعودٍ ، يغضب عَلَىّ ، إن لم أوَلّه نسخ القرآن ، فهلَّا غضب على أبى بكر وعمر ، وهما وليّا زيد بن ثابت ؟

وقد قيل فى هذا الخبر : إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهوا قول أبن مسعود وأنكروه حين قال : أأعزل عن المصاحف ؟ وقد أخذت من فِى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة ، وزيد بن ثابت ذُو ذؤابتين يلعب مع الصبيان . وقد روى أن عبد الله رجع إلى قول عثمان ، وإلى رأى الجماعة وندم على ماقال ، واستحيا منه . فروى أبو وائل هذه القصة ثم قال عقيبه : إن عبد الله استحيا مما قال . فقال : ما أنا بخيرهم ، ثم نزل عن المنبر .

وأما المعوذتان فلم يكتبهما فى مصحفه أمناً عليهما من النسيان لشيوعهما ، وما

أنزلتا لأجله فى الرجال والنساء حتى كان لايخفى حال ذلك الأخذ والسحر على الولائد والصبيان .

ولمّا كان الذى حملهم على الكتابة والجمع بين الدفتين مخافةُ ضياع القرآن ، وأمِنَ عن ذلك فى هاتين فلذلك لم يكتبهما فيه ، وكذلك فاتحة الكتاب ، لتعلق الصلوات بها فلم يمكن نسيانهم إياها مادامت الصلاة باقية ، والشريعة قائمة . وقال بعض أهل العلم : إن صحت الرواية عن عبد الله بذلك فالوجه فيه : أن عبد الله لم يكتب المعوذتين وأم الكتاب فى مصحفه ، الذى قد جمع فيه ما أخذه عليه[١] رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن ، دون مالم يأخذه عليه[١] مما ثبت عنده أنه من القرآن ، فتظاهر النقل و إجماع الحجة مالم يأخذه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وماروى عنه من أنه قال لِمَ تزيدون فيه ماليس فيه ، و إنه حكى المعوذتين ، فإنه أيضاً إن كان صحيحاً ، فإن وجهه لم تزيدون فى مصحفى ماليس منه ، ولم يرد بذلك المصحف الذى للناس كلهم كما يقول الرجل : لم تزيدون فى سماعى ما ليس منه ؟ و إن كان قد صح عنده بغير سماع . فيجوز أن يكون مصحف عبد الله كان فيه ما أخذه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقيناً بالقصد منه إلى تلقينه دون ماسمعه عنه فى قراءته فى الصلاة ، ودون مابلغه عنه ، وثبتت عليه حجة النقل به .

والدليل على ذلك ترك القوم البراءة من عبد الله إن كانت الرواية عنه بذلك صحيحة . ودليل آخر وهو : إنا وجدنا الذين تعزى قراءتهم إلى عبد الله ، و إلى عبد الله رضى الله عنهما[٢] متفقين فى ذلك على أن هذه السور الثلاث من القرآن ، ولو كان ما ذكر صحيحاً عنه لما كان يأخذها عليهم ، وفى هذا قطع شأفتهم.

وقال بعضهم : وأما المعوذتان فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعوذ بهما الحسن والحسين رضى الله عنهما ، وكان ينفث بهما على بدنه إذا نام ،فيمسح

---

(١) كذلك فى الأصل : والصواب عن ، وعنه

(٢) يعنى ، عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس

بهما جسده . وكان عامة المسلمين يفعلون ذلك . فأمن اُبن مسعود عليهما النسيان ، كما أمن على فاتحة الـكتاب ، لذلك ترك كتبتهما فى مصحفه ، وكيف يمكن أن يجهل اُبن مسعود أنهما من القرآن وهو يصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغدوات والعشى فسمعه يقرأ فاتحة الـكتاب ، وسمعه يقول : لاصلاة إلا بها ؟

وروى عن سـفيان قال : كنت جالساً عند حذيفة فمرّ اُبن مسعود فقال حذيفة : لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن من أقربهم وسيلة عند الله ، اُبن أم عبد .

وعن مسروق قال : قال عـبد الله : والذى لا إله غيره : ما نزلت آية من القرآن إلاّ وأنا أعلم فيما أُنزلت . ثم قال : والذى لاإله إلاّ هو ،لَوْ أعلم أحداً أعلمُ بكتاب الله تعالى منى تبلغهُ الإبل لأتيته . و إذ قد كانت هذه منزلته فى العلم والفضيلة ، فـكيف يظن به إنـكار سُوَر من القرآن هُنّ من أشهر السُوَر وأشدها شيوعاً ، وأولاها عند الأمة بالحفظ ؟

فإن قيل : فـكيف بالحديث الذى ذكره غِفَار بن مُسلمٍ الصفّار قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن أبى حارث بن الأسود ، عن أبيه ، عن أبى موسى الأشعرى قال : أُنزلت سورة مثل براءة (س ٩) فنسيت وحفظ منها « إن الله يؤيد هذا الدين بقوم لاخلاق لهم ، ولو أن لابن آدم واديين من مالٍ لابتغى ثالثاً ولا يملأ جوف اُبن آدم إلاّ التراب ، ثم يتوب الله على من تاب » .

قلنا : قد تقدم من قولنا فيه ما أغنى عن التـكرار إلاّ أن فى هذا الحديث زيادة ، ولأجلها أعدنا ذكرها . مع أنه يجوز أن تـكون هذه السورة حفظ من تأويلها هذا الـكلام . ومعنى قوله نسيت : أى نسيها هو ، أىَّ سورة هى ، دون الناس ، كما يقول الرجل للرجل يسأله عن الأمر ، قد نسى هذا . كيف كان ، فلا تسألنى عنه . يريدُ نفسه أنه هو النَّاسِى دون غيره ، ويقول : قد فرغ من هذا الأمر وعمل بلَيْل . يريد أنه هوَ الفارغُ منه ، والقائل له ، والمدبر دون غيره ، فمن

فى آيات القرآن ، مايحتمل تفسيره ، الكلام . من ذلك قوله تعالى (س٥٧ آ ١٤) :
« وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ ٱللهِ » [و] كقوله تعالى (س ٨٩ آ٢٠) :
« وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا » ، أى ليس فيه نقصٌ . وكذلك قوله : إن الله يؤيد
هذا الدين بقوم لاخلاق لهم . يكون تفسيراً لما يليق من القول أن يكون ذلك
تفسيراً له . كقوله تعالى (س ٦٢ آ ٣) : « وَأَخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ » .
يريد لمَّا يلحقوا بهم فى الفضائل هم دُونَهم فى كل خير وفضل ، وإن شملهم اسم
الملة . ويجوز أن يكون تفسيرا لقوله تعالى (س٣٣ آ ٩) : « يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا
اذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا
لَمْ تَرَوْهَا » إلى (آ ١٢) « غُرُورًا » . وقد كان بعضهم يستأذن وبعضهم
يثبط كما قال فى موضع آخر . و (س ٣ آ ١٦٨) « وقَالُوا[1] لِإِخْوَانِهِمْ
وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَاقُتِلُوا » . وقالوا : (س ٣ آ ١٥٤) « لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ
ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا » . فقال الله عز وجل (س ٣ آ ١٥٤) (قلْ) :
« لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ » .
فقد كان المنافقون يقاتلون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون فى الحرب
إيهامًا أنهم من المؤمنين المخلصين ، فتقوى بقتالهم المؤمنون على عدوهم ، وبعضهم
يقاتل على أحساب قومه كما روى عن ورمان المنافق فى يوم أحدٍ ، وقد قتل من
المشركين مالم يقتله أحد يومئذ إلا أمير المؤمنين على أبى طالب رضى الله عنه ، وقد
قال النبى صلى الله عليه وسلم : من يقتل فهو فى الجنة ، يعنى من المؤمنين . فقال
المنافق : والله مَا أُقاتل إلاَّ على أحساب قومى . وخبره مشهور ، ذكره أبو إسحاق ،
والواقدى وغيرهما من رواة المعارف ، فيجوز أن تكون السورةُ الأحزاب
(س ٣٣) لأن فيها ذكر المنافقين ، وهى شبيهة فى ذلك ببراءة (س ٩) ، ويكون
قوله نسيتُ ، أى أنه هو نسيها دون غيره .

(١) فى مصحفنا : الذين قالوا

وقوله : حفظ منها أى من تفسيرها ومعناها ، وتكون مشبهة لبراءة فى ذكر المنافقين الذين لاخلاق لهم ، الذين يقاتلون على الوجوه التى ذكرنا ، ومن ذلك حديث علىّ بن عاصم ، عن داود بن أبى هند ، عن أبى الحارث بن أبى الأسود ، عن أبيه ، عن أبى موسى قال : نزلت سورة كنا نشبّهها ببراءة (س ٩) تغليظاً وتشديداً فنسيناها . غير أنى أحفظ منها : « لو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلاّ التراب ، ثم يتوب الله على من تاب » . قال أبو موسى : ونزلت سورة كنا نشبّهها بالمسبّحات[1] أولها : « سَبَّحَ لِلّٰهِ مَافِى ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ » فنسيناها غير أنى أحفظ منها : « يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَالَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ ٱللهِ أَنْ تَقُولُوا مَالَا تفعلُونَ »[2] . فيكون هذا الكلام تفسيراً من أبى موسى للآية ، ويكون ، نسيناها ، تركنا تفقد ما فيها ، كما قال تعالى (س ٩ آ ٦٨) : « نَسَوْا ٱللهَ فَنَسِيَهُمْ » ، أى نسوا أمره وما يجب عليهم من اتباعه .

فإن قيل : فكيف بالحديث الذى ذكره عبد الرحمن بن مهدى ، عن نافع ، بن أبى نعيم ، عن ابن أبى مليكه قال : قال مسور بن مخرمة : قال عمر بن الخطاب : لعبد الرحمن بن عوف : لم نجد فيما أنزل الله علينا أن « جاهدوا كما جاهدتم أول مرة »[3] قال : بلى . قال : فإنا لا نجدها . قال : أُسقط من القرآن قال : أخشى أن يرجع الناس كفاراً ليكونن . وذكر سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن أبى مُليكة ، عن مسور بن مخرمة قال : قال عمر بن الخطاب لعبد الرحمن ابن عوف : أتذكرنا وكنا نقرأ : جاهدوا فى الله فى آخر الزّمان ، كما جاهدتم فى أوله . قال : نعم ياأمير المؤمنين ، ومتى ذلك ؟ قال : إذا كان وإذا كان .

---

(١) وهى س ٥٧ ، س ٥٩ ، س ٦١ .

(٢) انظر الاتقان للسيوطى ص ٥٢٦ .

(٣) انظر الاتقان ص ٥٢٦ .

قلنا : يجوز أن يكون ذلك مما كانوا يعرفون من حكم القرآن وتفسيره ، ويكون تفسيراً لقوله تعالى (س ٥ آ ٥٤) « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ » ، الآيتين ، وقوله : (س ٣ آ ١٤٤) « فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ » ، فيكون مبيناً أن عليكم أن تقاتلوا أبداً بعد غيبة الرسول صلى الله عليه وسلم كما قاتلتم أول مرة ، وقوله تعالى : (س ٤٨ آ ١٦) « سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ » . وما أشبه ذلك من الآى الكثيرة فى القرآن التى تدل على أن الجهاد عليهم أبداً ، كما كان عليهم أول مرّة وأنها كثيرة ، ويكون معنى ، فإنّا لا نجدها ، يعنى فى لفظه ، وإنما كنا نقرأها فى تفسيرها ومعانيها . قال : أسقط من القرآن ، أى من لفظِه ، فَلَم تنزل بهذا اللَّفظ ، ليس على معنى أنها كانت منزلة ، ثم أُسْقِطت ، كما يُقال : تسقط الأخوة لأب مع الأخوة ، من الأب والأم ، وتسقط الأعمام والأخوة مع[1] البنين والآباء ، يعنى أنه لم يفرض لهم فتكون ساقطة من لفظه ، وثابتة مقروءة فى حكمه وتفسيره . وقوله : أنزل الله علينا ، وقد نزَّلَ الله عليهم لتفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينزل عليه القرآن ، كما قال تعالى : (س ٧٥ آ ١٨ ، ١٩) « فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ » . وإلاّ فما منع عُمرَ وعبد الرحمن بن عوف ، وقد أقعدهما أبو بكر لجمع القرآن من أفواه الرِّجَال ، أن يكتبا ما أجمعَا عليه ؟ وشَهِدَا أنه من الكتاب والقرآن لفظاً ، لا على معنى تفسير حكمه ، كما قد ذكرنا ، وَهُمَا قد أثبتا من القرآن فى مثل ذلك وقبلاَه من غيرهما ممن لعَلَّهُ دونهما ، وقد ذكرنا فى غير هذا الموضع أن ذلك مما أثبت من السنة احتياطا لها وحَذَراً أن يضيع علمُهما عنهم مع كثرة الحاجة إليه .

فإن قيل : فكيف بالحديث الذى رواه مَالِك بن أنسٍ ، عن أبى بكرٍ بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة زوج النبى

---

(١) كذلك فى الأصل والصواب بالبنين

صلى الله عليه وسلم أنها قالت : كان فيما أنزل الله عَشر رضعات معلوماتٍ يحرمن ، ثم نسخن بخمس معلوماتٍ فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مما يقرأ من القرآن . وروى بعضهم : أنها كانت فى صحيفة ، و إنهم اشتغلوا بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل الدَّاجن فأكلها .

قلنا : هذا شئ قاله الشافعىّ ، وخالفه مالك وغيره وهو الراوى له . واحتجوا بأن ذلك لو كان يقرأ ماتركه المسلمون ، وقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم على قرأته ، ثم لم يرفعه ولم ينسخه كما ادعيتم فى غيره . وقال بعض العلماء : ولو كان قد حفظ عليهم بالقراءة لمَا عُدِمَ بعَدَم الصحيفة التى أكلها الدَّاجن . والله تعالى يقول: (س ١٥ آ ٩) « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ، وَإِنَّا له لَحَافِظُونَ » وكيف تسلط عليه الدَّاجن ولا يحفظه مِنْ أَكْلِهَا حتى يعدم من أجل ذلك ؟ وتبطل به سنة فى مناكح الرضاع يحتاج لها فى كل وقتٍ وزمانٍ ؟ فيكون المعنى : أنهم يقرأونه فى حكم السنة كما قلنا ، إن كان الحديث محفوظاً ، فهذا وجهه ، و « نسخن » كما ينسخ بعض السنة بعضاً ، ويكون الرَّاوى لما سمع قولها ، وتقرأ « ونسخن » ، فقال فى القرآن لما يسبق إلى وهمه ، ولم يكن فى لفظ الحديث القرآن . ويجوز أيضاً أن يكون لو ثبت فى الحديث أنه فى القرآن : يعنى متأولاً مفسراً من حكمه كما قلنا ، لا مَتْلوًا ولا محفوظاً به ، فإن لم يكن كما وصفنا ، فقد وجب على من خالفنا فى هذا التأويل أن يكون ما روى عن عمر ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وأبى موسى الأشعرى فيما زادوا فى القرآن حقاً على أنه لفظة من القرآن وذاته ، لاعلى ما قلنا . وقد أجمعت الأمة على إسقاط بعضه من الكتاب والخطاب ، و إن كان مايعلمه الأئمة من إسقاط ذلك هو الحق ، فقد زاد القوم فى كتاب الله ماليس فيه . وقد حكمتم فى أنه من زاد غير ذلك فى كتاب الله أو نقص منه فقد كفر ، والفرق بين الزيادة والنقصان فقد تقدم من قولنا فيه فى الفصل الثالث بما أغنانا عن الإطناب والإسهاب ، وكذلك القول فيه لما يأتيك من هذا الباب ، ولو أخذنا

فى ذكرها واحداً فواحداً ، لأورث سامعه ، والحافظ له مؤن الإتعاب ، والله الموفق للصواب .

فإن قيل : أليس رُوى عن سفيان ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار قال : سمعت ابن الزبير يقرأ (س ٣ آ ١٠٤) « وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَسْتَعِينُونَ بِاللهِ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ »[١] .

قلنا: هذه الزيادة إن صحت عنه فإنها تفسير من ابن الزبير ، وكلام من كلامه ، فخلط فيه بعضُ الناقلين ، وألحقه بألفاظ القرآن . يدل على صحة ماوصفت ماروى عن أبى عون ، عن صبيح قال : سمعت عثمان بن عفان يقرأ : « يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَسْتَعِينُونَ بِاللهِ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ »، فما يشك عاقل أن عثمان رضى الله عنه لا يعتمد هذه الزيادة من القرآن إذ لم يكتبها فى مصحفه الذى هو إمام المسلمين ؛ و إنما ذكرها واعظاً بها ومؤكداً ماتقدمها من كلام رب العالمين .

فإن قيل : أليس قد رُوِى عن ابن عباس أنه قرأ : (س ٢٠ آ ١٥) « أَكَادُ أُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي »[٢] . وقال : لا يخفى شىء من نفس رب العالمين عز وجل .

قلنا : هذا أيضاً إن صح فإن معناه التفسير للحرف الذى تقدم فى القرآن فخلطه بعض الناقلين بالقرآن . وقد روى عن محمد بن جهم ، حدثنا الفراء قال : فى قراءة أُبّى : « أَكَادُ أُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي . فَكَيْفَ أُطْلِعُكُمْ عَلَيْهَا » ، وهذا أيضاً لا يطعن به على مصحف المسلمين لأن القرآء لم يعوا أيًّا ، وهو حديث مقطوع وَسَنَدُ أبى عمرو وابن كثير يبطلانه[٣] .

---

(١) انظر Materials س ٢٢٧

(٢) انظر Materials ص٢٠١

(٣) انظر Materials ص ١٤٦

فإن قيل : أليس قد روى عن عليّ رضى الله عنه أنه قرأ : (س ١٠٣)
« وَٱلْعَصْرِ وَنَوَائِبِ ٱلدَّهْرِ إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ »[١] .

قلنا : هذا يبطل من ثلاث جهاتٍ :

احداها ماروى عن يحيى بن آدم ، عن أبى بكر بن عياشٍ قال : قال لى عاصم بن أبى النجودِ : ما أقرأنى أحد من الناس حرفاً إلا أبو عبد الرحمن السلمى ، وأبو عبد الرحمن قرأ على عليّ رضى الله عنه ، وكنت أرجع من عند أبى عبدالرحمن وأعرض على زر بن حبيش ، وزر قرأ على عبد الله بن مسعود . قال أبو بكر فقلت لعاصم : لقد استوثقت . فإنما روى أبو عبد الرحمن عن عليّ رضى الله عنه : « وَٱلْعَصْرِ إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ » كما يقرأ المسلمون بشهادة عاصم على أبى عبد الرحمن ، ورواية أبى عبد الرحمن تنسخ كل رواية فى القراءة عن عليّ لموضع أبى عبد الرحمن من عليّ وضبطه عنه ، وأنه كان يقرئ الحسن والحسين . فهذه جهة تدحض رواية من روى عن عليّ « وَٱلْعَصْرِ وَنَوَائِبِ ٱلدَّهْرِ » .

والجهة الثانية : أن على بن أبى طالب رضى الله عنه لمّا أفضت الخلافة إليه بعد عثمان،وكان إمام المسلمين وقدوتهم ، فلو أنه علم « وَٱلْعَصْرِ » فى مصحف عثمان الذى أجمع عليه المسلمون نقص « وَنَوَائِبِ الدَّهْرِ » لم يستحل ترك خلل فى المصحف ، و بعض ألفاظ ينقص بها من ثواب القارئ حسنات ، و يزول من جهتها معنى أراده الله تعالى وقصد له . فترك عليّ « وَٱلْعَصْرِ » فى مصاحف المسلمين على مالا يعرف غيره هو الدليل على أن من روى عنه « وَٱلْعَصْرِ وَنَوَائِبِ ٱلدَّهْرِ » كذب أو نسى .

والثالثة : إن المسلمين اجتمعوا على أن هذا هو القرآن الذى أنزله رب العالمين على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، لا زيادة فيه ولا نقصان . فمن ادعى زيادة عليه أو نقصاناً منه أبطل الإجماع ، وبهتَ الناس ، وردَّ ماقد صح عن الرسول صلى الله

(١) انظر Materials ص ١٩٣

عليه وسلم ، وكان كمن قال : الصلوات المفروضات خمسون صلاة ، وتزوج تسع من النساء حلال ، وفرض الله أياماً يصام فيها مع شهر رمضان ، فإذا ردّ جميع هـذا بالإجماع كان الإجماع على القرآن أثبت وأوكد ، والبقاء عليه أولى . وعلىّ رضى الله عنه داخل فى الإجماع غير خارج منه .

فإن قيل : كيف اعتمدتم المصحف ، وفيه من الخطأ الظـاهر ، واللحن والاختلاط الذى لا يكاد يخفى على من تعلق بطرف من العربية ؟

فمنها قوله : (س ٢ آ ١٧٧) « وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَٱلصَّابِرِينَ » ، فرفع قوله « وَٱلْمُوفُونَ » ونصب قوله « وَٱلصَّابِرِينَ »[١] . ومثله فى سورة النساء (س ٤ آ ١٦٢) « وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَاةَ وَٱلْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ »[٢] . وفى سورة المائدة (س ٥ آ ٦٩) « إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلصَّابِئُونَ »[٣] .

ومنها قوله : (س ٢٠ آ ٦٣) « إِنْ هٰذَانِ لَسَاحِرَانِ »[٤] . ومنها قوله : (س ٦٣ آ ١٠) « فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ »[٥] . ومنها قوله : (س ٢١ آ ٣) « وَأَسَرُّوا النَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا » . وقوله (س ٢ آ ١٣٧) « فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ » ، وتصحيحه « فَإِنْ آمَنُوا بِمَا آمَنْتُمْ بِهِ » .

واحتجوا بما روى عن ابن عباس أنه كان يقرأ « فَإِنْ آمَنُوا بِمَا آمَنْتُمْ بِهِ »[٦] ويقول : إن الله ليس له مثل ، ويحدث عروة ، عن عائشة أنها سئلت عن قوله (س ٢٠ آ ٦٣) « إِنْ هٰذَانِ لَسَاحِرَانِ » ، وعن قوله : (س ٥ آ ٦٩) « إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلصَّابِئُونَ » ، وعن قوله : (س ٤ آ ١٦٢)

(١) انظر تفسير الطبرى ٦ : ١٦ .
(٢) انظر المقنع للدانى ص ١٢٦ .
(٣) انظر كتاب المصاحف لابن أبى داود ص ٣٣
(٤) المقنع ص ١٣٦
(٥) كتاب المصاحف ص ٣٣
(٦) انظر Materials ص ١٩٥

« وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَاةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ » ، فقالت : يابن أخى ، هذا خطأ من الكاتب [١] . قلنا لهم : هذه رسمت فى المصحف على سنن الحق والاستقامة والصدق .

وأما قوله : (س ٢ آ ١٧٧) « وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ » . فالموفون مرتفعون على المدح ، على معنى وهم الموفون بعهدهم ، « وَٱلصَّابِرِينَ » منصوبون على المدح أيضاً ، بمعنى اذكر ، والفعل الناصب لايحسن إظهاره ، وقال الفراء : أصل المدح والذم من كلام السامع ، لأن الرجل إذا أخبر الرجل قال له : قام زيدٌ ، أى السامع علمه ، فقال : ذكرت والله الظريف ، ذكرت العاقل . هو والله الظريف وهو العاقل . فأراد المتكلم أن يمدحه بمثل مامدحه السامع فجرى الإعراب على ذلك .

وقال الخليل : المدح والذم ينتصبان على مَعنَى أعنى الظريف ، وأنكر الفراء هذا وقال : أعنى إنما يقع تفسيراً عن اسم مجهولٍ ، والمدح يأتى بعد المعروف . ولو اطردَ لنا اضمار أعنى لأجزنا قام زيد أخاك ، على معنى اعنى أخاك . وهذا لاتقوله العرب نصباً ، والذم بمنزلة المدح يقال : مررت به الخبيثَ ، ومررتُ به الخبيثُ . ومنه قوله : (س ١١١ آ ٤) « وَٱمْرَأَتُهُ حَمَّالَةُ ٱلْحَطَبِ » ، « وَحَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ » . فقد تدخل الواو على المنصوب على المدح والذم ، وتكون نكرة ، فيقال : مررتُ برجُلٍ مُنصفٍ من يناظره ، عاقلاً لبيباً عالماً ، قال : ويأوى إلى نسوةٍ عاطلاتٍ ، وَشُعْثًا مَراضيعَ مثل السَّعَالى ، فنصب شعْثًا على الذم . وقال آخر :

إلى الملِكِ الهمَام ولَيثَ الكتِيبَة فى المزدَحم
وَذا الرأى حين الأمُور بذاتِ الصَليل وذاتِ اللحم

فنصب وليث الكتيبة ؛ وَذَا الرأى . وقال فى الذم :

وكل قوم أطاعُوا أمر سيدِهم إلا نميراً أطاعَتْ أمْرَ غاويها
الظاعنين وَلمَّا يظعنوا أحداً والقائلينَ لمن دارٌ يُخليها

---

(١) انظر تفسير الطبرى ٦ : ١٦ .

وقال آخر :

سقونى الخمــر ثمّ تــكنفّونى عُــداةَ الله من كَـذِبٍ وَزُور

فنصب عداة الله على الذم .

وأما قوله : (س ٤ آ ١٦٢) « وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ »

فإن الفراء يقول : موضع « المقيمين » نصبٌ على المدح ، « والمؤتون » أيضاً يرتفعون على المدح . والـكسائى ينكر النصب والرفع فى هذين على المدح و يقول : إنما ينصبُ المدح والذم عندَ تطاول الـكلام ، ولم يتطاول ها هنا ، لأن الخبر عنده « أُولٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا » .

قال الفراء : ولعمرى ان أكثر كلام العرب على ما وصف الـكسائىُّ ، إلا أنهم ينصبُون على المدح ، والـكلام غير متطاول . قال الشاعر :

نحن بَنى ضبةٍ لا نفر

وقال آخر : نحن بَنى ضبّة أصحاب الجمل .

وفى رفع « الراسخين » وجهان :

أحدهما : أن يرتفعوا ممـا عادَ من مؤمنون ، و ينسق « المؤمنون » على « الراسخين » . يحسنُ من هذا الوجه نصب « المقيمين » على المدح، لأن خبر الاسم قد انضم إليه قبل مجىء المدح .

والوجه الثانى : أن ترتفع « الراسخون » بما عاد من « أولئك » ، و يرتفع « أولئك » بما عاد من الهاء والميم فى « سنُؤتيهمْ » ، ويكون موضع «مؤمنون» نصباً فى التأويل على الحال من « الراسخين » . والمعنى : لـكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بالله ، فى حال إيمانهم بالله ، أولئك سنؤتيهم أجراً عظيما . فيصح على هذا الجواب نصب « المقيمين » على المدح عند الـكسائى ، لأن الـكلام لم يتطاول ، ولم ينضم الاسم إلى خبره قبل مجىء المدح .

وقال الكسائى : موضع « المقيمين » خفض بالنسق على ما فى المقيمين كأنّه قال : والمقيمين الصلاة هم المؤتون الزكاة ، كما تقول : مررت بالقائم فزيد . تريد مررت بالذى قام هو فزيدٌ .

وقيل : موضع « المقيمين » خفض بالنسق على الهاء والميم . والمعنى : منهم ومن المقيمين ، وقيل : « المقيمين » خفض بالنسق على الكاف ، يعنى : بما أُنزل إليك و إلى المقيمين . وقيل : موضع « المقيمين » خفض بالنسق على الكاف الثانية ، وتأويله عندهم من قبلك ومن قبل المقيمين .

وقال ابن الأنبارى : وهذه الأوجه الثلاثة قبيحة المذهب ، لأن المكنّى المخفوض يصح[1] النسق عليه لضعفه ، و إنما صح[1] لضعف المكنى المخفوض، إذ كان لا يفرد له اسم كما يفرد للمنصوب والمرفوع إذ تقول : أنا ، وأنت ، وهو فى الرفع ، و إياى ، و إياه ، و إياك فى النصب ، ولا تجد للمكنى المخفوض اسماً مفرداً فلهذا ضَعُف .

وأما قوله (س ٥ آ ٦٩) : « إِنَّ ٱلذِينَ آمَنُوا وَٱلذِينَ هَادُوا وٱلصَّابِئُونَ وَٱلنَّصَارَى » ، فإن فيها خمسة أقوال . كل قول منها غير خارج عن الصواب .

أحدها : أن تكون « الصابئون » ترفع بالنسق على ما فى « هادوا » ، بمعنى : ماتوا ، فلا يكونون كفاراً فى هذا القول ، ولا الصابئون بكفار أيضاً ، إنما هم الخارجون من دين إلى دين ، كما قيل لأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : الصابئون وقالوا فيمن دخل فى دينه صلى الله عليه وسلم : قد صبأ ، والأصل فيه من قول العرب : قد صبأت منه ، أى طلعت ، والنصارى أنصار عيسى ، وليسوا هادًا فى هذا الموضع . ومعنى « مَنْ آمَنَ بِاللهِ » : من داوم على الإيمان بالله ، إذ قد يؤمن من لا يَدوم ، ولايثبت . كالمنافق وغيره . فيبين فضل الثابت على الحق ، « والصابئون » نسق على ما فى « هادوا » . هذا جواب الكسائى ، وخبر إنَّ

---

(١) كذلك فى الأصل : والصواب لايصحّ ، ولم يصحّ .

ما عاد من الهاء والميم المقدرة . والمعنى : من آمن بالله منهم واليوم الآخر لما ضم « منهم »

الثانى : رفع « الصابئون » بالنسق على الذم ، ونسق على المنصوب بالمرفوع ، لأن « إن » ضعيفة العمل ولم يتبين عملها فى « الذين » ، لأن « الذين » تكون على هذه الحال فى النصب والرفع والخفض ، فيرجع إلى أصل الكلام ، وهو الرفع ، فتنسق عليه . وقد أجاز الكسائى ، والفراء ، انك نفسُك عالمٌ ، وانا أنفسُنا علماء ، وأنه نفسُه متكلمٌ . وأنهم أجمعون منطلقون ، وأنك ومحمدٌ فى الدار . وقال الفراء : إذا دخلت إنّ على اسم لم يتبين عملها فيه نسق عليه بالرفع والنصب جميعاً . وكذلك التوكيد ، فمنه قولهم : إن قطام وهندٌ عندنا ، و إن هؤلاء واخوتك يكرموننا ، وان هذا نفسُه عالمٌ ، لأن هؤلاء الأسماء لا يتغير إعرابهن ، و إذا دخلت ان على اسم يتبين عملها فيه ، وولى الاسم التوكيد ، والنعت ، والنسق لم يكن فيها إلا النصب . تقول : إن زيداً نفسَه عالمٌ ، وان محمداً وأخاك منطلقان ، وان القوم وعبد الله عندنا ، لا يجوز فى المسبوق عند الفراء إلا النصب ليتبين الإعراب فى الاوائل . قال بشر بن أبى حازم :

و إلا فاعلموا إنا وأنتم بغاة ما حيينا فى شقاق

رفع انتم بالنسق على النون والألف ، إذ لم يتبين عمل ان فيهما . وقال آخر :

فمن يك أمسى بالمدينة رَحْلُهُ فإنّى وقيّار بهاَ لغريب

رفع قيار بفعل مضمرٍ ، والمعنى : فإنى بها لغريب ، وقيّار بها أيضاً غريب ، وقال بعضهم : قَيّار نسق على الياء ، وغريب خبر إنّ ، والمعنى : فإنى وقيار لغريبان ، فاكتفى بالخبر عن أحدهما من الخبر عنهما .

والثالث : أن يرتفع « الصَابئون » بمن ، ومعناه : أن يضمر خبر « إن » و يبتدأ « الصابئون والنصارى » فيرفعوا بمن وما بعدها بالصابئون مسلمون ، والنصارى أنصار عيسى غير كفار أيضاً . والمعنى : والصابئون والنصارى من آمن منهم بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم ، « ومَنْ » حرفُ جزاء يرتفع بما عادَ

من « آمن » ، والفاء جواب الجزاء . أجاز الفراء وغيره زيدٌ إن يزرنى أزره ، على معنى أن يرتفع زيد بإن وما بعدها لأن ذكره اتصل بإن .

فإن قيل : كيف تكون « آمن » خبر أن المضمر ؟ .

قلنا : معناه إن الذين آمنوا والذين هادوا يرحمون ، على قول من قال هم مسلمون ؛ ويعذّبون ، على قول من قال هم كافرون ، ويعرضون على ربهم ، فحذفها سماعاً بمعرفة المخاطبين بموضعه .

وأما قوله (س ٢٠ آ ٦٣) : « إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرانِ » فالأصل فيه أنه لغة بنى الحارث بن كعبٍ أخذهَا عنهم قريش . و بنو الحارث يقولون : أكرمتُ الرجلان ، وركبت الفرسان ، ونظرت إلى العَبدان .

قال الفراء : أنشدنى رجلٌ من الأزد ، عن بعض بنى الحارث ، قول المتلمس :

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى مَساغًا لنـاباه الشجاع لَصَمَّما

وقال آخر :

كان صريف ناباه إذا ما أمرَّها

وحكى الفراء عنهم : هذا خط يدا أخى أعرفه .

وقال آخر :

تزوَّد منا بين أُذْناهُ ضربةً دَعتـه إلى هابى التراب عَقِيمِ

وقال آخر :

إن أباها وأبا أباها قد بَلغَا فى المجـد غايتـاها

والثانى : أن الألف فى « هذان » غلبت عليها الفتحة التى قبلها ، فلم تخط إلى الياء كما غلبت الفتحة على الألف فى قولهم : رأيت كلا الرجلين ، ومررت بكلا الرجلين ، ونظرت إلى كلتى المرءتين ، ورأيت كلتى المرءتين .

الثالث : ان هذا لما كانت الألف آخره وثنّوا رضوا فى التثنية بزيادة النون ، وقدروا : أن ألف هذا تكفى من ألف التثنية ، كما لو قالوا : رأيت الذين تكلموا ،

وواحد الذين الذى ، فلما جمعوا رضوا بزيادة النون فى الجمع .

الرابع : قال الكسائى : إنما لم يَحُطوا الألف من « هذان » إلى الياء لأنه من الجزم المرسل ، والحرف المرسل ألف قبلها فتحة ، وواو قبلها ضمة ، وياء قبلها كسرةٌ . فكرهوا أن يحطوا الألف إلى الياء فينتقلوا من الحرف المرسل إلى الحرف المنبسط ، والحرف المنبسط عنده واو قبلها فتحة ، وياء قبلها فتحة ، وأنكر بعض البصريين هذا الجواب على الكسائيّ وقال : هذان اسم ، فكيف يدعى أن فيه جزمًا ، والجزم لايدخل على الأسماء ؟ ولا حجة على الكسائيّ فى هذا ، لأنه لم يرد حقيقة الجزم ، وإنما ذهب إلى أن الياء والواو والألف سوا كن يشبههن لسكونهن بالحرف ، وسمى الألف التى تسبقها الفتحة ، والواو التى تسبقها الضمة ، والياء التى تسبقها الكسرة حرفاً مرسلاً ، لأن الحروف تجرى على حركاتها ، وتتبعُها مشبَّه ذلك بقول العرب : جاءت الإبل رسلاً متتابعة ، وسميت الواو التى تسبقها الفتحة ، والياء التى تسبقها الضمة حرفاً منبسطاً لانفتاح ما قبل الحرفين . يقال : قد انبسط القارىء فى قراءته إذا انفتح فيها .

الخامس : قال بعض النحويين : « إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ » هذان فى موضع رفع بالابتداء وإن معناهَا : نعم . قال الشاعر :

بكرتْ عَلَيَّ عواذلى فلحيننى وألُومُهُنَّهْ
ويَقُلْن شيب قد علاك وقد كبرت فقلت : إنَّهْ

أى نعم . وأنكر الكسائى ، والفراء هذا القول . وقال الفراء : « إنَّ » إذا كانت بمعنى نعم ، وافتتح بها اللام تلقيت باللام ، أوْبلا ، قال :

إنَّ لا خير فيه وأبعده الله

أراد : نعم لا خير فيه . وقال آخر :

كلهم كان خطيباً مقولا
يحكّ من وَجدٍ عليه الكلكلا ليمنعُوها من عليٍ إنَّ لا

وقال آخر :

تأمّل ولا تعجل بأمرٍ تريده فإن الفتى فى أمره ما تأملا

إذا قال ضُحَى إنك اليوم راحل ولى حاجة لم أقضها قلت إنَّ لا

وحكى الكسائى عن العرب : إنَّ لَمِ ثَمَّ شَرٌّ طويلٌ . على معنى : نعم ثَمَّ شرٌّ طويل . و إذا كانت «إنّ» على معنى نعم ، ووقعت آخر الكلام اقتصروا عليها ور بما زادوا عليها الهاء .

قال رجل لابن الزبير : لعن الله ناقة حملتنى إليك ، فقال : إنَّ وراكبها .

قال الشاعر : فقلت إنّه ، أراد : فقلت نعم ، ثم أفخم الهاء لِيَسْكتَ ، ولو جاز أن يكون قوله « إِنْ هٰذَانِ لَسَاحِرَانِ » بمعنى : نعم ، هذان لساحران : لجاز إن زيدٌ لقائم ، بمعنى : نعم . وهذا لا يجيزه أحدٌ من النحويين ، و يفسد من جهة إن المبتدأ لا يحال بينه و بين خبره با للام . فمن قال : عبد الله قائم ، لم يقل عبد الله لقائم ، لأن اللام تحجز بين الحرفين ، وتمنع الذى بعدها من تقريب الذى قبلها .

السادس : قال جماعة من البصريين : ارتفع على هاء مضمرة ، و يرتفع «هاذان» بالابتداء ، وَمَا بعد اللام خبر الابتداء والتأويل : إن هذان لهما ساحران ، فالهاء المضمرة إسم إنَّ ، وجماعة الكلام خبرها ، واحتجوا بقوله :

إنَّ من يدخل الكنيسَةَ يوماً يلق فيها جآذراً وظباء

أراد أنه من يدخل .

وقال آخر :

وَلكنَّ من يقْتَلْ قَتيلٌ بأرضه ولو قتلته الروم أو قَيْل حميرا

أراد ولكنه من يقتل .

وقال آخر :

وقالوا مهدناه تراث أعِزَّةٍ ألا إنَّ من ينمى الكريهة يمهدا

أراد أنه ، وأجاز ، فَلأنّ .

قام عبد الله ، على معنى أنه قام ، قياساً على هذه الأبيات : وقال أُبن الأنبارى :

قال أصحابنا : الهاء المجهولة لا تضمر ، لأن أى أداة لا تنصرف فتحتمل الإضمارات ، ولا دليل على هذا المضمر ، ولم يجيزوا إن قام عبد الله ، وتأولوا الأبيات على غير تأويلاتهم فقالوا : فى الأبيات الأول لمَّا وَلِىَ حرف إنَّ حرف الجزاء ، عمل عمل الجزاء وبطلت إنَّ واحتج البصريون فى دخول اللام على ساحران بقول الشاعر :

خالى لانت ومن جرير خَالُهُ ... ينـل العَلاٰ ويكرم ٱلأَخوالاَ

ويقول الآخر :

أُمُّ ٱلحُلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهرِيَّة ... تَرْضَى مِنَ ٱللَّحْمِ بِعَظْمِ الرَقَبَة

وهذان البيتان شاذَّان لا يحمل كتاب الله عليهما .

وقرأ أبو عمر الحرف على حقيقة الإعراب ، وظاهر النحو : « إِنَّ هٰذَيْنِ لسَاحِرانِ » .

وروى أبو الزنادى ، عن خارجةَ بن زيد ، عن أبيه ، قال : القراءة سنة ، فاقرأُوا كما تجدونه .

مثل قولك : « إِنَّ هٰذَانِ لَسَاحِرَانِ » (س ٦٣ آ ١٠) « فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ » .

وعن المعلى بن عيسى : كان عاصِمُ الجحدرى يكتب التى فى البقرة (س ٢ آ ١٧٢) « وَٱلصَّابِرِينَ » ويقرؤها « والصابرون » ، ويكتب التى فى النساء (س ٤ آ ١٦٢) « وَٱلْمُقِيمِينَ » ويقرؤها والمقيمون . ويكتب التى فى المائدة (س ٥ آ ٦٩) « وَٱلصَّابِئُونَ » ويقرؤها « والصابئين » ويكتب التى فى طٰه (س ٢٠ آ ٦٣) « إِنْ هٰذَانِ لَسَاحِرَانِ » ويقرؤها « إن هٰذَيْنِ » ، ويكتب (س ٨١ آ ٢٤) « وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ » [1] ، ويقرؤها « بظنين » .

---

(١) انظر المقنع للدانى ص ٩٧

وقال بعض العلماء : إن الجحدريّ غير الحروف فى اللفظ ، ولم يغير الخط ، لقول عثمان رضى الله عنه لمَّا أتى بالمصحف ، أرى فيه لحناً ، وستقيمه العرب بألسنتها.

وفى قراءة عبد الله : وأسروا النجوى ، إن هٰذان ساحران [١] . وفى قراءة أُبيّ : إن ذان إلاَّ ساحران [٢] .

وروى أبو عثمان ، عن عاصم : « إِنْ هٰذَانِ لسَاحِرَانِ » ، لأن التأويل : ماهذان إلاَّ ساحران ، كما تقول ؛ إن قام لزيدٍ . تعنى : ماقَامَ إلا زيد ، وأ كثر مايلى إنْ إذا كانت على هذا التأويل الماضى . قال :

هبلتك أُمك إن قتلت لمسلِماَ وجَبَتْ عليك عقوبة المتعمد

وربما أولَوْها الأسماء والأفعال المستقبلة والحالَّة .

وأما قول العرب : قام أباك ، ورأيت أباك ، ومررت بأباك ، فإنهم جعلوا الألف ثابتة فى حال رفعه ، ونصبه ، وخفضه ، ولأنهم شَبَّهُوهُ بالأسماء المعتلة ، فجرى مجرى قباك ، وعصاك ، وقفاك وأشباهها .

وأما قوله (س ٦٣ آ ١٠) « فَأَصَّدَّقَ وَأَ كُنْ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ » فإن موضع أ كن جزم . فالنسق على محل الفاء ، لأنها لو وضع موضعه فعل مستقبل كان جزماً هولك فى الـكلام « لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ . أَصَدَّقْ وَأَ كُنْ مِنَ ٱلصَّالِحِين » وأجاز النحويون : إن تزرْنى فأزورك ، وأ كرمك . بجزم أ كرمك نسقاً على موضع الفاء ؛ لأنا لو وضعنا المستقبل موضعها لقلنا : إنْ تزرْنى أزرْكَ وأ كرمْك ، قال أبو دُؤَاد :

فأَبْلُونِى بَلِيَّتَـكُمْ لَعَـلّى أُصَالِحُـكُمْ وأَسْتَدرِجْ قَوِيَّا

جَزَم أستَدْرِجْ بالنسق على موضع الفاء ، لأن التفسير فلعلى أُصالحـكم .

وقال أبن الأنبارى : هذا من أين قبِلْتَهُ ؟ . جوابٌ فاسدٌ ؛ لأن الفاء لا يحتاج

---

(١) انظر Materials ص ٦٠

(٢) انظر Materials ص١٤٦ .

إلى إضمارها فى هذا البيت إذا كان الأمر يستغنى عن الجواب ، و إنما جزم استدرج على جهة التسكين له وموضعه رفعٌ كما قال :

فاليَوْمَ أَشربْ غير مُسْتَحْقِبٍ

أى أشربُ ، فسكن الباء تخفيفاً ، وحكمها على استدرج بالرفع ، لأنه منسوق على أصالحكم .

وأما قوله : (س ٢١ آ ٣) : « وأَسَرُّوا ٱلنَّجْوَى أَسَرَّهَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا »[١] . وجمع الفعل مع تقديمه على الفاعلين ، فإن فيه خمسة أوجه :

أحدُها : أن ترتفع « الذين » بفعل مُقَدَّرٍ ، تريد : وأسروا النجوى ، أسرَّهَا الذين ظلموا .

والثانى : أن يخفض « الذين » على الاتباع . والمعنى : للناس الذين ظلموا حسابهم وأسروا النجوى .

والثالث : أن ترتفع «الذين» بأسروا والواو لا تدل على ضمير فى الفعل إنما هى علامة لفعل الجميع . تقول العرب : قاما أخواك ، وقاموا إخوتك ، يدخلون الألف فى قاما ، والواو فى قاموا : بمنزلة التاء فى قامت ، و يقولون : أكلونى البراغيث ، فيجمعون الفعل فى تقدمه لهذا السَّبَب ، قالت امرأة من العرب ترثى ابنين لها :

لقد ساءنى أن خليَا زَوْجتَاهمَا　　وأن عَرِيَا يوم الوغى فرَسَاهُمَا

فثنت الفعل وهو متقدم لما وصفنا . وأُنشد :

يلُومونَنى فى السر　　قَوْمِي فَكُلُّهُمْ أَلُومُ

فجمع الفعل فى تقدمه .

وقال آخر :

ولَكِنَّ دِيَافِيٌّ أَبُوهُ وَأُمُّهُ　　بحورانَ يعصرْنَ السَّلِيطَ أَقَارِبُهْ

وقال آخر :

---

(١) هى فى مصحفنا « وأسروا النجوى الذين ظلموا » .

رأَيْنَ الغوانى الشيب لاَحَ بِلِمَّتى   فَأَعْرَضْنَ عَنِّى بالعُيُون الفواترِ
وَكُنَّ إِذَا عَايَنَّنِي أَوْ سَمِعْنَ بِي   سَعَيْنَ فرَقَّعْنَ الْكُوَى بالمحاجرِ

وقال الله تعالى (س٥ آ ٧١) : « فعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ » فجمع الفعل لما وصفناه . ويجوز أن يراد : ثم عموا وصموا ، ذلك عَمًى كثير منهم ، ويجوز كثيراً منهم على معنى : ثم عموا وصموا عَمًى كثيراً منهم ، وقيل : «الذين ظلموا» يرتفعون على الإتباع لمَا فى «أَسَرُّوا» .

وقال البصريُّون «الذين» يرتفعون على البدل ، مِمَّا فى «أَسَرُّوا»[1] وقيل : إنما قالت عائشة رضى الله عنها لعروة بن الزبير حين سألها عن الحرف : هى خطأٌ من الكاتب ، لأنها لم تكن فى لغة قريش وليست بخطأ فى الحقيقة .

وقال ابن الأنبارى : هذا لا يُعْجِبُنَا لأن الله تعالى أنزل القرآن بلغة قريش ؛ ولقريش مذاهب فى كلامها ، وافتنان فى ألفاظها ، واتساع فى لغاتها . فكانت عائشة رضى الله عنها من لغتها « إِنْ هٰذَيْنِ لَسَاحِرَانِ » ، فلما سَمِعَت « إِنْ هٰذَانِ لَسَاحِرَانِ » أنكرته لخلافه ماتجرى به عادتها ، وكذلك الحرفان الآخران .

وروى قتادة ، عن أبى الأسود الدؤلى قال : نزل القرآن بلغة الكعبين : كعب بن عمرو ، وكعب بن لُؤَىّ .

وقال خالد بن سلمة المخزومِيّ لسعيد بن إبراهيم : ألا تسمع مايقول هذا الأعمَى ؟ إن القرآن نزل بلغة الكعبين ، وإنما نزل بلغة قريش .

وَروى حمادُ بن سلمة ، عن الزبَير أبى خالد قال : سألت أبا ذر عثمان ، كيف كان فى المصحف (س ٤ آ ١٦٢) « وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ » ماقبلها رفع ، وما خلفها رفعٌ وهى نصب ؟ . فقال : هذا من أصل الكاتب لما كتب ماقبلها قال : ما أكتب ؟ فقيل له : أكتب : والمقيمين الصلاة ، فكتب كما قيل له . قلت : وكان المعنى : أكتب الذى قلنا : والمقيمين الصلاة .

---

(١) يعنى من الواو

وأما قوله (س٢ آ ١٣٧) « فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ به » ، فإن الله لا مِثلَ لهُ ، فإن المسلمين أجمعوا على إثبات مثل ، وعن ابن عباس أنه كان يسقطها[1] . روى عن أبى حمزة قال : قال لى ابن عبَّاسٍ : لاتقرأ « فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ » فإن الله تعالى لا مثل له ، ولكن اقرأ : « فَإِنْ آمَنُوا بِمَا آمَنْتُمْ بِهِ » فإن فيه ثلاث حجج :

أولاها : أن الكلام محمول على معنى صدَّقوا ، كأنه قال : فإن صدَّقوا بمثل تصديقكم ، و إن آمنوا بمثل إيمانكم .

الثانية : إن آمنوا مثل إيمانكم وتزاد الباء للتوكيد كما زيدت فى قوله : (س ١٩ آ ٢٥) « بِجِذْعِ النَّخْلَةِ » ، ومعناها هزى إليك بجذع النخلة .

الثالثة : إن مثل ، مزيد للتوكيد ، والمعنى : فإن آمنوا بما آمنتم به فقد اهتدوا ، فدخلت مثل للمبالغة فى التوكيد كقوله : (س ٤٢ آ ١١) «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْء» ، أى ليس كهو شىء فدخلت مثل توكيداً .

قال الشاعر :

كمثل الشمس إذ بزغت بها نحظى وَمِعْطَارُ

أراد كالشمس ، فدخل مثل تأكيداً . فهذا وما أشبهه مما ادَّعوا على القرآن من الزيادة والنقصان ، والخطأ والنسيان . ذكرنا بعضها ، و إن كنا قد أودعنا كتابنا المعنون : بالأبانة والإعراب ، ولكنا أردنا أن لا يخلو كتابنا هذا عن شىء منه ، فمن اطلع على شىء دون ما كتبته فعليه بذلك الكتاب ، فإنه جامع فى هذا الباب ، وكتاب الزينة فى سؤالاتِ القرآن ، و إن لم أستتمَّه ، فإنه مقنع فى الإيضاح والبيان . والله المستعان ، وعليه التكلان ولا قوة إلا به .

---

(١) انظر Material ص ١٩٥ .

الفَصلُ الخَامِسُ

فى إختلاف المصاحف والقرآآت ؛ والقول فى كيفيتها

و إذ قد فرغنا من القول فيما ادَّعوا على المصحف من الزيادة والنقصان ، والخطأ والنسيان ، فبنا أن نتكلم فيما طعنوا عليه من اختلاف المصاحف والقراءات ، ونجيب على ذلك بأوضح الدّلالات فنقول :

اختلفَ مُصحفا أهل المدينة والعراق فى أثنى عشر حرفاً ، ومصحفا أهل الشام وأهل العراق فى نحو من أربعين حرفاً ، ومصحفا أهل الكوفة والبصرة فى خمسة أحرف . فكتب أهل المدينة (س ٢ آ ١٣٢) « وَأَوْصَى » ، وأهل العراق : « وَوَصَّى » . وكتب أهل المدينة (س ٣ آ ١٣٣) : « سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ » بغير واوٍ قبل السين ، وأهل العراق : « وَسَارِعُوا » بالواو . وكتب أهل المدينة (س ٩ آ ١٠٧) : « ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مَسْجِدًا » بغير واو . وأهل العراق : « وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا » بالواو . وكتب أهل المدينة فى المائدة (س٥ آ٥٣) « يَقُولُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا » بغير واو قبل الياء . وأهل العراق : « وَيَقُولُ » بالواو . وكتب أهل المدينة (س ٥ آ ٥٤) : « مَنْ يَرْتَدِدْ مِنكُمْ » بدالين . وأهل العراق : « مَنْ يَرْتَدَّ » بدال واحدة . وكتب أهل المدينة (س ١٨ آ ٣٦) : « خَيْرًا مِنْهُمَا مُنْقَلَبًا » بميم بعد الهاء على التثنية . وأهل العراق : « مِنْهَا » بغير ميم . وكتب أهل المدينة (س ٢٦ آ ٢١٧) : « فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ » بالفاء . وأهل العراق « وَتَوَكَّلْ » بالواو . وكتب أهل المدينة (س ٤٠ آ ٢٦) « وَأَنْ يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ » بلاألف قبل الواو . وأهل العراق « أَوْ أَنْ » بألف قبل الواو . وكتب أهل المدينة فى حم عسق (٤٢ آ ٣٠) « بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ » بغير فاء . وأهل العراق: « فَبِمَا » بالفاء .وكتب أهل المدينة (س٤٣ آ٧١)

« مَاتَشْتَهِيهِ ٱلْأَنْفُسُ » بالهاء . وأهل العراق : « مَاتَشْتَهِى ٱلْأَنفُسُ » بغير هاء .
وكتب أهل المدينة فى سورة الحديد (س ٥٧ آ ٢٤) : « فإنَّ ٱللهَ ٱلْغَنىُّ ٱلْحَمِيدُ »
وأهل العراق : « فإنَّ ٱللهَ هُوَ ٱلْغَنىُّ ٱلْحَمِيدُ » . وكتب أهل المدينة (س٩١ آ١٥)
« فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا » بالفاء . وأهل العراق : « وَلَا يخَافُ » بالواو . فهذه الاثنا
عشر حرفاً هكذا هجاؤها فى الإمام ، مصحف أهل المدينة .

وروى عن بعض العلماء حرف ثالث عشر ، وهو (س ٤٣ آ ٦٨) «يَاعِبَادِى
لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ » فى سورة الزخرف ، فهو فى مصحف أهل المدينة بياء ثابتة
بعد الدال من عباد . ولا ياء فى مصحف أهل العراق .

وأما الحروف التى اختلف فيها مصحفا أهل الشام ، وأهل العراق. فقرأ عبد الله
ابن عامر فى سورة البقرة (س ٢ آ ١١٦) : « قَالُوا ٱتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا » بغير واو .
وأهل العراق : يقرؤونه بالواو . وقرأ عبد الله (س ٢ آ ١٣٢) « وَأَوْصَى » بالألف
وأهل العراق : بغير ألف . وقرأ عبد الله (س ٢ آ ٢٥٩) « لَمْ يَتَسَنَّهْ » . وأهل
العراق : بغير هاء . وقرأ عبد الله (س ٣ آ ١٣٣) « سَارِعُوا » بغير واو . وأهل
العراق : بالواو . وقرأ عبد الله (س ٣ آ ١٨٤) « بِالْبَيِّنَاتِ ، وبالزُّبُرِ » بباء فى
الزُبُرِ . وأهل العراق : بغير باء . وقرأ عبد الله فى النساء (س ٤ آ ٦٦) «مَافَعَلُوهُ
إِلَّا قَلِيلاً » بنصب قليلاً . وأهل العراق : إلا قليل بالرفع . وقرأ عبد الله
فى المائدة (س ٥ آ ٥٣) : « يَقُولُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا » بغير واو . وأهل العراق :
بالواو . وقرأ عبد الله (س ٥ آ ٥٤) « مَنْ يَرْتَدِدْ » بدالين . وأهل العراق :
« مَنْ يَرْتَدَّ » بدالٍ واحدةٍ . وقرأ عبد الله فى سورة الأنعام (س ٦ آ ٣٢) :
«وَلَدَارُ الْآخِرَةِ» بلام واحدة ،وأهل العراق بلامين.وقرأ عبد الله (س ٦ آ ١٣٧)
« وَكَذَلِكَ زُيِّنَ » بضم الزاى ، « قَتْلُ » بالرفع ، « أَوْلَادَهُمْ » بنصب الدال ،
« شُرَكَائِهِمْ » خفض . وأهل العراق : « زَيَّنَ » بفتح الزاى ، «قَتْلَ» بنصب

اللام « شُرَكاؤُهُمْ » بالرفع . وقرأ عبد الله (س ٦ آ ٥٢) : « بالْغُدْوَةِ وَالْعَشِىِّ » بالواو . وأهل العراق : بالألف، وكذلك اختلافهم فى سورة الكهف (س ١٨ آ ٢٨).

وقرأ عبد الله فى سورة الأعراف (س ٧ آ ٣) : « قليلاً مَايتذ كَّرُونَ » بتاء وياء . وأهل العراق : « تذَكَّرُونَ » بتاء لاياء معها . وقرأ عبد الله (س ٧ آ ٤٣) « اَلْحَمْدُ لِلهِ اُلَّذِى هَدَانَا لِهٰذَا مَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ » بغير واو . وأهل العراق : « وَمَا كُنَّا » بالواو . وقرأ عبد الله قصة صالح فى الأعراف (س ٧ آ ٧٥) : «وَقَالَ اُلْمَلَاءُ اُلَّذِينَ اُسْتَكْبَرُوا » ، وقرأ أهل العراق : «قَالَ اُلْمَلَاءُ» بغير واو . وقرأ عبد الله (س ٧ آ ١٤١) : « وَ إِذْ أَنْجَا كُمْ » بغير ياء ونون . وأهل العراق : « أَنْجَيْنَاكُمْ » بياء ونون . وقرأ عبد الله فى سورة براءة (س ٩ آ ١٠٧) : « اُلَّذِينَ اُتَّخَذوا مَسجِداً » بغير واو . وأهل العراق : « وَاُلَّذِينَ اُتَّخَذُوا » . وقرأ عبد الله فى سورة يونس (س ١٠ آ ٢٢) : « هُوَ اُلَّذِى يَنْشُرُكُمْ » بنون وشين معجمة . وأهل العراق : « يُسَيِّرُكُمْ » بسين غير معجمة وياء . وقرأ عبد الله (س ١٠ آ ٣٣) : « حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ » بالجمع . وأهل العراق : « كَلِمَةُ رَبِّكَ » بالتوحيد . وقرأ عبد الله فى بنى إسرائيل (س ١٧ آ ٩٣) : « قَالَ سُبْحَانَ رَبِّ » بألف على أنه فعل ماض . وأهل العراق : « قُلْ » بغير ألف على الأمر . وقرأ عبد الله فى سورة الكهف (س ١٨ آ ٣٦) : « خَيْراً مِنْهُمَا مُنْقَلِبًا » بميم . وأهل العراق : « مِنْهَا » بغير ميم . وقرأ عبد الله فى سورة المؤمنين (٢٣ آ ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٩) « سَيَقُولُونَ لِلهِ » فى الحروف الثلاثة ، وأهل العراق : « سَيَقُولُونَ لِلهِ» فى الحرف الأول ، « سَيَقُولُونَ اُللهُ » فى الأخرين . وقرأ عبد الله فى سورة النور (س ٢٤ آ ٣١) « أَيُّهُ اُلْمُؤْمِنُونَ » بهاء مضمومة لاألف بعدها . وأهل العراق : بفتح الهاء مع الف . وقرأ عبد الله فى سورة الشعراء (س ٢٦ آ ٢١٧) : « فتَوَكَّلْ عَلَى اُلعَزِيزِ اُلرَّحِيم » بالفاء ، وأهل العراق :

بالواو . وقرأ عبد الله فى سورة النمل : (٢٧ آ ٦٧) « إِنَّنَا لَمُخْرَجُونَ » بنونين . وأهل العراق : « أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ » بياء بعدها نون . وقرأ عبد الله فى سورة المؤمن : (س ٤٠ آ ٢٦) « وَأَنْ يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ » بغير ألف . وأهل العراق « أَوْ أَنْ » بإلحاق الألف . وقرأ عبد الله (٤٠ آ ٢١) « كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنكُمْ » بالكاف . وأهل العراق : « مِنْهُمْ » بالهاء . وقرأ عبد الله فى عسق : (س ٤٢ آ ٣٠) « بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ » بغير فاء . وأهل العراق : « فَبِمَا » بالفاء . وقرأ عبد الله فى سورة الزمر : (س ٣٩ آ ٦٤) « تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ » بنونين . وأهل العراق « تَأْمُرُونِّي » بنون واحدة . وقرأ عبد الله فى سورة الزخرف (س ٤٣ آ ٤٩) « وَقَالُوا يَأَيُّهُ ٱلسَّاحِرُ » بضمّ الهاء ، ولا ألف بعد الهاء . وقرأ أهل العراق: « يَأَيُّهَا » بفتح الهاء . وقرأ عبد الله : (س ٤٣ آ ٢٤) « قَالَ اَوَلَو جِئْتُكُمْ » بألف فى «قال» . وأهل العراق : « قل » بغير ألف . وقرأ عبد الله : (س ٤٣ آ ٧١) « وَفِيهَا مَاتَشْتَهِيهِ ٱلْأَنْفُسُ » بالهاء . وأهل العراق : « تَشْتَهِي » بغير هاء . وقرأ عبد الله : (س ٤٣ آ ٣٨) « حَتَّى إِذَا جَآنَا » بالتثنية[1] . وأهل العراق : « جَاءَنَا » بالتوحيد . وقرأ عبد الله : (س ٤٣ آ ١٩) « ٱلَّذِينَ هُمْ عِندَ ٱلرَّحْمٰنِ » بنون . وأهل العراق : « عِبَادُ ٱلرَّحْمٰنِ » بالباء وألف بعدها . وقرأ عبد الرحمن فى سورة الرحمن : (س ٥٥ آ ١٢) «وَٱلْحَبَّ ذَا ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانَ» بالنصب . وأهل العراق : « ذُو ٱلْعَصْفِ » بالرفع « وَٱلرَّيْحَانِ » بالكسر . وقرأ عبد الله :(س ٥٥ آ ٣١) « سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهُ » بغير ألف بعد الهاء ، والهاء مضمومة . وأهل العراق : « أَيُّهَا » بهاء مفتوحة بعدها ألف . وقرأ عبد الله : (س ٥٥ آ ٧٨) « تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَالِ » بالرفع . وأهل العراق: «ذِى ٱلْجَلَالِ » بالخفض . وقرأ عبد الله : (س ٥٧ آ ١٠) « وَكُلٌّ وَعَدَ ٱللّٰهُ » بضم

(١) انظر المقنع للدانى ص ١٤٦ .

اللام ، فى الحديد . وأهل العراق : « وَكُلاًّ » بالنصب . وقرأ عبد الله : (س ٥٧ آ ٢٤) « فَإِنَّ ٱللَّهَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ » بغير هو . وأهل العراق : « فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ » . وقرأ عبد الله : (س ٩١ آ ١٥) « فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا » بالفاء . وأهل العراق : « وَلَا يَخَافُ » بالواو .

وأما الحروف التى اختلف فيها مصْحَفَا أهل الكوفة ، وأهل البصرة . فكتب أهل الكوفة « لَئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ » فى سورة الأنعام : (س ٦ آ ٦٣) ، وأهل البصرة « لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا » . وكتب أهل الكوفة فى الأنبياء : (٢١ آ ٤) « قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ » . وأهل البصرة : « قُلْ رَبِّيَ » . وكتب أهل الكوفة فى المؤمنين : (س ٢٣ آ ١١٢) « قل : كَمْ لَبِثْتُم » فى الأرض ، والذى بعده (آ ١١٤) « قل إِنْ[1] لَبِثْتُم إِلاّ قَلِيلاً » . وأهل البصرة : « قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ » ، « قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ » بالألف . وكتب أهل الكوفة(س ٤٦ آ ١٥) « وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً » بالألف . وأهل البصرة : « حُسْناً » بغير ألف قبل الحاءو بعد السين، والحاء مضمومة . وزاد بعض أهل العلم حرفاً سادساً وهو : (س٧٦ آ ١٥ ، ١٦) « قَوَارِيرَ قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ » كتبه أهل البصرة بالألف فى الأول ، و بغير ألف فى الثانى . وأهل الكوفة بألفين فى الأول والثانى[2] . فهذه الأحرف التى اختلفت فيها المصاحف ، وكلها صحيحة المعنى متقنة الفحوى ، لا مطعن للطاعن فيها . والدليل على أن هذه الحروف المختلف فيها كتبت على الصحة والإيقان ، والعمد والقصد ، والإيثار لحفظ قراءتين على المسلمين قرأهما كلتيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وقتين من أوقات مختلفة . وإن الذى وقع من

---

(١) « إنْ » سقط من الاصل .

(٢) يعنى : قواريرا .

النقص والزيادة والتبديل لم يكن عن سهو ناقل ، ولا لإسقاط ناسخ غافل هو أن جملتها يجمعها الصحة والبيان ، ولـكل حرف منها شاهد من البرهان ، وحُجَّةٌ من الحق والرَّجحَان .

فأوصى ، وَوصَّى ، لغتان لقريش وغيرها معروفتان قال :

أَأَوصَى أبو قيس بأن يتواصلوا   وأوصى أبوكم ويحكم أن تدابروا

وقال الآخر :

أوصّى بدَعدٍ ماحَيِيتُ فإن أَمُتْ   أوصّى بدَعدٍ مَن يهيمُ بها بعدى

وأما قوله : (س ٢ آ ١١٦) « وقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللّٰهُ وَلَداً » بدخول الواو لعطف جملة من الـكلام على جملةٍ تقدمتها وسقوط الواو صحيح . وعلته أن السورة من القرءان تجمع من الأقاصيص والأنباء ماتجمع الخطبة ، والقصيدة ، والرسالة ، فعُمِل على أن قالوا كلام مستأنف . قال الله تعالى : (س ٢ آ ٦٧) « وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ ٱللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً » ، تقديره « فَقَالُوا » فأمسك عن الفاء لأن الـكلامَ كالمستأنَفِ بعد الـكلام الأول لتتابُعِ القصص والأنباء . قال :

لمَّا رَأيتُ نبَطاً أنصَاراً   شمَّرت عَن ركبتى الإِزارا
كُنتُ لها من النصارى جارا

أراد : وكنت ، فلم يأت بواوٍ إيثارًا للاختصار ، وبناء على أن كل حرف يَصلح الابتداء بِه يجرى مجرى المستأنف الذى لايعطف على ماقبله إن كانت النية فيه العطف .

وأما قوله : (س ٣ آ ١٣٣) « وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ » ، فإن الواو عطفَتْ سَارعوا على ما تقدم ، وسقوطها على نية الابتداء بما بعدها كسقوط الواو من « قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللّٰهُ وَلَداً سُبْحَانَه » ، ومثلهما : (س ٧ آ ٤٣) « ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ

ٱلَّذِى هَدَانَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا » ، « ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِى هَدَانَا لِهٰذَا مَا كُنَّا »[١] .

وقوله : (س ٣ آ ١٨٤) « بِٱلْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ » الباء الثانية فيه توكد الأولى، ومن قرأ « بِالْبَيِّنَاتِ وَٱلزُّبُرِ » قال : الواو تجمع ، ويلزم الذى بعدها حال الذى قبلها ، والباء الأولى تكفى عن الثانية . وقول العرب : مررت بأخيك ، وأبيك ، ومررت بأخيك و بأبيك ، دليل على أن كلتى القراءتين على سنن الحق ومنهاج الصواب .

وأما قوله (س ٤ آ ٦٦) « مَافَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلاً » فإن قليلا يرتفع لتقدم الجحد بمعنى مافعله إلاّ قليل ، ومن قرأ قليلا بالنصب حمل الجحد على الإثبات ، ونصب قليلا على الاستثناء من الضمير الذى فى فعلوا وأجراه مجرى : (س ٢ آ ٢٤٩) « فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً » . والنصب مع شربوا أصح فى عِلَل النحويين من النصب فى فعلوه ، لأن تقدم الجحد يوجب أن يكون الذى بعدها مشاركا لإعراب الذى قبلها . فكلام العرب السائر : ماقام القوم إلا أبوك ، برفع الأب . وقام القوم إلاّ أباك بنصب الأب على الاستثناء مع الإثبات من الأسماء المذكورة المرفوعة مع الجحد تحمل على إعراب الذى قبله ، على أنه يروى عن العرب . « فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاّ قَلِيلٌ » بنسق قليل على الضمير الذى فى شربوا . وقد حكى هذا حاكون عن أُبَيّ بن كعب[٢] .

وأما قوله تعالى : (س ٥ آ ٥٣) « وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا » فإن الواو مع رفع يقول مستأنفة ، عطفت جملة على جملة . ومع نصبه ناسقة يقول : على « يَأْتِيَ » من قوله : (آ ٥٢) « فَعَسَى ٱللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ » ، وأن يقول ، وعلى قراءة من لايأتى بواو يقول مستأنف أوفق فيه إسقاط الواو ، وأن لاتذكر معه تغليباً للاختصار الذى هو أوجه وأقرب إلى الإفهام ، وكل بنعمة الله صواب .

---

(١) المقنع ص ١١٠ ، ١١٩ .

(٢) انظر Materials ص ١٢٢ .

ومن قرأ (س ٥ آ ٥٤) « يَرْتَدِدْ » بدَالين أخرج الفعل على أصله لأن الدال الثانية سَكَّنَها الجازم . والأولى متحركة ، وسبيل المتحرك أن لا يدغم فى الساكن ، إذ يليه الساكن الادغام فى المتحرك ، لقوة المتحرك وضعف الساكن .

ومن قرأ « يَرْتَدَّ » بدال واحدة بَنى الواحد على التثنية فى قول الفراء ، والادغام فى التثنية واجب حين يُقال : أخواك لم يرتَدَّا . أصله لم يَرْتَدِدَا ، فثقلت دالان متحركان ، فأسكنت الأولى ، وأدغمت الثانية ، فصارتا دالاً مشددة . فلما حمل يرتد موحَّداً على يرتدا فى الثانية ، لزم الواحد من الادغام ما استحقته الثانية

وقال البصريون : لمّا قالت العرب بالرفع هو يرتدُّ وأصله يرتدِدُ ، وفى النصب لن يرتدَّ وأصله يرتدِدَ ، فلزم المرفوع والمنصوب ، الادغام متحرك الدالين فيهما ، حمل الجزم على الرفع والنصب ، لتتآلف الأبواب الثلاثة للادغام وَتتشا كل ألفاظها . فيكون ذلك أخف على اللسان ، وفتحت الدال الثانية من يرتد فى قول البصريين لسكونها ، وسكون الدال الأولى ، وفتحت عند الفراء ، كما فتحت مع ألف التثنية .

ومن قرأ (س ٦ آ ٣٢) « وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ » قال الآخرة نعت الدار والدار معرفة بالألف واللام ، كما يقال فى الكلام : وللمرأة الفاضِلَةُ . ومن قرأ « وَلَدَارُ الآخرة » ، أضاف الدار إلى الآخرة ، على أن الآخرة واقعة على جنس ما يتأخر . والدار نوعٌ من الجنس كما قيل : هذا ثوب خزّ . فجعل الثوب نوعاً ، ومثله قميص وشيْ ، وقد قالت العرب : حَبَّةَ الخضراء ، والشىء لا يضاف إلى نفسه ، لأن الخضراء جنس للمؤنث الموصوف بالخضرة ، وَالْحَبَّةُ نوعٌ من الجنس . وكذلك : ليلة القمر ، ومسجد الجامع ، وباب الحديد ، وما يجرى هذا المجرى ، والدار فى القراءتين كلتيهما خبرها خَيْرٌ .

وأما من قرأ (س ٦ آ ١٣٧) « وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ » . فإن الشركاء رفع بزيّن ، والقتلَ ناصبه زيَّن ،

والأولادِ خافضهم القتل . ومن قرأ . « وَكَذٰلِكَ زُيِّنَ » برفع الزاى ورفع اللام من « قَتْلُ » ونصب الدّال من « أَوْلَادَهُمْ » وخفض « شُرَكَاءِ » ، فأنه قال : القتلُ رفع بزُيّنَ ، وهو اسم ما لم يسم فاعله ، وخفض الشركاء ، بالإضافة وَمَعْنـاهم التقديم ، والأولاد مفعول القتل . وموضع الشركاء فى التأويل رفعٌ ، وإن كان لفظهم خفضاً ، لأن التقدير : وكذلك زيّنَ لكثير من المشركين أن قتل شركاؤهم أولادهم ، والتفرقة بين الخافض والمخفوض قد جاءت عن العرب فى قولهم : هو غلام إن شاء الله أَخيك ، وهو صاحب اليوم ألف دينار . يريدون غلام أخيك إن شاء الله ، وصاحب ألف دينار اليوم . فهذا ممَّا حُمِل على ذلك قال الشاعر :

فرججتهـــا متمكناً رجَّ القلوص أبى مَزَادَه

يريد : رج أبى مزاده القلوص .

وقال الفراء : ويروى زجَّ القلوص ، أبو مزاده ، فاعل لِزَجَّ .

وقال الآخر :

لمَّـا رأت سَاتِيدَ ما استعبرت لله دَرُّ الْيَومَ مَن لامَهَا

معناه : لله دَرُّ من لامهااليوم . وفيه وجه آخر وهو : أن يرتفع القتلُ بزُيِّنَ ، وينخفض الشركاء بقتل ، والأولاد مفعول القتل ، وتفسير الشرك أخذ من الأصنام الذين زينوا لأهل الشرك وأْد البنات ، وذبح واحدٍ من جماعة ذكور الأولاد تقرباً بذلك إلى الشياطين ، ومن يدعو إلى عبادته من الأوثان والأنداد . ويدخل فى هذا المعنى قتل أولادِهم شركائهم بخفض الأولاد والشركاء ، على أن الشركاء هم الأولاد ، إذ كان الأولاد شركاء آبائهم فى عيشهم ومالهم . فإخفاض الشركاء فى هذا الوجه بالترجمة [1] عن الأولاد ، وموضع الأولاد فى النيَّة رفع بفعل ما لم يسم فاعله .

---

(١) يعنى بالبدلية

وتلخيصه : زُيِّنَ لكثير من المشركين أن قتل أولادهم . وقال الفراء : ومن ضم الزاى ورفع القتل جعل علة رفع الشركاء أنهم فاعلوا الفعل ، كما تقول العرب أُكِلَ الطعامُ عبدُ الله . يعنى به أُكِلَ الطعامُ، أَكَلَه عبدُ الله . وتلخيص الحرف فى القرآن : وَكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم زيَّنه شركاؤهم .

وأما قراءة عبد الله (٦ آ ٥٢) « غدوة » فهى أنه جعل غدوةً واقعة على نكرة [١] فالقراءة ، والذى عليه أهل النحو ، أن غدوة يغلب عليها التعريف وترك الإجراء ، ويقبح دخول الألف واللام عليها ، [٢] لأنه : قل مايقال غدوةُ الجمعة ، كما يقال : غداة الجمعة ، وهذا يوضح اختصاص غدوةُ ، و إبهام غَدَاةِ .

وفى قول طرفة :

كأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدْوَةً خَلاَيَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ

دلالة على تنكير غدوة ، على أنه يصلح أن يكون معرفة نُوِّنَتْ لتصحيح أجزاء الشعر . وهى فى الحكم غير منوَّنة . وأما قوله (س ٧ آ ٣) « قَلِيلاً مَا تَتَذَكَّرُونَ » فإن معنى التاءين على قراءة عبد الله [٣] مُوَجَّهٌ إلى الأولياء قليلاً ماتتذكر الأولياء . وقرأ أهل العراق على أنه خِطاب الأمّة ، أى : قليلاً تتذكرون يأيُّها المخاطبون . فأدغمت إحدى التاءين فى الذال فصارتا ذالاً مشددة [٤] :

وأما قوله (س ٧ آ ١٤١) « وإِذْ أَنْجَاكُمْ » فعلى أنه حدث عن الله عز وجل على الغيبة ، وإذ أنجاكم الله كما أنجيناكم ، فيكون مبناه علي الإخبار عن المتكلم فى حال إخباره عن نفسه .

(١) انظر الاتحاف للبناء ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٢) يريد اضافتها لما فيه الالف واللام .

(٣) ولكن قراءة عبد الله بن عامر كانت بالياء والتاء كما فى المقنع ص ١١٠، ١١٩

(٤) « تَذَكَّرُونَ » بتخفيف الذال كانت قراءة الكوفيين وقراءة الباقين بتشديدها . انظر الاتحاف للبناء ص ١٣٣ .

وأما قوله (س ٧ آ ٧٥) « وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا » فى خبر صالح عليه السَّلامُ . فالواو تعطف جملة على جملةٍ ، وقراءةُ أهل العراق هى على استئناف القول و إجرائه مجرى المبتدأ .

وأمَّا قوله (س ٩ آ ١٠٧) : « وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مَسْجِدًا » فإن حذف الواو منها على الابتداء والانقطاع مما قبلَه ، و إثباتها على أنها تجمع مابعدها مع الذى قبلها . وقال أحمد بن يحيى : موضع الذين اتخذوا ، رفع بمضمر تقديره فى من نقص عليكم خَبره « ٱلذِينَ ٱتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا » . وقال غيره : خبر « ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا » (آ ١١٠) « لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمْ » .

وأما قراءة عبد الله (س ١٠ آ ٢٢) « هُوَ ٱلَّذِى يَنْشُرُكُمْ » بالنون والشين ، فإن معناه : يبسطكم ويبثكم ، وهو مشاكل لقراءة أهل العراق ، « يُسَيِّرُكُمْ » بالسين والياء ، لأن فى التسيير انتشاراً وانبساطاً . فكلتا القراءتين يتقارب معناهما .

وأمَّا قوله : (س ١٠ آ ٣٣) « حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ » . فإنما جمعت الكلمة لأن الله ، عز وجل ، لعن أهل الكفر فى حالات مفترقة ، وأوقات مختلفة ، وأوجب الأوصلال[1] والافتراق أن تكون الكلمة مجموعة ، وتوحيد أهل العراق علته : أن الواحد يكفى من الجمع ويأتى بمعناه ؛ فالأخصرُ والأخفُّ ، أحق بالإيثار والاختصاص .

وَأَمَّا قوله (س ١٧ آ ٩٣) « قَالَ سُبْحَانَ رَبِّى » فإن معناه : قال الرسولُ محمد صلى الله عليه وسلم : سبحان ربِّى تنزيهاً له من عُتُوِّكم وتمردكم عليه وقصدكم العنَتِ وتعفيَة آثار الحق ، بعد أن عرفتموه ، وجرى بقيام الدلائل عليه مجرَى المظهر المشاهَد .

---

(١) يعنى الاتصال .

وَمَنْ قرأ : « قُلْ » أخرجه على خطاب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ، معلماً له ومؤذناً ، وواعظاً ومعرّفاً .

وأمّا قوله (س ١٨ آ ٣٦) « خَيْراً مِنْهُمَا » فإنما ثنّى كناية عن « ٱلْجَنَّتَيْنِ » (آ ٣٣) . وأهل العراق آثروا « أَتَتْ أُكُلَهَا » فردوا الفاء فى منها على الهاء فى « أُكُلَهَا » وما يتنافى المعنيان ولا يبعُد مابين القراءتين ، إذ تقول العرب : كلتا الجنتين اتتا أُكلهما فى هذا الطريق « خيراً منها منقلباً » .

وأمّا قوله (س ٢٣ آ ٨٥) « سَيَقُولُونَ لِلّهِ » فإن أولَى اللاّمات لاخلاف بين القراء فيها ، لأنها جواب أول « لِمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا » ، فإن الجواب سَيَقُولُونَ لِلّهِ » ، لأن اللام لمَّا تقدمت رجعت فى الجواب . وقراءةُ عبد الله « سَيَقُولُونَ لِلّهِ لِلّهِ » فى الآخرين ، وليس فى السؤال لامٌ ، لأن معنى « قُلْ مَنْ رَبُّ ٱلسَّمَوَاتِ » فاطر السموات السَّبْع والعرش العظيم . فكان الجواب لله ، حين قدرت اللام فى السؤآل وعلة الثالثة كعلة الثانية .

تقول العرب لمخاطبها : لمن الدار ؟ فأجيب بجوابين : أحدهما : لزيد . والآخر : زيدٌ . واللام تدخل فى الجواب بناءعلى ما سبقها وتسقط ، لأن تأويل لمن الدّارِ ؟ مَنْ يملك الدّارَ ؟ فيقول المخاطب : زَيدٌ ، وإذا قيلَ له : من مَالك الدّارَ ؟ قال : زَيدٌ . وإن قال : لزيد ، لم يخطىءْ إذ تأويل مالكهاَ ، لمن هىَ . وأهل العراق أسقطوا اللاَّم من الثانى والثالث لمَّا لم تتقدم فى السؤالين لاَمٌ . وبنى أهل الشام على معنى الكلام لاعلى لفظه .

قال الشاعر :

فَقَالَ ٱلسَّائِلُونَ لِمنْ حَفَرْتُمْ فقَالَ ٱلْمُخْبِرُونَ لَهُمْ وَزِيرُ

معناه : المحفور له وَزِيرُ .

وأمّا قوله (س ٢٤ آ ٣١) « وَتُوبُوا إِلَى ٱللهِ جَمِيعًا أَيُّهُ » فإن ضم الهاء على على أن الهاء خلطت بما قبلها وألزمت ضم الياء الذى أوجبه النداء الفردُ . وأهل

العِراق أخذوا بأوضح العلتين . وقالوا : النداء يضم مكاناً واحداً ، والهاء متروكة على فتحها واتصال الألف بها . وأنشد الفراء :

يأيُّهُ ٱلْقَلْبُ ٱللَّجُوجُ ٱلنَّفسِ أَفِقْ عَنِ ٱلْبِيضِ ٱلْحِسَانِ ٱللُّعْسِ

بضم الهاء حملا على ضم الباء . وكذلك قوله (س ٤٣ آ ٤٩) « يَأَيُّهُ ٱلسَّاحِرُ » ، (س ٥٥ آ ٣١) « أَيُّهُ ٱلثَّقَلَانِ »[١] .

وأمَّا قراءة أهل المدينة والشام (س ٢٦ آ ٢١٧) « فَتَوَكَّلْ عَلَى » بالفاء ، فإن الفاء تأتى فيها بمعنى الإتصال كما يقال : ضربه فبكى . إذا اتصل البُكاء بالضرب ، والواو للجميع على الإتصال ، والسين[٢] إذا قام دَليل باختصاص أحدِ المعنيين .

وأمَّا قوله (س ٢٧ آ ٦٧) : « إِنَّنَا لَمُخْرَجُونَ » فإنه يوافق قراءة أهل العِراق فى المعنى ، لأن الاستِفهَامَ المتقدم فى « أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً » قد أدخل إننا فى معناه ، وانك بلفظ الخبر .

وأمَّا قوله (س ٤٠ آ ٢٦) « وَأَنْ يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ . فالواو فيه تجْمَع أن يظهر مع أن تبُدل ، أى أخاف ذا وذا . وقرأهُ أهل العِراق « أَوْ » فَان عليها أن أو يوجب حرف كل واحدٍ على الإنفراد أو إجتماع الأمرين بعد تصحيح الإنفراد ، كما يقال : خذ عن الحسن أو أبن سيرين . أى تفرد بعلم أحدهما أو اجْمعْ كلى علميهما .

وأمَّا قوله (س ٣٩ آ ٦٤) « تَأْمُرُونَنِى » بنونين فإن الحرف خرج فيها على الأصل لأن تأمرونى بمنزلة وكادوا يفتنوننى ، أُولى النونين علامة رفع المستقبل فأخراهما المضمومة، إلى ياء المتكلم الموجودة فى تقتلنى وتأمرُنى . وقراءة أهل العراق

---

(١) نظر المقنع ص ٢١ .

(٢) يريد الاستقبال أى التراخى .

« تأمُرُّونّى » فإن علتها استثقال النونين المتحركتين وادغام السابقة فى المتأخرة ليكون ذلك أخفّ على اللسان . وقراءة أهل المدينة : « تَأمُرُونِى »[١] بتفخيف النون أصله التشديدُ أو من الحذف اختصاراً .

وأمَّا قوله (س ٤٣ آ ٢٤) : « قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى » فإنّ معناهُ : قال النبى صلى الله عليه وسلم . وقرأه أهل العراق « قُلْ »[٢] على لفظ خطاب الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم .

أمَّا قوله (س ٤٣ آ ٣٨) : « حَتَّى إِذَا جَآنَا » فإنه أراد حتى إذا جَآنا الإنسان والشيطان ، وأهل العراق صرفوا الفعل إلى الإنسان ، لوضوح المعنى ، وزوال اللبس .

وأما قوله (س ٤٣ آ ١٩) : « عِنْدَ الرَّحمنِ » فإنهم عملُوا على أن عند الرحمن منها محل[٣] ، وكان كما ذهب أهل العراق إلى أن العباد هم الخاضعون الخاشعون المتذلُّون لربهم . فعند الرحمن قد أتى بمعنى القراءة الأخرى ولا يخرج عن جميع محملاتها .

وأما قوله (س ٤٣ آ ٧١) : « تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ » بالهاء فإن علتها ظهور الهاء التى تتم ما ، إذ لا بدَّ لها من عائد فى صلتها . وحجة أهل العراق ان الهاء فى تمام مَا ، فلمَّا طال الاسم خفّفَ بحذف الهاء منه . هذا قول هشام ، وإليه ذهب المازنىُّ .

وقال الفراء : سقوط الهاء لدَلالة ما عليها ، ولأن ما لا يكون سقوط الهاء نصباً[٤] إذ صلتها لا تحدث فيها اعراباً .

---

(١) انظر التيسير للدانى ص ١٩٠ .

(٢) انظر الاتحاف للبناء ص ٢٣٨ .

(٣) يعنى ان عند ظرف مكان .

(٤) يعنى مؤثرا فيها .

وأما قوله (س ٤٢ آ ٣٠) : « فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ » . فالعلة فى ذلك ان الفاء عرّف مكانها فاختصر بحذفها . فأهل العراق عملوا على أن تخريج الكلام على أصله أولى أن يُؤثر ، وأنشد :

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان

معناه فالله يشكرها فاضمر الفاء .

وأما قوله (س ٥٥ آ ١٢) : « وَٱلْحَبُّ ذَا ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ » فإن علته انتصاب الحرف بفعل مضمر ، أى وخلق الحبَّ ذا العصف ، لأنه لما قال قبله « وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ » دلّ وضعها على خلق الحب لأهلها ، وأهل العراق عطفوا الحبَّ على الفاكهة ، وأهل الشام لمّا قرأوا (آ ٧٨) « تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَالِ » قالوا ذو نعت الإسم . كما قال أهل العراق : « ذِى ٱلْجَلَالِ » نعت ربّك .

وأما قوله (س ٤٠ آ ٢١) : « كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً » ، فإن الكاف تقابل الهاء كما عرف ذلك فى قوله (س ١٠ آ ٢٣) : « حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ » . ومعناه وجرين بكم . وفى قوله (س ٧٦ آ ٢١ ، ٢٢) : « وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً ، إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً » معناه : لهم . وأهل العراق ردُّوا الهاء على اسماء الغُيَّب المتقدمين

وأما قوله (س ٥٧ آ ٢٤) : « فَإِنَّ ٱللَّهَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ » ، فإن الغنى خبر إنَّ . والمعنى قائم بنفسه . وأهل العراق يحتجون : بأن « هو » المضمرة هى الخبر ، لأن أن[١] تلزم كل الكلام ، ولو قيل : الله الغنى الحميد ، لقلتَ : على الغنىّ يصح أنه نعت والمظنون أنه عند دخول « هو » أنّ الغنى خبرٌ ليس بنعتٍ .

وقال سيبويه ، وهشام : لاموضع لهو من الإعراب . لأن هو ، بمنزلة مَا فى[٢]

(١) فى الأصل : ان لا ولا لزوم للا هذه.

(٢) هكذا فى الأصل : ولا داعى إلى مافى .

التوكيد . وقال الفراء : موضعه رفع لأن هو مع الغنىّ بمنزلة شيء واحدٍ ، ولقبه عند الكوفيين العماد ، وعند البصريين الفصل . وفى هو وجه آخر مبناه على أن هو اسم خبره الغنىُّ . وخبر إن رجوع الهاء من هو الذى يفيد دخوله التوكيد.

وأما قوله (س ٩١ آ ١٥) : « فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا » فإن الفاء فيها تصل الذى بعدها بالذى قبلها وهو « فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ » ، فسوّى الارضَ عليهم مما يخاف عقبى هلكتهم ، ولا يُقدِّرُ أن يرجعوا إلى السلامةِ ، بعد أن ازالها عنهم ، ويصلح أن تكون « سَوَّاهَا » سوّى الأمّة فى العذاب ، فعذب صغارها كما عذّب كبارها ، فما يخاف على ذلك من ثائرٍ لهم ولا غاضب ، لما نزل بهم . وأما الواو فى قراءة أهل العراق ، فإنها جمعت التى اتصل بها مع العقر ، إذ انبعث أشقاها بعقرها ، وهو لا يخاف عقبى عقرها ، أى لا يستشعران الهلاك ، ينزل به من جهة عقره إياها .

وأما قوله (س ٦ آ ٦٣) « لَئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ » فإنه مبنى على انجانا الله كما بنى الكوفيون الفعل على الاخبار بالمشاهَدَةِ والحضور والحديث عن النفس .

وأما قوله (س ٢١ آ ٤) : « قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ » فإنه حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغيبة ، والبصريون أجروا « قُلْ » على خطاب النبى صلى الله عليه وسلم والمعنى له ، وللامّةِ وفيه لطافةٌ وهى : أن النبى صلى الله عليه وسلم ، أُمر بذلك القول ففعل ما أُمر به ، فحكاه الله عنه فاجتمع فى اللفظتين الأخبارُ عن الحالتين . أى قيل له صلى الله عليه وسلم « قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ » ، فاطاع وقال : ربى يعلم القول .

وكذلك (س ٢٢ آ ١١٣ ، ١١٤) « قَالَ : كَمْ لَبِثْتُمْ » ، و« قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ » ، « قَالَ : إِنْ لَبِثْتُمْ » ، « قُلْ إِنْ لَبِثْتُمْ » .

وأما قوله (س ٤٦ آ ١٥) : « وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا » فإن

معناه كمعنى قراءة أهل البصرة « حُسْناً » لأنهما مصدران يرجعان إلى معنى . وتأويل الكلام ووَصيناه أن يفعل لهما حسناً ، أو إحساناً .

وأما قوله (س ٥٧ آ ١٠) : « وَكُلٌّ وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى » . فإن العلّة فيه اضمارُ هَاءٍ مع وَعدَ ، وتقديره : وكل وَعدَه الحسنَى ، كما عمل أهل العِراق على سبق الوعد إلى كل ، والاستغناء بذلك عن ضمير الهاء . والعرب تقول : كل العَدُوّ لقيتُ ، وهم يريدون لقيته . قال أبو النجم :

قَدَ أَصبحَت أمُ الخيار تدَّعى   علَيَّ ذنباً كله لم أصنع

ويروى كلَّه وَكلُّه على ما تقدم من التفسير

وأما قوله (س ٤٣ آ ٦٨) : « يا عِبَادِى لاَخَوْفَ عَلَيْكُمْ » . فإن العلة فى ذلك خروج الحرف على أصلِه ، كما عمل أهل العراق على أن النداء موضع حذف واختصارٍ ، فلما وقعت الياء منه موقع التنوين المنسقَطِ من : يا زيد أقبل ، كان الأولى سقوط الياء بناء على سقوط التَنْوين .

الفصل السادس

فى اختلاف القراءات

وإذ قد ذكرنا اختلاف المصاحف وبيّنا الوجه فى ذلك، وكشفنا العلل، وأوضحنا المسالك، فبنا[١] أن نشرعَ فى اختلاف القراءات فإنه أيضاً مما شنع به على أئمة المسلمين فى القرآن، ونسبهم أهل البدع والضلالات فيه إلى خلاف مصحف الجماعة بالعدوان، ونشرع فى نقض ما موَّهوا به على الأغرار[٢]، ولبَّسوا بالاتساع فيها على الأغمار، وإبطال ما أجروا إليه من ذلك بأوضح البراهين والدلالات، وأوكد الحجج وَالإبانات.

فأول ذلك قوله تعالى (س ١ آ ٢ ـ ٤) « ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ، ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، مَلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ». زعم خصوم أهل الحق: أن قراءة من قرأ « مَالِكِ يوْمِ ٱلدِّينِ » بالألف تخالف هجاء المصحَفِ، إذ خط المصحف الألف غير مَرسُومة فيه ؛ وقالوا : لو كانت الألف لازمة فى اللفظ لم تسقط من الخط هَاهُنا، كما لا تسقط من قولهم : عبدالله مَالك الدنانير والدراهم. فرد ذلك عليهم قبل بالحجاج باللغة ومقاييس أهل النحو بقول الله تعالى. يقول الله تعالى : (س ٣ آ ٢٦) « قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ » فإن الألف مسقطة من خطه، مثبتة فى لفظه بإجماع القرّاء على ذلك. فما منهم قارىء قرأ : مَلِكَ ٱلْمُلْكِ، ولا جوّزه نحويٌّ ؛ لأن الملك مفعول وَمَلِكَ مما لا يتعدَّى إلى مفعول. فبطلت معارضَتُهُم، فرد المختلف فيه إلى المتفق عليه، ثم رَجَعْنَا إلى الاحتجاج باللغة والنحو فوجدنا لإسقاط الألف « مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ » حججاً ستًّا.

---

(١) يريد : فعلينا.

(٢) فى الأصل : الاغثار، والصواب الاغرار.

أولاها : ان « مالك يوم الدين » ، « ومالك الملك » وصفان ينفرد بهما الله تعالى . لايقال « مالك يوَم الدين » ، « ومَالك الملك » لأحد من المخلوقين . فلمَّا عُلِما وصفين لله عز وجل دون غيره ، جرى كل واحدٍ منهما مَجرى «الرحمن» الذى لا يسمى به غير الله عز وجل . فسقطت الألف من « مالك يوم الدين » و « مالك الملك » كما سقطت من الرحمن . وكان مالك فى هـذين الموضعين ، يخالف مالك الدراهم والدنانير من أوصاف المخلوقين ، التى تكثر وتتسع ، ولا تختصّ ، وتحصر على معنى يوضح الفرق بينَهنَّ بأن المقصور على البـارى جل جلاله حكمه فى الحد ، وحكم الرحمن فى اتفاقهما فى المعنى ، واجتماعهما فى أصل العلة ، وما يكثر ويتفرق وَيزايله الاختصاص تلزم خطَّهُ الألف ، كما تلزم قائماً ، وقاعداً ، وضارباً ، وشاتماً ، وما يجرى مجراهنّ .

الحجة الثانية : إن « مالك يوم الدين » ، « ومالك الملك » لمَّا كان أحدهما فى فاتحة الكتاب التى قد نُدِبَ العالم إلى قراءتها ، ومواصلةِ تلاوتها فى كل صَلاةٍ فريضةٍ ونافلةٍ . واعلمُوا أن كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهى خداجٌ ، والحرف الأخر متصل بحرف الندب والأمر ، وهو : « قُلِ اُللَّهُمَّ » فلمَّا كان الحرفان مختصين بهذين المعنيين لزمهما وتحقق فيهما من كثرة الاستعمال مالم يجب لغيرهما ، وسبيل ما يكثر استعماله أن يخفف وأن لايقاس عليه غيره ممَّا يقل الاستعمال ، فسقطت الف « مَالك » من كلى[1] الموضعين : لما لزمهما من كثرة الاستعمال واشبَهَا بهذه العلة أيضاً « الرحمن » الذى لم تسقط ألفه من الخط إلا إيثار تحقيقه لما كثر استعماله .

الحجة الثالثة : إن « مالك يوم الدين » معرفة مبنى على مَلَكَ يومَ الدين ، وكذلك « مالك الملك » معرفة بالملك مبنىّ على ملـكتُ الملكَ ، ولولا أن « مالك يوم الدين » معرفة لم يكن نعتاً لله عز وجل اُلذى هو أعرف المعارف ؛

---

(١) هكذا فى الأصل والصواب : كلا

فكان جريه على إعرابه يشهد له بمحض التعريف ، والبعد من التنكير ، والخلاف لمالك الدراهم والدنانير ، إذ مَالك مضاف إلى الدنانير يجوز أن يكون منكوراً لاتعرفه الدراهم كما عرّف الملك ،و يوم الدين مالكاً ، فلزم الألف الحذف فى مالك . وَملك فى الموضعين خاصةً لتعريفهما ، ولأنهما بالتعريف يجريان مجرى الرحمن ، و ينضم إلى هذا الذى نصفُه ان يوم الدين لحصوله و بقائه معَ مالك لما[١] كان مَالِك به معرفة ، وَكفى عن الألف فسقطت بتعريفه ما هى فيه ، و بنيابة المضاف إليها[٢] عنها ، والدراهم لا تنوب عن الف مالكٍ ، إذ كانت لا تلزم ولا تعرف ما يضاف إليها .

قال الله تعالى (س ٢٤ آ ٣٧) : « وَ إِقَامِ ٱلصَّلَاةِ » أصله واقامَة الصلاة ، فكفت الصلاة من الهاء التى لفظها لفظ التاء لاختلاف المضاف إليه والمضاف . قال الفضل اُبن العباس :

إنَّ ٱلْخَلِيطَ أجدّوا ٱلبين فانجرَدُوا ... وَأَخلفُوكَ عِدَا الأمرِ ٱلَّذِى وَعَدُوا

أَصلُه عدة الأمر ، فكفى الأمر من الهاء للعلة التى قد أوضحت ، ولو خلا الحرْف من المضاف إليه لقيل وَعَدته عدةً ، ولكان وَعدتُ عِداً خارجاً من القَول باسقاط هاءِ لايخلُفُها حاصِلٌ خالد .

وَروىَ عن أبى عبيدة معمر بن المثنى قال : لمَّا أنشد أعشَى الحرمّان رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم :

إِلَيْكَ اشكو دربة من الدَرب ... يا مَلِكَ الملكِ وَدِيَارَ ٱلعَرَبِ

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك الله الواحد القهار . ففى هذا القول من الرسول صلى الله عليه وسلم دَلالةٌ على أن مَلِكَ الملك بمنزلة الرحمن لا يوصف بواحد منهما مخلوق . ودليل التعريف وتحققه لملك يوم الدين بعد

---

(١) هكذا فى الأصل : ولا لزوم لها .

(٢) أىّ إلى ماهى فيه .

الاحتجاج المتقدم ، أنّ مَابُنِىَ على الماضى مماظاهره ظاهر إضافة إلى مابعده لا يكون إلا معرفة . يشهد بصواب ذلك قول النابغة :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً   وَلَيْس وَرَاءَ ٱللهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ
لَئِنْ كُنْتَ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِىّ خِيَانَةً   لَمُبْلِغُكَ ٱلْوَاشِى أَغَشُّ وَأُكْذَبُ

أراد لمبلغك مغرور ، مبنى على أن من ابلغك لذلك فنتعه بالواشى ، والواشى لا يكون نعتاً بعد معروف .

الحجة الرابعة : أن « مَالك يَوم الدّين » ، « ومَالك الملك » كتبا بلغة مَن يقوله مَلْكُ ، وقرِئَتا بلغة من يقول مَالك ، كما كتبت لأن أَخرتنى إلى أجلٍ قريب ، على لغة مَن يقول : لن بغير همز ، وقرئت بلغة من يَهمِزُ . وكما كتب : الربو بالواو ، على لغة من يقول الربو ، فكانت قراءته بغير اللغة التى كتب بها لمَّا اتفق معنى اللغتين ورجعا إلى تأويل واحدٍ . فما بين النحويين خلاف فى أن العرب تقول : قد حرم الله الرِّبو . فيقفون على الواو ، ويجعلونها بدلاً من الألف والياء ، لأنها أظهر منهما وأبين وأقل خفاءً ، ومعروف فى كلامهم : قام موسو ، وَعيسو ، وَتشتهيـه الانثو ، وهو مما تكلمت به قريش . وعن صمهم بن جوهر قال : قال رجل لابن عباس : إنى قتلت حيَّة وأنا محرم . فقال ابن عباس : هل نهشت إليك ؟ قال : لا . فقال : لا بأس بقتل الافعو ولا ترمى الحدو . قال : فما أنسى خلاف كلامه من كلامنا . ومعنى قوله : نَهَشتْ إليك طلبتك وارادتك . فإذا كُتِبَ الربو بالواو وقرأته بالألف على لغةٍ لا يقرأ بهـا لا يستنـكر أن يقرأ « مالك يوم الدين » بالفٍ ، ويكتبُ بلغَةِ من يقول مَلك يوم الدين . وقد قال الفراء : كتب « يا اُبن أُمَ »[1] موصولاً بنُون وَوَاو على لغةِ من لا يهمز ، فـكما لاَ يلزَمُ من يهمز هـذا خلافاً للمصحف ، فـكذلك لا يوجبه على من قرأ مَالك بالألف خلاف هجاء المصحف .

---

(١) المراد به س ٢٠ آ ٩٤ « يَبْنَؤُمَّ » .

وقال الفراء أيضاً : كتبُوا « لِئَلاَّ » بالياء على لغة من لا يهمزه ، وكتبوا لِأَنْ بالألف على اللَّفظ المستعمل ، لأن أن مُفردٌ في هذا الموضع ، ويغنى عن اللام فيقال : جئت لأن أكرمك . وجئت أن أكرمك ، فأجروها مع اللام مجراها مفردةً .

الحجة الخامسة : أن حروف القرآن يلزمُها من كثرة الاستعمال مالا يلزم الحروف المقولَة فى الأشعار وسائر الكلام ، لأن القرآن ترديدُه وتكثير (١) ألفاظهِ دائمان ، ولا ينقطعان ولا يُعْدَمان ، فما أُسقطت منه الألف من « مَالك يوم الدين » و « مالك الملك » و « ساحرأن تظاهرا (٢) » ولا يقاس عليه مايأتى فى شعر وكلام ، لأن كثرة الاستعمال توجب التخفيف والحذف . وأكثر مايقع هذا فى الياء والواو والألف ، لأنهن حروف المدّ واللين . الألف تجرى مجرى الفتحة ؛ وكذلك الواو تنوبُ عنها الضمة لمشاكلتها إياها ، والياء تخلفها الكسرة لأنها منها . وقد قالت العرب : أقبل يضرِبُه لاَ يَأْلُ ، يريدون لا يألو . فاكتفوا بضمة اللاَّم من الواو ، وقال الشاعر :

ولا أدر مَن ألقى عليه إزارَه   خَلاَ أنه قد سُلَّ عَنْ ماجِدٍ مَحْضٍ

أراد ولا أدرى ، فحذف الياء لغيرما علة ، لأن (٣) الكسرة تخلفها . وكذلك قولُ الآخر :

كَفَّاكَ كَفٌّ مَاتَلِينُ بِدرهم   جوداً وَأُخرى تُعْطَ بِالسَّيْفِ الدِّمَا

أراد تعطى (٤) فأسقط الياء . قالت العرب : سُعَيد ، فزادوا ياء لا أصل لها . كما زادوا ألفاً ليست من الأصول فى عياض وجهازٍ ، وَاوَاً فى رسُول ، وظلوم

---

(١) هكذا فى الأصل والأحسن : تكرير .

(٢) فى س ٢٨ آ ٤٨ . انظر المقنع ص ١٣ ، ١٠٣ .

(٣) فى الأصل : إلا لأن .

(٤) فى الأصل : تعطيك .

وقبول . فإذا ثبتت الألف فى حرف من حروف القرآن قد شوهدت مسقطة كانت الحجة فى حذفها كثرة الاستعمال ، وان حروف القرآن لا يقاس عليها حروف غيره .

وقد قال النحويُّون : الألف تسقط من ملك بن أنس ، لأنه اسم علم يختص بالتخفيف ، كما تسقط الألفُ مِن صَالح ، وحارث ، وَقَاسِم ولا يسقطون الألف من عَامر ، وعَاصِم إشْفاقاً من أن يلتبسا فى عُمر وعصُم ، لأن كل واحدٍ من عُمر وعصِمَ علمٌ مُعلّقٌ على شخص معمَّر ، ويثبت الألفُ فى قاسمٍ مَالاً ، وحارثٍ أرضاً ، وصَالحٍ فيما فعل ، لأنهن أوصَافٌ غير ألقابٍ ، ولا أَعلاَم ، فلا يلزمُهنَّ من الحذف مايلزم الأعلام . وقد حكى عن أحمد بن يحيى ثعلب : أن الألف ماسقطت من النعوت لئلا تلتبسن بالأفعال الماضية . يعنى : أنهم كتبوا : هذا رجل قاسم مالاً ، بالألف فرقاً بينه و بين قسم ، لأن النعتَ أصل يمسه الاستخفاف[1] لحلول الماضى والمستَقْبل محله ولم يفرقوا بين قسم وهو اسم رجل ، و بين قَسَم لأن الاسمِ العَلم لا يحل محله مَاضٍ ولا مستقبل حتى ينتقلا عن مَعْنَيْهِمَا ، وأسقطوا الألف من الكٰافرين والخٰسرين ، والظٰالمين والفٰسقين لثقل النعت والفصل والجمع ، ولم يسقطوا الألف من القائمين ، والصَّائمين ، لأن أُولئك الحروف اُختُصِصْنَ بهجاء المصحفِ الذى لزمُهن فيه لكثرة الاستعمال .

فهاؤلاء الخصوم أقدموا بما نسبُوا هذه القراءة إليه من خلاف المصحف على الطعن ، فيمن آثرها وقرأ بها ، لأن من تعمد خلافاً لهجاء المصحف بمنزلة من خالف لفظه فى حَال التلاوة والقراءة ، فأى عَيبٍ أشهر من هذا ؟ وأى خزية أفضح من هذا لصاحبها من جرحه ناسباً[2] أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى أنهم كتبوا حروفاً خالفوها ، و بنوا على غيرها ؟ ومع هذا كله فملك يوم الدين بالألف مأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم المشهود لهم بالجنة ، فمن عضّ

---

(١) يعنى الإزالة عما كان عليه .

(٢) فى الأصل : ناسب .

واحداً منهم ، ونسبه إلى معنى الخلاف فى المصحف الأمَام ، فقد بآء بأكبر الإثم وأعظم الجرم .

قال اُبن الأنبارى : حدثنا أحمد بن الهيثم قال : حدثنا الحسن بن الربيع ، حدثنا حازم بن حسين ، عن مالك بن دينار ، عن أنس بن مالك قال : صليت خلفَ النبى صلى الله عليه وسلم ، وخلف أبى بكر ، وعمر ، وخلف عثمان ، وعلىّ رضى الله عنهم ، وكانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين ، ويقرؤونها «مَالِكِ يَوْمِ اُلدِّينِ » ، يعنى بالألف .

قال : وحدثنا أحمد بن الهيثم ، حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، حدثنا : زهير ، عن عبَّاد بن كثير ، عن عبد الله بن عبيد الله بن كريز ، عن الزهرىّ قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وطلحة ، والزبير ، وعبدُ الله بن مسعودٍ ، وأُبَىٌّ بن كعب ، ومعاذ بن جَبَل « مَالِكِ يَوْمِ اُلدِّينِ » .

قال : وحدثنا أحمد بن يحيى الحلوانى ، حدثنا يحيى بن عبد الحميد ، حدثنا أبو إسحاق اُلحميسيّ ، عن مالك بن دينار ، عن أنس بن مالك قال : قرأرسول الله صلى الله عليه وسلم « مالك يوم الدين » بالألف .

قال : وحدثنا محمد بن عيسى البياضىُّ ، حدثنا القُطَعىُّ ، حدثنا محبوب ، عن عبـاد بن كثير ، عن عُقَيْل بن خالدٍ ، عن الزهرىّ ، عن أنسٍ قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، ومعاذ بن جَبَل « مالك يوم الدين » ، وقرأ اُبن عباس ، واُبن عمر « مِلِكِ يوم الدين » بغير الف .

قال حدثنا محمد بن يحيى ، عن سلمة ، عن الفراء ، حدثنا : حازم بن حسين ، عن مالك بن دينار ، عن أنسٍ قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان « مالك يوم الدين » بالألف .

قال : وحدثنا أحمد بن يحيى ، عن سلمة ، عن الفراء قال : يروى عن رسول صلى الله عليه وسلم « مالك يوم الدين » بألفٍ ، « وملك يوم الدين » بغير ألف .

قال : وحدثنا العباس بن إبراهيم القراطيسى جار إدريس الحدّاد ، حدثنا أحمد بن محمد الشقيرىّ الكوفى ، حدثنا ابن فضيل ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « مالك يوم الدين » بالألف .

الحجة السادسة : وهى أن أصحابَ النبى صلى الله عليه وسلم أسقطوا الألف من الخط وهى ثابتة فى النطق اتباعاً لما وضعه كتاب العربية ، ورسموه مما اصطلحوا عليه ، وكانوا فيه قدوة لمن بعدهم ؛ فكان سقوط الألف من مالك لا علة له إلا الاتباع لمن وضعوا[1] الخط ورسموه ، كما كتبوا « مائة » بألف بين الميم والهاء ، « وأولئك » بواو بين الألف واللام « وَلَأَاوْضَعُوا خِلَالَكُمْ » (س ٩ آ ٤٧)[2] بألفين ، « أَوْ لَأَاذْبَحَنَّهُ » (س ٢٧ آ ٢١) بألفين أيضاً فى حروف لم تبن على القياس ، لكنها اتبع فيها رسم الواضعين للخط . وهذا أضعف الأوجه ، لأن ظاهره تضعيف لمذهب الخط ، وأنه لم يقع الأثبات فيه والحذف على علل تصحُّ ، وقياس يطردُ . وما ينبغى لمؤمن أن يضعف مذهباً تعرف لتقويته علة إذا كانت العلة حجاجاً عن القرءآن ، وتصحيحاً لخطه ، وتصويباً لكُتّابه . وهذا الذى عُدّد فى هذا الجواب كله عندنا صواب .

فأما « مائة » فإنها لما خالفت نظائرها من مئة ورئة بأنها لا يتصل ذكرها فى كل الحالات ، إذ هى بعد التسع ينقطع ذكرها فيقال : ألف ، ولا يقال : عشرمائة ، ولا عشرون مائة ، ولا إحدى عشرة مائة كما يقال : عشرون فئة ، وإحدى عشرة فئة ورئة ، فحين خالفت مائة النظائر فرق بينها وبينهن بإلحاق ألف بين الميم والياء

---

(١) فى الأصل : وضع . والصواب : وضعوا .

(٢) انظر المقنع ص ٤٧ ، ١٠٠ ، ١٤٨ .

المبدل من الهمزة ، وكان هذا الموضع أحق من[١] الألف من الكينونة بين الياء والهاء ، لأن هذا مكان مُعْلِم للزيادة . ولا يذهب وهم إلى أنه وقع فيه الذى وقع لغير الفرق ، ولو أتت الألف بين الياء والهاء ، التبس الواحد بالجمع حين يقال مئات . فكانت الزيادةُ أصل وجوبها الفرق . وهذا المكان مختص بها لأمن اللبس فيه ومن جهته .

وقد ذهب ذاهبون إلى أن الألف فى مائة تفرق بين مائة ومنه . والجواب الأول أصح ، لأن الفروق إنما تقع بين المتقاربات . فمائة وفئة ورئة أقرب إلى مائة من منه . إذ كل واحدٍ منهن اسم ، ومن حرف معنى بعيدَة الشّبَهِ فبعدُهَا من شَبَهِهَا يغنى عن زيادة الفرق بينها و بينها .

وأمّا قوله (س ٢٧ آ ٢١) : « لَأَاذْبَحَنَّهُ » ، و(س ٩ آ ٤٧) «لَأَاوضَعُوا» فإن الذى أحوج إلى زيادة الألف فيهما وفيما يشبههما (ما استعمل فى الزيادة)[٢] أن ألف أذبح لما اختلطت بلام الأقسام أشفقوا من أن يظن أنها منقطعة من الذبح ، والاتضاع فى « ولا وضعوا » فزادوا ألفاً لينضمَّ إلى الفعلين من الذبح والاتضاع ، وجرى ذلك منهم مجرى التوكيد . يشهد بصحته قول الشاعر :

كما ما امرؤٌ فى معشر غير رهطه ضعيف الكلام شخصه متضائلُ

فزاد ما مفردةً لمَّا اتصلت الأولى بالكاف ، وَقَدَّرنا أنها باتصالها قد غلبت الكاف عليها وقطعتها عن الذى بعدها . فكانت قصة اللام كقصة الكاف لمَّا حاذروا أن تختلط الألف باللام ، كما أشفقوا من اختلاط ما بالكاف فزادوا عند ذلك ألفاً أفردوها ، كما ألحقوا ماثانية ولم يصلوهَا ، ولا يُستعمل فى هذا المعنى إلا ما استُعمل ووجد فى المصحف منصوصاً . و إذا لم يكن كذلك فلا وجه لزيادة

---

(١) يعنى : بالألف .

(٢) هذه الكلمات زائدة فى الأصل .

ألفٍ بعد الألف من أجل أنهم مجمعون على كتابة الألسنة ، والألوان ، والأثوار بألف مفردة مع اللام لا أخرى بعدها ، ولو عمل على القياس لزيدت ألف فى هذا النوع ، وَما فُعل ذلك . وكتبوا للألسنة بإسقاط ألف كانت موجودة قبل دخول اللام الخافضة . فلما حضرت اللام وصُورتُها كصورة الألف كرهوا أن تجمع صور متفقة كأنهن لامات كلهن فأسقطوا ألفاً ، واقتصروا على إثبات أربع أربع منهن لامات ثلاث وألف . ولمَّا كتبوا بالألسِنَةِ لم يسقطوا الألف التى دخلت عليها البـاء ، لخلاف صورة البـاء صورة الألف ، وأنها لا تلتبس بها ولا تحمل عليها .

وكتبوا اللحم ، واللبن ، واللين بلامين تغليباً للفظ ، وعملاً على أصل الحرفين اللذين أحدهما مدغم فى الآخر .

وكتبوا فى المصحف الليل بلام مفردة[1] عملاً على مايوجبه الإدغام فى مدّ ، وردّ ، ومايضاهيهما ، إذ الدَّال المشددة دَالان . فكتبوا الليل واللبن على خلاف ، وحملوا اللبن على الأصل ، والليل على اللفظ ، وكان القياس على خط اللبن أوجب من القياس على هجاء الليل ، لأن الأسماء والأفعال تجتمع فى علة الإدغام ، وَأَن الأول حكمه الإنفراد من الثانى على أنهم اختصوا الليل بسقوط اللام منه تغليباً للفظ ، و إيثاراً للاسم بالتخفيف ، كما فعلوا مثل ذلك فى الذى والتى ، فكتبوهما بلام مفردة وفى اللفظ لامان : أولاهما ساكنة ، وأخراها متحركة . على أن اختصاص الذى ، والتى بلام مفردة له علة أخرى وهى : ان الذى ، والتى لمَّا كان كل واحدٍ منهما لاينفرد منه الألف واللام كما ينفرد من اللبن فيقال : لبن ، أوجب ذلك اختلاط اللاَّم بما بعَدَها ، وأن يغلبَ لفظ الثانى على لفظ الأول فكتبوا اللذين ، واللأَّئى ، واللَّواتى بلامين فى التثنية ، وأجروالذين ، واللاّى فى الجمع مجرى الذى فى الواحد . لأن الذين جمع تكسير ، وهوعلى هجاء واحد فى أبواب الرفع ، والنصب ، والخفض .

---

(١) انظر المقنع ص ٧٢ .

فكان بهذه العلة واحداً يعبر عن الجمع ، كما كان هاؤلاء غير مُعرب فى اللفظ لما أجرى مجرى هذا إذ كل واحد منهما واحد[١] فى الحقيقة ، فبنى كما بنى هذان[٢] خالف هـذا وهذان ، كما خالف اللذان ، الذى ، والذين . وكتب اللأّئى ، واللواتى بلامين ، لأنه جَمْعُ جَمْعٍ ، وجمع الجمع (يغاير الجمع) وخالف بهم الذين ، واستحق بخلافه إياه إيقاع فرق بينه و بينه .

وكتبوا ثانياً ، وثالثاً ، ونافعاً ، ونائِلاً ، وتافلاً بإثبات الألف ، ولم يسقطونها منهن كما أسقطوها من صٰلح ، وحٰرث ، وقٰسم لأنهم عملوا أن نافعاً ، ونائلاً ، وثالثاً وما أشبههن نعوت علقت على الأشخاص فأجريت مجراها نعوتاً . وَبنوا قاسماً وحارثاً ، وصالحاً على أنهن أسماء وضعن على الأشخاص ، فكانت الأسماء يجب لها التخفيف والنعوت مخرجة على أصلها . دليل هذا : أن أحمر إذا سمى به رجل أحمر لم يجر فى معرفة ولا نكرة ، وقيل هذا سمى بنعته ، وجرى الاسم مجرى النعت فى هذا المعنى ، فإن سمى الأسود بأحمر ، أو الأبيض بأسود ، وجُرَّ أسود فى النكرة ولم يجر فى المعرفة لخلوص الاسمية له وذهاب معنى النعت عنده ، وأنه فى هذا الباب بمنزلة أحمد ، وأفكل إذا سمى به رجل ، واحوص ، واصبغ ، واخون وما يشبه ذلك . هذا قول الفراء ، وتفسير أحمد بن يحيى .

فأما : أولى ، و إلى ، وأولوا ، وأولئك ، فإن الواو ثبتت فيهن لأنهن أسماء خالفن النظائر ، فإن أولى ، وأولو لا يستغنون عن الإضافة ولا يعرف لهن فى الانفراد معنى . وأولى وأولئك خالفن نظائرهن بسقوط الإعراب عنهن من اللفظ حين لا يوجد فى ألفاظهن برهان لرفع ، ولا نصب ، ولا خفض . فرق بينهن و بين إلى فزيدت الواو تغلباً للضمة . وكان الفرق واقعاً بينهن وبين إلى لتقاربهن فى الاسمية

---

(١) يعنى مفرد .

(٢) فى الأصل : لمـّا خالف.

فإن إلى تجعلُ إسماً يقالُ : انصرفت من إليك ، كما يقال : غدوتُ من عليك ، فوقع الفرق بين المتشابهين ليزول اللَّبس عَنهما ، وكان الذى تغلب عليه الاسمية أحمل الزيادة لخفته ، ولِأنَّا نجد الإسم يحتمل الزيادة والزيادتين وأكثر منهما . فَعُلِمَ أن مزيداً ومعبداً كلاهما فيه ميم مزيدة ، ولا نشك أن مجاهداً فيه حرفان زائدان الميم والألف ؛ فكان الذى يغلب علمه فى الأسمية أحق بالزيادة عند الحاجة إلى الفرق من الذى طريق الأداة أسبق فيه وأعرف به ، لأنا لا نعرف الزياد تقوى فى الأدَواتِ كقوتها فى الأسماء إذ الأسماء محصورة على فاء ، وعين ، ولام ، وما زاد عليهن زائد والأدواتُ غير محصورة على هذه العِدَّة من الحروف . فمن هذا الطريق ولهذا الفرق كان أولى ، وَأولوا ، وَأولَى ، أولى بالزيادة من إلى .

وأما ثلثَه ، وثلث ، وثمانية ، وثمان فسقطت الألف من هجائهما إعتماداً على كشف المفسر[1] معانيهن حين يقال ثلثة دنانير ، وثلث هبات ، وثلث بدر ، وَأسقطوا اللام من المفسر اعتماداً على العدد ، وكتبوا ثلثة درهم بإسقاط الألف من دراهم ، وأسقطوا الألف من هذا ، وهذان ، وهذين ، وهذه والأولى دلالة على اختلاطها بما بعدها ، كما أسقطوا الألف من : يزَيدُ أقبل ، ليدلوا على اختلاط يا بزيد و إثباتُ الألف فى النداء صحيح مستعمل .

فهذا الذى ذكرناه ردّ على من زعم أن الخط وضع على غير أصلٍ ، وأنهم لم يصيبوا فى هجاء مائة ، وأولئك ، وهذا ، وَهَؤلَاء . وقد أدخل فيما طعن به على الخط سقوط الألف من سليمٰن ، و إبرٰهيم ، وهرٰون ، و إسحٰق . وقال : هذه أعجمية تركُ إجرائها يدل على ثقلها ، فما ينبغى أن تلحق بالخفيفة من حرٰث وقٰسمٍ وملٰك . فأجيبَ عن هذا بأن هذه الأسماء مجراة مجرى العربية للشهرة وكثرة الاستعمال ، ولَولَا ذلك لما خاطب الله العرب بها ولا أنزلها فى كتابه الذى وصفه

---

(١) يعنى المعدودة .

بأنه عربى مبين . فلزم الألف منها من الحذف مثلُ الذى لزم ألف حٰرث لاجتماعهما لـكثرة[١] الاستعمال ، ومنعن (من الصرف) أعنى : إبرٰهيم ، واسمٰعيل ، و إسحٰق ، وهٰرون تغليباً للأصل دلالة على أن ابتداء مبانيهنَّ للعجَم ، فحين لزمَهن ثقلان ثقل العجمة ، وثقل التعريف لم يصرفن[٢] . ومن الحروف التى طعنوا بها على المصحف وَقرأ بالسين أُبن عباس وأتْبَاعٌ له ، وقرأ بالزاى حمزة بن جبلة، وهو إمامٌ فى القراءة معروف على النقل والرواية عن السلف والتمسك بمذاهب الماضين . ذكر أُبن الأنبارىّ : أخبرنا إدريس بن عبد الـكريم ، حدثنا خلف ، حدثنا سفيـان بن عيينة ، عن عمرو ، عن ثابت ، عن أُبن عباس أنه كان يقرأ « السِّراط » بالسين[٣] قال : وأخبرنا إدريس ، حدثنا خلف ، حدثنا عُبَيد بن عقيل عن شبل بن عبادٍ ، عن عبد الله بن كثير أنه كان يقرأ «السراط» بالسين .

قال : وحدثنا أحمد بن يحيى ، عن سلمة ، عن الفراء قال : قرأ حمزة «الزراط» بالزاى . واحتج هاؤلاء المخالفون بأن لهم أن يخالفُوا المصحف كما خالفه أُبن عباس وأُبن كثير ، وحمزةُ وغيرهم ، فصرفوا عن الصراط المـكتتب فى المصحف وآثروا السين والزاى اللذين لا موضع لهما فى خطِّ المصاحف الخمسة التى هى أئمة المسلمين . فأجيبوا عن هذا بجوابين :

أحدهما : أن الصادَ من الصراط لمّا أميلت إلى الزاى فراراً من الهمس إلى الجهر ، لأن الصادَ حرف مَهْمُوسٌ ، والزاىحرف مجهور بمنزلة الطاء المجهورة ، كان الأخفُّ عَلَى اللسَان أن يضمَّ المجهُورُ إلى المجهور ، وأن يحمل الأول على الثانى ليكون عمل اللسان من وجهٍ واحدٍ ، و يتحقق أنه إذا عمل عملاً واحداً كان أخفَّ عليه من أن يعمل عملين مختَلفَين ، فشبِّه هذا بالإدغام لما فات الإدغام ،

---

(١) كذلك فى الأصل والصواب : فى كثرة .

(٢) فى الأصل : لم يجرين .

(٣) انظر Materials ص ١٩٥

فحين دخل لفظ الزاى على الصاد ولم يبطل لفظ الصاد ولا صُورتُها فى الخط . قالت العرب : « إهدنا الصراط » بتشبيهم الصاد (بالسين) و إشمامها الزاى فحملت السين على الزاى ، وقد قيل : كل واحد من الزاى والسين لا يغير صورة الصَّادِ ، كما أن النون الواقعة قبل الباء والنون ساَ كنةٌ فى قولهم من بَعدُ والعنبر ، [1] وشبهها كل واحد منهن الصوتُ فيه لفظه يُشْبِهُ لفظ الميم ، وهو غير مستعمل فى الخط تغليباً لأصل النون ، فكذلك الزاى ، والسّين لا يغيران صاد الصراط كما لا تغير الميم فى العنبر لفظ النون وصُورتُها فى الخط دلالة على الأصل ، وقد أشبهت الصاد النون بمضارعتها المجهور ودخوله على لفظها كما النون مجهورة ، غير أن الذين يقولون السِّراط بالسين حجتهم (وآثروها) لأنها خفيفة بالهمسِ والرخاوةِ إذ الطّاء مجهورة مطبقةٌ ، والسين فى السِّراط هى الأصل ليكون خفيف مع ثقيل فتعتدل الكلماتُ . والذين أخلصوا الصّاد فى اللفظ ، حجتُهم أن الطاء مطبقة والسين منفتحةٌ ، والصاد مطبقةفكانت الصاد أشبه بالطاء لاتفاقهما فى الإطباق .

والذين أُخْتَاروا الزِرَاط بإشمام الزاى احتجاجهم بأن الصادحرف مهموسٌ ، والزاى مجهور ، فكان المجهور مع المجهور أخف على اللسان ، غير أن الذى يشم بالصَادِ زاياً يحافظ على بقاء الإطباق فى الصاد ، والذى يخلص الزاىَ يبنى على تغليب الجهر ، وأن المجهورين إذا اتفقا لم ينكر معهما الأطباق [2] .

والحروف المطبقة أربعة : الصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء ، سميت مطبقةً لأن المتكلم بها يطبق لسانه عَلَى مَاحاذاه من الحنك ، والحروف كلها سوى هذه الأربعة منفتحة .

والحروف المهموسة عشرة ، يجمعها قولك : تَشَسْحَثَك خصفه وهى : الهاء ، والحاء ، والخاء ، والكاف ، والفاء ، والصاد ، والسين ، والشين ، والتاء ، والثاء ،

---

(١) حكى سيبويه ان اصله عمبر : انظر لسان العرب ٦ : ٢٨٨ .

(٢) فى الأصل : فى الاطباق .

سميت مهموسة لأن الاعتماد يضعف فى موضعها فيجرى النفَس قبل انقضاء الاعتماد ، ويخرج صوت الصدر مهموساً ، أى خفياً ، والحروف كلها سوى هذه العشرة مجهورة ، وإنما سميت مجهورة لأن الاعتماد يُسْمع فى موضع الحرف منها فلا يجرى النفس حتى ينقضى الاعتماد ، وخرج صوت الصدر مجهوراً ، والحروف الرخوة ثلاثة عشر حرفاً : الهاء ، والحاء ، والخاء ، والعين ، والفاء ، والسين ، والشين ، والصَادُ ، والضادُ ، والزاى ، والطاء ، والثاء ، والذّالُ ، وإنما سميت رخوة لأن الاعتماَد يضعف فى موضع الحرف ، ولا يضغط ضغطاً يمنع الصوت من أن يخرج فيخرج الحرف رخواً لذلك . فاختار القراء من النحويين إخلاص الصاد فى الصراط لمشاكلتها الطاء فى الإطباق . وقالوا : إمالَة الْعَرَبِ إياهَا إلى الزاى من غير إبطال للفظها دلالة على أن الاطباق يُراعى ويحافظ عليه بالتوفيق بين الحرفين الأول والثانى ، فهو أولى وأوجَهُ .

والحجَّة الأخرى : أن من قرأ السِّرَاط ، والزراط بالسين والزاى عَمِل على أن الحرف كتب بلغة من يقول : الصراط بالصاد ، وقريء بلغة من يقول السراط بالسين ، والزراط بالراي لتقارب مابين السين والزاى والصاد ، إذ هن حروف الصفير ؛ ومخرجهن متفق متقاربٌ .

وذكر أحمد بن يحيى عن سلمة ، عن الفراء قال : الزراط بإخلاص الزاى لغة لغذوة ، وكلب ، وبنى القَين . قال : وهاؤلاء يقولون : أزدق لمكان أصدق . قال : وهذا مخالف للصراط لسكون الصاد فى هذا وتحركها فى الصراط . وقد قالوا : الأزدُ ، والأسدُ ، ولسوته ، ولصوته ولزق به .

وروى عن ورش عن نافع (س ٥٢ آ ٣٧) «أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ» [(١)] (س ٨٨ آ ٢٢) فَلَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ بإخلاص الصاد .

---

(١) انظر المقنع ص ٩٧ .

وَرَوى محمد بن الجهم ، عن الفراء قال : الـكتاب وخط المصحف بالصاد فى مصيطر والمصيطرون والقراءة بالسين .

قال أبن الأنبارى : فما على هجاء المصحف حجة بقراءة من قرأ بمسيطر ، والمسيطرون للحجتين اللتين إحداهما : غلبة الصاد للزاى والسين ، كما غلبت النون الميم فى العنبر وشبهها . والحجة الأخرى : أنه كتب بلغة ،وقرىء بأخرى تشاكلها لاتفاق معنيهما ، كما فعل ذلك فى الرِّبا (س ٣٠ آ ٣٩) ، ولئلا (س ٢ آ ١٥٠) ، ويابن أُمّ (س ٢٠ آ ٩٤) ومثل مسيطر (س ٨٨ آ ٢٢) و بسطة (س ٢ آ ٢٤٨) و بصطة (س ٧ آ ٦٩) لايخالف المصحف من قرأ واحداً منها بالصاد وهجاءهُ بالسين .

ومنها : أنهم قالوا : إن من قرأ (س ١ آ ٧) « أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ » عليهِمُوا بكسر الهاء و إثبات الواو ، وعليهُمُوا ، بضم الهاء و إلحاق الواو ، وعليهمى بكسر الهاء وزيادة الياء[1] قد خالفوا المصحف بزيادة واو ، و إلحاق ياء ، ليس لهما رسم فى هجاء المصاحف .

والجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الواو والياء فى عليهمى وعليهمو تثبتان فى الوصل وتسقطان فى الوقف والخط ، كما تثبتُ الياء فى أجيب دعوة الداع ، وَفى «الْمُهْتَدِى» فى سورتى بنى إسرائيل والـكهف[2] ، وفى « يَوْمَ يَأْتِ لَاتَـكَلَّمُ نَفْسٌ » [3] . وذلك ما كنا نبغى فى اتصال الـكلام وسقطت من الوقف والخط فى قراءتي أبى عمرو والـكسائى وغيرهما ، لأن الاتصال تخرج فيه الحروف على أصولها والسكوت عليه

---

(١) انظر الاتحاف ص ٧٧ .

(٢) الْمُهتدِ فى س١٧ آ ٩٧ و س ١٨ آ ١٧ والْمُهْتَدِى فى س ٧ آ ١٧٨ ، انظر المقنع ص ٣٣ ، ٩٠ .

(٣) س ١١ آ ١٠٥ : يَوْمَ يَأْتِ بغير ياء . انظر المقنع ص ٣٢ ، ١٠٨

مشبهٌ بالمجزوم ، لأن حكم الموصول التعريب [1] ، وَحق الموقوف عليه الخلوة من الأعراب وجميع الحركات ، اتفق النحويون على أن الترتيبَ فى الابتداء والسكت هو أن يبتدأ بالمتحرك ، ويوقف على الساكن ، وانضم إلى هذه العلة أن الياءوالواو مجراهما مجرى الحركتين ، واسقطهما الواقف عندهما كما تسقط الضمة والكسرة عند سكتهِ .

والثاني : أنهم كتبوا عليهِم وعليهُم بلغة من يسقط الواو والياء ، ووصلوهما وسكتوا عليهما بلغة من يثبتهما لاتفاق معنيي اللغتين ، وإن كل واحدة منهما لاتخرج عن مذهب الأخرى وأصل علتها .

والثالث : أنهم أسقطوا الواو من عليهموا ، والياء من عليهمى اكتفاء بالياء الأولى التى قبل الهاء من الياء التى بعد الميم ، واستغناء بالواو فى « المَغْضُوبِ » عن الواو فى عليهِموا ، وعليهُموا ؛ لأن السورة قائمة بنفسها تفيد ماتفيدُه الخطبة والرسالة ، وأجل من ذلك وأعظم . فلما أسقطوا واو كَلَمُنْ اكتفاء منها بواو هَوَّز، وحذفوا ياآى قرشت استغناء بياء حُطى عنهما ، لما كانت أبجدْ وأخواتها بمنزلةِ الخطبة والرسالة التى تجمع منهاج الخط ، وصفة حروف المعجم إذا اتصل بعضها ببعض ، وانقطع بعضها . فالسورة من القرآن يلزمها من الاستعمال وكثرته مايلزم أبا جاد وإخواتها من هذا المعنى . وإن كانت حروف السورة معرَّبة وحروف أبجد غير معرَّبة . وبهذه العلة قلَّ مايسقط من اليآت والواوات من سور القرآن اكتفاء منها بحروفٍ داخلة فى كلمات تجاورها من قبلها أو من بعدها ، وإيلاء الحرف كافٍ فى سقوط التعْريب منه ، وأنه لمشتمل على أمثلةٍ لاتفيد إلاّ معانىَ الخط ، ومذاهب الهجاء .

وروى عن ابن محيصن من أهْلِ مكة ، وأبى عمرٍو أنهم قرؤوا (س ٦٣ آ ١٠)

---

(١) أى الاتيان بالكلمة على منهاج اللغة العربية .

« فَأَصَّدَّقَ وَأَكُونَ » بنصب أكونَ وإيثار واو فى لفظه[(١)] .

وعن اليزيدىّ ، عن أبى عمرو « فَأَصَّدَّقَ وَأَكُونَ » بإثبات الواو فى « أكون » قال اليزيديُّ : سقطت الواو من المصحف كما سقطت من كلمُن .

ومنها : ماروى عن يعقوبَ أنه قرأ (س ٨٩ آ ١٥ و ١٦) « رَبِّي أَكْرَمَنِي » و « أَهَانَنِي » بالوقف على الياء التى ليس لها رسم فى المصحف[(٢)] .

وقوله (س ٣ آ ٥٠) « فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِي »[(٣)] باثبات الياء ، و (س ٢ آ ٤١) « وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ »[(٤)] و « أَخْشَوْنِ »[(٥)] فى سورة المائدة (س ٥ آ ٣) ، و (س ٢٦ آ ٧٩) « وَيُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي » « ثُمَّ يُحْيِينِي »[(٦)] ، (س ١٠٩ آ ٦) « لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِي »[(٧)] .

والجواب عن ذلك : أن يعقوب غير مخالف للمصحف فى جميع هـذا لأن ياء لى كفت من ياء دينى ، والياء فى تطعمنى الأولى تكفى من الثانية ، وكذلك من وقف من القراء على (س ٥٤ آ ٥) « تُغْنِي النُّذُرُ » ، تغنى بياء وهو فى المصحف بغير ياء[(٨)] ، وعلى « يَوْمَ يَأْتِ » (س ١١ آ ١٠٥) بالياء . ونحو ذلك

---

(١) انظر كتاب المصاحف لابن ابن داود ص ٣٣ ، المقنع للدانى ص ٣٨ ، الاتحاف للبناء ص ٢٥٧ .

(٢) انظر المقنع ص ٣٥ . والاتحاف ص ٢٧١ .

(٣) المقنع ص ٣٢ ، والاتحاف ص ١٠٥ .

(٤) المقنع ص ٣٢ .

(٥) المقنع ص ٣٢ .

(٦) المقنع ص ٣٤ .

(٧) المقنع ص ٣٥ .

(٨) المقنع ص٣٥ ، ١٠٨

(س ١٨ آ ٦٤) « مَا كُنَّا نَبْغِ »[١] ، (س ١٧ آ ١١) « وَيَدْعُ ٱلْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ »[٢] . ومن وقف على « ويدعو » بالواو ، وعلى (س ٩٦ آ ١٨) « سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ »[٣] سندعو بإثبات الواو ، وعلى (س ٤٢ آ ٢٤) « وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَاطِلَ » ، ويمحوا بالواو[٣] . وكذلك ما أشبه هـذا من الوقف على (س ٥٥ آ ٣١) « سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثقلَانِ » ، أيها ، وعلى (س ٢٤ آ ٣١) « وَتُوبُوا إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ » أيها ، وَعلى (س ٤٣ آ ٤٩) « وَقَالُوا يَأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ » يايها باثبات الألف وهى مسقطة من المصاحف فى المواضع الثلاثة[٤] . فلهذه العلة ضمَّها أبو عامر لمَّا لم يأتِ الأمر بعدها . فقرأ « سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهُ » ، و « تُوبُوا إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ » ، « يَأَيُّهُ ٱلسَّاحِرُ »[٥] وفتح الهاء فى جميع القرءان فى ما الألف ثابتة بعد هَائِه ، نحو (س ٢ آ ٢١) « يَأَيُّهَا ٱلناسُ ٱعْبُدُوا رَبَّكُمْ » ، (س ٣ آ ١٠٤) « يَأَيُّهَا ٱلذِينَ آمنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا » ، (س ٣٣ آ ١) « يَأَيُّهَا ٱلنبِيِ ٱتقِ ٱللَّهَ » .

ومنها مَاروى قالون عن نافع انه كان يقرأ (س ٢ آ ٩) : « وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ » ، باثبات الألف فى اللفظ[٦] ، (س ٧ آ ١٤٢) « وَوَاعَدْنَا مُوسَى » ، (س ٢ آ ٥١) « وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى » ، (س ٢٠ آ ٨٠) « وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ » باثبات الألف فى اللفظ ، (س ٢ آى ٨١) « بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيَاآتُهُ » بإثباتِ ألفين فى اللفظ ،

---

(١) انظر المقنع ص ٣٣ و ١٠٨ :
(٢) المقنع ص ٣٧ و ١٠٨ .
(٣) نفس المرجع .
(٤) انظر المقنع ص ٢١ .
(٥) انظر ص ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٩
(٦) انظر التيسير للدانى ص ٧٢ ، والنشر لابن الجزرى ٢ : ٢٠٠ .

(س ٧ آ ١٦١) « نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيااتِكُمْ » فى سورة الأعراف ، باثباتِ الفين فى اللفظ ، (س ٥ آ ٦٧) « فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَاتِه » باثبات ألفٍ فى اللفظ ليست لها صورة فى الخط [١] .

وعن اليمانىّ أنه قرأ : (س ٢ آ ١٤) « إِذَا لَاقُوا الَّذِينَ آمَنُوا » [٢] .

وعن مجاهد أنه قرأ : (س ٢ آ ١٠٦) « نَنْسَأْهَا » . وعن أبى عمرو أيضاً : « نَنْسَاهَا » باثبات همزة بعَدَ السين [٣] . قالوا : وكل هذه الحروف مخالفة للمصحف .

والجواب عن ذلك: ان هذه الحروف كلها ، وما يُشبهُها ، موافقة للمصحف ، على أن الألف ، والياء ، والواو حذفن من الخط اعتماداً على أن الألف تتأخر أو تسبقُ تكفى منها ويَنوبُ منابَهـا ، وكذلك الياء ، والواوُ . أو على أن الألف أجريت مجرى الحركة ، وأقيمت الواو مقام الضمة ، والياء مقام الكسرة ، فاسقطن اختصاراً لكثرة الاستعمال فقد راعتهن العَربُ دعَامةً لحركاتهن ، ولا أصل لهن . فقرأ ابن كثير (س ١٢ آ ٩٠) « إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِى وَيَصْبِرْ » [٤] فحمل الياء كسرة القاف واسْقاط ماقبل هذه الياء وهى لام الفعل .

وقد روى عن الأعرج انه قرأ (س ١٢ آ ١٢) « نَرْتَعى » بالنون والياء ، « وَيَلْعبُ » باليآء ، فما ثبتت هـذه الياء فى المجزوم إلاّ وهى دعَامةٌ للكسرة ، و إن كان الفراء قد جوّز أن تكون أصلية اكْتُفِيَ بسكونها من علامة الجزم [٥] . وقال مثل ذلك فى (س ٨٧ آ ٦) « سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنْسَى » . الاختيار عنده أن تكونَ الثابتة فى «تنسى» دعامةً لفتحة السين ، والأصلية هى المضغَطةُ

---

(١) المقنع ص ١١ و ١٣

(٢) وفى مصحفنا : إذا لقوا

(٣) انظر Materials ص ٢٧٧

(٤) انظر التيسير للدانى ص ٧٠ و ١٣١

(٥) أى اكتفى من علامة الجزم بسكون الياء بدل حذفها

للجزم . أو أن تكون « تنسى » فى موضع رفع . ولا لبس لحذف النهى إذ كان فى موضع فلستَ تنسى ، وهذه العلة التى أخرتُ ذِكرها هى علة رابعة لإسقاط الواو من عليهِموا ، وعليهُموا ، أو الياء من عليهمى من الخط ، و إثباتها فى اللفظ عند الوصل والقطع ، وكذلك قرأة ابن كثير (س٢ آ ٢) « لَا رَيْبَ فِيهى » باثبات الياء جميعاً ، وكله موافق المصحف على العلة التى ذكرناهَا .

ومنها زعموا قراءة ابن كثير و (ابن) مُحيصن « هَاذِى » فى موضع هذه فى جميع القرءآن . قالوا : وهذا مخالفة للمصحف .

والجواب عن ذلك : انهما لم يخالفا هجاء المصحف لمشا كلة الياء للهاء ، وموافقتها معناها ، وان الحرف كتب بالهاء وقرىء بالياء ، كما كتبت الربو بالواو وقرىء بالألف والياء عن هشام النحوى قال : حكى الكسائى عن العرب : ولا تقربا هَاذِ الشجرة . وذكر أحمد بن يحيي ، عن سلمة ، عن الفراء قال : يقال . هذه فعلتْ ، وهَذى فعلتْ باثباتِ ياء بعدَ الذال . وهذِ ففعلتْ بكسر الذال من غير الحاق ياء ولاهاء ، وهَاتا فعلتا . وعن هشام قال : يقالُ : تا فعلت وانشد هشام :

خَلِيلَيَّ لَوْلاَ سَاكِنُ ٱلدَّارِ لَمْ أُقِم فَتَا ٱلدارُ الاَ عَابِرِينَ سَبِيلاَ

وَتا باسقاط هَا بمنزلةِ ذِى باسقاط هَامِن هَاذِى ، و بمنزلة ذِه باسقاط هَا من هذه ، وقد قال الفراء : من قالَ هاذِ قامتْ لاَ يُسقط هاء لإن الاسم لا يكون على ذالٍ واحدة

ومنها : زعموا قراءة من قرأ : « لاَرَيْبَ فِهِى » باثبات الياء بعد الهاء على ماروى عن ابن كثير . وكذلك من قرأ « فِهُو » بهاء مضمومة بعدها واوٌ ، والواو والياء غيرُ مرسومتين فى المصحف ، (قالوا إنَّ هذا مخالف للمصحف)

والجواب : ليس فيها مخالفة للمصحف ، لانهما لغتان معروفتان فكتب باحداهما وقرىء بالأخرى . وتقول العرب « لاريْب فيهى » باثبات ياء بعد الهاء ، و « لارَيْبَ فِهُو » بالحاق واو بعد الضمة ، « وَلاَ رَيْبَ فِيه » باختلاس

الكسرة بالهاء ، « ولاَ رَيْبَ فِيهُ » بضم لا تتصل به وَاو ، فمن ضَمَّ الهاء ، وزاد الواو فحجته أن الهاء خرجت عن أصلها ، والواو صلة للضمة . ومن اختلس الضمَّ فى الهاء قال : الضم كافٍ من الواو هذه علة الكوفيين

وقال سيبويه وأصحابه : سقطت الواو لسكونها وسكون الياء ، لأن الهاء غيرُ معتدٍ بها إذ لم تكن حاجزاً حصيناً ، ومن كسر الهاء وزاد الياء آثر الخفة ، وأدغم الكسرة بالياء . ومن أسقط الياء قال : الكسرة تنوب عنها وتغنى عن ذكرها فى جواب الكوفيين . وسيبويه يسقطها لاجتماع الساكنين . وكل مايُقرأ به[1] فى (س ٣ آ ٧٥) « يُؤَدِّهِى إِلَيْكَ » بإثبات الياء ، أو « يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ » باختلاس الكسرة ، و « يُؤَدِّهْ إِلَيْكَ » بتسكين الهاء ، و « يُؤَدِّهُو إِلَيْكَ » بإلحاق الواو ، و « يُؤَدِّهُ إِلَيْكَ » باختلاس الضم ، لا يخالف هجاء المصحف للعلل التى قُدِّمَ ذكرُها . وما يختلف النحويون فى أن (س ٣٩ آ ٧) « يَرْضَهُ لَكُمْ » باُختلاس ضمِّ الهاء أجودُ من يرضَهُو ، بإلحاق الواو ، و « يُؤَدِّهُ إِلَيْكَ » باُختلاس الضمِّ ، و « لاَرَيْبَ فِيهِ » ، و « فِيهُ » باُختلاس الكسرِ ، والضمِّ أَجْوَدُ من « فيهِى » ، و « فيهُو » بإلحاق الياء والواو ، لأن الهاء إذا سكن ما قبلها وقع الابتداء بها ، وقويت بالسبق وغنيت عن الواو والياء ، وإذا سبقها حرف متحرك ، حرف علة ، وَزايلهاَ قوّة السبق ، باُلابتداء أو الاستئناف ، فاُحتاجت إلى اُلدعامة إما باُليـاء أو باُلواو ، وكلا الوجهين من الاختلاس ، والإشباع عَرَبيّ مفهوم بعد الساكن والمتحرك ، إلا أن الإشباع بعد الساكن ، والاختلاس بعد المتحرك أجود وأصح علة عند النحويين .

ومنها : زعموا قوله (س ٢ آ ٦) « أَنْذَرْتَهُمْ » . فقد قرأ عاصم ، وحمزة « أَأَنْذَرْتَهُمْ » بتحقيق الهمزتين ، وقرأ أبو عمرٍو وغيره « أَنْذَرْتَهُمْ » بألف

---

(١) انظر التيسير ص ٨٩ .

ساكنة بعد الهمزة ، وقرأ عبد الله ابن أبى إسحاق « آأنْذَرْتَهُمْ » بألف ، وكلها مخالفةٌ للمصحف .

والجواب : أنها لم تخالف هجاء المصحف ، لأن الألف تكفى من ألفٍ مثلِها ومن ألفَين ، فقد كتبت العرب : أبوك قام ؟ بألف واحدة . وقال الكسائى : الثابتة فى الخط هى ألف الأَب ، والساقطة هى ألف الاستفهام . وقال الفراء : ألف الاستفهام لاتسقط لأنها فارقة بين معنيين ، أحدهما : الإخبارُ ، والآخر : الإستخبارُ ، وكل مايفرق بين معنَيين يلزم إشفاقاً من أن يسقط فيغلب اللبس ، وسقوط الألف من الأب يؤمَنُ من عهدة اللّبس ، وقد اكتفت العرب بالألف من الألفين فى قولهم : هَذان ، رداك ، وَعطاك ، وَكَساك ، كتبوا كل واحدٍ منهن بألف واحدةٍ أغنَتْ من الألفين اللتين بعـدَهَا ، كما كتبُوا براءة بألفٍ واحدة ، وكتبوا نظرت إلى ردايْك بألف بعدها ياء كراهة لاجتماع صُورتَين ، وهـذه تلبس بنظرتُ إلى ردائَك مُوَحّداً [١] اعتماداً على علم المخاطب بالمقصد ، وما بينهُ فى الخط فُرقانٌ بين ردائَك مثنًّى ، وردائك فوَحّدا ، وكذلك قراءة ابن أبى إسحاق « آانذرتهم » كَفت فيها ألفٌ من ألفين ، وهى لغة سائرة فى العرب ، قال الشاعر :

أيَا ظَبْيَةَ الْوَعْسَاءِ بَيْنَ جُلاَجِلٍ وَبَيْنَ النَّقَا أأَنْتِ أمْ أُمُّ سَالِمِ

هجاَء أَنت ألف واحدة . وقال الآخر :

تَطَالَلْتُ فاسْتَشْرَفْتُهُ فَعَرَفْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ أأَنْتَ زَيْدُ الأَرَنبِ

وأنشد أحمد بن يحيى :

خِرْقٌ إذَا مَاالْقَوْمُ أجْرَوا فُكَاهَةً تَذَكَّرَ آإيَّاهُ يَعْنُونَ أمْ قِرْدا [٢]

وروى عن ابن محيصن أنه قرأ « أَنْذَرْتَهُمْ أمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ » بهمزة وألف

---

(١) يعنى مفرداً

(٢) انظر لسان العرب ١ : ١١

بَعدَها [١] ، وقرأ ابن كثير « ءانْذَرْتَهُمْ » بهمزة بعدها ألف ، وأما قراءة ابن محيصِن فإنه مافيها لعارض اعتراض من قبل خط المصحف وحجّة لفظها من جهة النحو ؛ أن أم أغنت عن ألف الاستفهام ، كما قال أمرؤ القيس .

تَرُوحُ مِنَ الْحَىِّ أَمْ تَبْتَكِرْ وَمَاذَا يَضُرُّكَ لَوْ تَنْتَظِرْ

أراد اتروح ، فاكتفى بأم من الألف .

وقال أحمدُ بن يحيي : يكتب يَاَسَامَهُ ، يَاَسحاقُ ، ياَحمد بالفٍ واحدٍ إيثاراً للاختصار ، والساقط فى قول الكسائى ألف يَا . وفى قول الفراء : ألف إسحاق ، واسامة ، وأحمد ، و إذا كتبوا اأسامة قامَ ، اأسحاقُ جلس . ااحمد انصرفَ ، كتبوا : فى ااحمد الفاً واحداً لاتفاق حركتى الهمزتين ، وكتبوا فى اأسامة واواً بعد الألف ، وفى أاسحاق ياء بعد الألف تغليباً لضمه وكسرة الهمزتين ، وليُوقعوا بين المتفقتين والمختلفتين افتراقاً . ولم يفعلوا هذا فى يا اسامة ، يا اسحاق لاختلاط يا بالمنادى ، وانه حرفٌ تُدعى به الأسماء دون الأفعال والحذفُ معه حسن . فكتبوا : ياعبد الله بالفٍ بين الياء والعين على الأصل ، وكتبوه بياء متصلةٍ بالعين تغليباً للاختصار ، ولم يكتبوا : يا حمد إلا بالف واحدة دلالة على اختلاط يا بالذى بعدها . وكتبوا : أوَ أُسامَةُ قام ، أوَ إسْحَاق جَلسَ ، أوَ احمد انصرف بالف بعد الواو . والهاء فى الأبواب الثلاثة . لأن حكم ما بعد حرف العطف حكم المستأنف المبتدأ . وكذلك : أوَ أنبئكم ، أوَ انك معرض . ولهذه العلة حذفت الألفان فى (س ٢٧ آ ٢٥) « آلاَ يَسْجُدُوا لِلهِ » فى قراءة الكسائى [٢] ، لأن يا منادًى بها الأسماء دون الأفعال .

ومعنى القراءة : ألا يا هؤلاء اسجدوا ، فكفى يا من هاولاء وسقطت الفه كما

---

(١) انظر الاتحاف ص ٧٩

(٢) انظر : التيسير ص ١٦٧

تسقط مع هؤلاء إذا ظهر[١] ، ولما سقطت الف يَا ، واتصلت بها الف اسجدوا سقطت بعد سقوطها دلالة على الاختصار وايثاراً لما يخفّ وَثقُل الفاظُه .

ومنها : زعموا قراءة أبي عمرٍو : وجبريلَ ، وَميكالَ[٢] بخلاف المصحَف وشنعوا عليه فيها ، وقيل : ميكال لفظه بالف بعد الكاف ، وخط المصحف بياء بعد الكاف فظاهر هذا خلاف ظاهر المصحف . والجواب عن ذلك من وجهين :

أحَدهما : أن الألف فى ميكال بدل من الياء على مذهب من كتب علي بنُ أبُو طالب ، وتكلم علي بن أبو طالبٍ . وكانت قاعدته من هذا الاعتدال أن حروف المدِّ واللين الثلاثة كل واحد منها يكفى من الآخر إذا لزمه استعمال ، ولا يقاس على المستعمل منهُ غيرُ المستعمل .

والوجه الآخر : أن الأصل فى ميكالَ ميكائل على قراءة أُبن محيصنٍ ، فقلبت الياء همزة فصارت ألفاً لانفتاح ماقبلها ، كما قالت العَربُ : ذئر الرجل إذا غضب واحتدّ و بينّوا الهمزة فقالوا : ذَأر على مثال بأعَ ، وقأل : و إذا كان المبنى هذا فغير مُستَنكرٍ أن تكتب الهمزة ألفاً و يتكلم بها ، وأن تصرف فى اللَّفظ إلى الألف وخطها بالياء لأن الهمزة ليس لها صورةٌ إنما تدبرها حركاتها .

ولأبى عمرٍو فى هذا حجة ثالثة وهى : أن ميكال كتب بلغةِ من يقول ميكئلَ ، وقرىء بلغة من يقول : ميكال ، لاتفاق معنيي الحرفين ومن بنى على هذا وقرأ (س ٢ آ ٦١) « مِنْ بَقْلِها ، وَقِثَّائِها ، وَثُومِهَا »[٣] . وقال : كتب بالفاء وقرىء بالثاء لتا آخى الحرفين لم يُصبْ ، لأن الثاء ليس موضعها من الفاء كموضع الألف من الياء ، والياء والألفُ والواو ، تتشا كلنَ بالمد واللين ، وتتقارن فى المخرج ،

---

(١) هكذا فى الأصل

(٢) فى س ٢ آ ٩٨ . انظر النشر لابن الجزرى ٢ : ٢١١

(٣) انظر Materials ص ٢٦ .

وتجرين مجرى الحركات . والثاء تخالف الفاء ، لأن الثآء تخرج من طرف اللسان وتواخى فى مخرجها الطاء والتاء . والفاء لها مخرج آخر من الشفة السُّفلى ، والاسنان العُليا من الثنايا فهى تخالِفُ الثاء ، ولا تكفى منها فى الخط ، ولا تحمل عليها . وكذلك قرأهُ حمزة وغيره ، « وجَبْرَئِل وَمِيكائِل » لاتخالف المصحف ، لأن الياء تكفى من الياء كما كفتِ الألف من الألف . وقرأة نافع بهمزة مكسورةٍ بعدَ الألف موافقة لهجاء المصحف ، لأن الألف تسقط من « مِيكَئِل » كما تسقط فى (س ١ آ ٤) من « مٰلك يوم الدين » ، (س ٢ آ ٩) « ومايُخٰدِعُونَ إلاّ أنفُسَهُمْ » ، (س ٢ آ ٥١) « وَإِذْ وٰعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً » . وفى « جبريل » عشر لغاتٍ جَبْرَئِل بفتح الجيم مع همزة ليست بعدها ياء ، وجِبْرِيل بكسر الجيم مع تسكين الياء من غير همزٍ ، وَجَبْرَئِلّ بفتح الجيم وكسر الهمزة وتشديد اللاّم على قراءة يحيى بن يعمر ، وَجَبْريل بفتح الجيم وتسكين الياء من غير همز ، وَجَبْرَئِيل بفتح الجيم مع همزَة بعدها ياء ، فهذه الأوجه الستة(١) قرأت بها القراء ، ولغات أربع مأثورات عن العرب . جَبْرَئِين بفتح الجيم مع همزة مكسورة وَ بعدهَا ياء ونون ، وَجِبرِين بكسر الجيم وتسكين الياء و بنون من غير همزٍ ، وَجَبْرَائيل بفتح الجيم و إثبات ألفٍ بَعدَ الراء وهمزة مكسورة بعدها ياء ، وَجَبْرَائِل بفتح الجيم و إثبات الألف مَعَ همزة مكسورة ليست بعدَها ياء .

وفى « مِيكالَ » خمسُ لغاتٍ : مِكَائيل بهمزة و بعدَهَا ياء ، وَمِيكائِل بهمزة ليسَتْ بعدَها ياء . ومِيكال بألفٍ لاهمز بَعدَها ، وَمِيكَئِل بهمزة محتملة الكسر بعدَ الكافِ ، ومِيكائين بهمزة بَعدَهَا ياء ونون بعد الياء(٢) .

ومنها : قوله « مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤٍ » فى سورتى الحج (س

---

(١) ذكر خمسة فقط فسقط من الأصل قراءة من قرأ جبرئل بكسر الجيم مع همزة مكسورة بعد الراء

(٢) فى الأصل بعد الألف

٢٢ آ ٢٣) والملائكة (س ٣٥ آ ٣٣) ، وفى المصحف « وَلُؤْلُؤاً » بالنصب ، [١] (فى الحج) وفى الملائكة . وروى عَن قالون ، عن نافع نصبهُمَا فى السورتين ، وَبقول الألف ثابتةٌ فيهما . وعن عَاصِمٍ الجحدرى أنه كان يقرأ فى الحج : « وَلُؤْلُؤاً » بالنصب ، وفى الملئكةِ ، « وَلُؤْلُؤٍ » بالخفض . وعن حمزة أنه كان يخفض « وَلُؤْلُؤٍ » فى السورتين .

والجواب : أنه مافى هذه القراءات خلافٌ للمصحف لأن الذين نطقوا بها خلاف المصحف هم الذين خَفَضوا . « ولُؤْلُؤٌ » وفى المصحف فيها ألفٌ بعد الواو ، وما فى ذلك خلافٌ ، لأن الهمزة إذا أبدلت منها الواو أدغمت بألف ، فضعف انقلابُها من الهمز فإنها لاتقوى قوة الواو فى أبُو ، وَحَمُو ، وأَخُو ، وَفو ، وَذو ، وما يجرى مجراهنَّ . دَليل هذا أنهم كتبوا « المَلَؤُا » [٢] بألفٍ بعد الواو ، « ويَشَاؤُا » بواو بعدها ألف [٣] .

وقد قال الخليل : يثبت ألفٌ بعد واو الجمع فى قَالُوا ، وأَمَرُوا ، ونَهَوْا لأن الضم يشا كل المدَّ ، والمدُّ ينقطع إلى مخرج الهمز . فذهب إلى أن الواو شا كلها الهمز ، فعلقت ألفٌ بعدها لموافقة الألف الهمزَ ، وَمشا كلة الواو المدَّ الذى ينقطع إلى الهمز .

وقال الفراء وأصحابه : كتبت الألف بعد واو الجمع فرقاً بين الواو الأصلية ، والزائدة ، والأصليةَ وَاوُ أخُو ، وأبُو ، وَحَمُو ، وَفُو ، وَذوُ . وَهوَ واوُ أولَى وما يجرى مجراهن .

والزائدةُ واو كفروا ، وظلموا ، وأحسنوا ، وأساؤا لأنها دالة على الجمع وليستْ من نسيج الحرف، ولاَ مَوجودةً فاءً منه ولاعيناً ، ولا لاَماً ، ففرقوا بالألف الزائدة بين المزيد والأصلى .

---

(١) انظر التيسير ص ١٥٦ والمقنع ٤٣ .

(٢) انظر المقنع ص ٦٠ .

(٣) انظر المقنع ص ٦٢ .

وقال بعض أصحاب الفراء : كان المزيد أحقُّ بأن يزاد عليه من الأصْلى ، لما فى الزائد من الضعف الذى يحتاجُ من أجله إلى التفرقة ، والأصلى استغنى بقوته عن كل زيادةٍ ودعامةٍ ، ويوضح هذا سقوط واو الجمع فى بعض الحالاتِ ، وأن الأصلىَّ من الواوات لايقوى حَذفُه كقوة حذف الزائد إلا أن يشبَّهَ به ويحمل عليه .

وقال الفراء وأصحابه فى يَدعوا ، ويغزوا ، ويعفوا كتبت مثبتةَ الألف بعد واوها فيما كانت الوَاوُ ساكنةً بعْدَهَا ، فإن انفتحت الواوُ بعدَها كقولهم : أن يعفوَ ، وأرادَ أن يغزوَ ، وَأردتُ لتسهوَ (استغنت عن الألف) . وَعلة هذا أن الواو لسكونها شاكلتْ وَا الجمع فلزمها من الزيادة ما استحقتهُ وَاوُ الجمَع ، فحين فَتح الواو الناصبُ خالفت وَاو الجمع فرجعت إلى أصلها فى استغنائها لقوتها عن الزيادة .

ومن مذهب الـكوفيين أن يكتبوا بنُوا ، وأولوا ، وضَارِبُوا ، وقاتِلوا ، ومُـكرِموا ، ومُحْسِنُوا بألف بعْدَ الوَاو ، لأن زيادتها[1] وضعفها هُنا كزيادَتِها فى تحدثوا ، وقعدوا ، وقاموا .

والبصريون يكتبون بنو ، وَأولو ، وَضَاربو ، وما شاكلهنَّ بغير ألفٍ بَعدَ الوَاوِ ، ويحتجون بأن هذه الواو تنقلب ياء فى بنى ، وَأولى ، وضاربى فحين لم تلزم خالفت واو قالوا ، وعارض الـكوفيون بأن الضَعفَ يلزم وَاوَى كفروا ، وَبنوا بالزيادة وخلاف الأصول فلا فرق بينهما من هذا الوجه .

وقال الأخفش : تثبت الألفُ بعد الواو فى كفروا فرقاً بين فعلوا ، وفَعل ، وَادَّعى أنهم أشفقوا أن تلتبس كفروا إذا لم تـكتب بعد واوه ألف ، بكفَرَ ، وفجر ، أو كفَرَ ، وظلَمَ . فعارضه أحمد بن يحيى وغيره بأن الألف ما أزَالَت لبساً ، وأنها وَهى موجودة حاضرة يتوهم على الحرف معها أنه فَعل ، وأفعل كقولهم : كفر

---

(١) أى الواو .

وَألحَد كفر والأم ، فإذا كان اللبس قائماً مع الألف فى هذا المثال فهى غير قاطعةٍ لَبساً للمثالِ الآخر ، ولاوَجهَ لعلة دُخولها إلا بأن تكون فارقة بين الزائد والأصلى

وقال الكسائى : كتبوا ألفاً بعد الواو فى يَدعُوا ، و يغزوا ، والواو ساكنة ، وفى لن يَدعُوَ ، ولن يغزوَ ، والواو مفتوحة ، ليفرقوا بين وقوع الواو طرفاً وكونها وَسطاً حين يختلط المكنيُّ بالفعل الذى هى آخره فى قولهم : هو يدعُوهم ، و يغزوهم ، وَلَن يَدعُوَهم ، ولن يغزُوَهم . دليل هذا : إسقاطهُم الألف بعد الواو ، فى قول الله تعالى : (س ٨٣ آ ٣) « وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ » . على أن هم فى مَوضع نصبٍ بكالوا وَوَزنوا . والمعنى فيهما ، « و إذا كالوا لهم أو وَزنوا لهم » ، والوقف على كالوا ، ووزنوا من هذا الطريق ليس بجائز لاختلاطهم بالفعل الناصب له . ولَو كان هم فى موضع رفع على التوكيد للضمير الذى فى كالوا ووزنوا لثبتتِ الألفُ بعد الوَاوِ كما فى قامواهم ، وقعدواهم حين لم يقع وسطاً كما توسط [١] فى ضربوهم ، وهم مفعول ولم يتطرف [١] فيوجب لها التطرف إلحاق الألف بها .

ومنها : زعموا قوله عَز وجل : (س ٢٧ آ ٣٦) « فَمَا ءاتَانِيَ اُللَّهُ خَيْرٌ » . بفتح الياء والمصحف لا ياء فيه [٢] .

والجواب : لا مخالفة ، فيه لعلتين : أحدهما : أن الياء فى خير تكفى من يا آتانى كما كفت ياء حُطِى من ياء قرشت . والعلة الأخرى : أنه كتب بلغة من يقول اتان بغير ياء ، وقرئ بلغة من يثبت الياء و يفتحها ، وقد بناه على هذه القراءةِ جماعة من الأئمة ، والسلف . فروى عن أبى عمرو أنه كان يقرأ « فَمَا آتَانِيَ اُللَّهُ » بفتح الياء فى الوصل .

---

(١) اى الواو .

(٢) انظر المقنع ص ٣٤ و ٩٣ و ١٠٧ .

وهاتان الحجتان هما حجتا أبى عمرو وفى قراءته (س ٣٩ آ ١٧) « فَبَشِّرْ عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ » بفتح الياء على مارواه عنه شجاع بن أبى نصر .

ومنها : زعموا قوله (س ٢٧ آ ٣٦) « أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ » لايختلف الناس فى ان هذه الياء لا صورة لها فى المصحف[1] ، ومن قرأ « أَتُمِدُّونِّي » بنون مشددة وياء ثابتة بعدها فقد خالف المصحف .

والجواب : لاحجة تلزمهم ، فتوجب عليهم مخالفة خطِّ الإمام لحجج ثلاث :

أُولاهن : ان صورة الياء يوافق صورة النون فى خط المصاحف أو بعضها فاتفق هجاء « أَتُمِدُّونَنِي » بنونين ، و « تُمِدُّونِّي » بياء بعدَ النون ، كما شاكل خط الياء فى ذى خط النون فى من مشاهَداً ذلك فى المصحف ، وموقوفاً عليه عند التأملِ والتدبر . وانقضت القراءتان لاتفاق الصورتين فى « أَتُمِدُّونِّي ، و « تُمِدُّونَنِ » كما اتفقت الصورتان وصحت القراءتان فى (س ١٩ آ ٧٤) « أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِءْياً » إذ كانت الراء والزاى صورتهما واحدة . وروى عن حمزة أنه كان يقرأ « أَتُمِدُّونِى » بنون مخففة بعدها ياء فى اللفظ وهـذه الرواية بتشديد النون و إثبات الياء[2] .

وعن نافع برواية ورش « أَتُمِدُّونَنِي » بنونين بعدهما ياء فى الوَصْل واللفظ . وروى إسحاق عن نافع أنه كان يقرأ « أَتُمِدُّونِى » بنون مخففة بعـدها ياء فى اللفظ . وهذه الرواية ، يجب فيها إثبات الياء عند الوقف ليصح لها مُوافقه هجاء المصحف ، والأصل فى النون الشديدة تخفيف الشديد من هذا الموضع كما خفف من أشهد أنْكَ عَالِمٌ ، أَصله انَّك ، وعلى هذا المعنَى بناء (س ٦ آ ٨٠) «أَتُحَاجُّونِّي فِى ٱللَّهِ » تشاقون فيهم . وقال : قالت العرب : الرجال يَضرِبُونى و يقصدُونى . وأصلها يَضرِبُونّي ، وَ بقصِدُونّي ، لأنهما ادغام يَضرِبُوننى و يَقصِدُوننى . قال :

---

(١) انظر المقنع ص ٩٧

(٢) انظر الأتحاف ص ٢٠٦ .

تَرَهبينى والجيدُ منكِ لَلَيْلى والحْشَى والبُغَامُ وَالْعَينانِ

فأصله ترهَبينّى ، فخفف .

والحجة الثانية : ان الياء أجريَت مجرى الـكسرة[١] واكتُفى بالنون الحاصلة من النون الساقطة لمشاكلة النون الياء إذ النون من حروف الغنة ، والألف والياء تشاكلها من هذا الطريق ، فلما كفتِ الياء من الياء فى مواضع قد ذكرت كان هذا مُلْحقاً بها وَمُعَلَّلا بعلتها . والعِلة الثانية ان « أتمِدُّونّى » كان التشديد فى لفظه يقوم مقام حرفين فى خطه كما لزِمَ لامَ الليلِ مثلُ هذا الاعتلال ، فأقيمت مقام لامين وناب التشديدُ فيها عن لام اللَّحم ، واللّبن ، واللَّعب ، واللّذة وما يجرى مجراهنّ .

ومنها : زعموا قوله تعالى : (س ٣٣ آ ١٠) « وَتَظُنُّونَ باللهِ ٱلظُّنُونَا » ، (آ ٦٧) « فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلاَ » ، (آ ٦٦) « وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولاَ » فمن قرأ « الظنون » بحذف الألف . وكذلك « السَّبيلَ » ، و « الرسُول » فقد خالف المصحف ، لأن فيه إثبات الألف فى المواضع الثلاثة[٢] .

والجواب لامخالفة تلزمهم من حذفها ، لأن الألف التى فى أطعنا ، والداخلة فى أول الرسول ، والسَّبيل ، والظنون تكفى من الألف المتطرفة المتأخرة كما كفت ألف أبا جاد[٣] من ألف هوّز . وفيه حجة أخرى وهى : أن الألف أنزلت منزلة الفتحة وما يلحق دعامة الحركة التى تسبق والنية فيه السقوط ، فلما حمل على هذا كانت الألف مع الفتحة كالشىء الواحد يوجب الوقف سقوطهما منه ، ونعمل على أن صورة الألف فى الخط لاتوجب موضعاً فى اللفظ فإنها كالألف فى « لسٰحران » (س ٢٠ آ ٦٣) وفى « فَاطِرُ ٱلسَّمٰوات وَالأرْضِ » (س ٤٢ آ ١١) ، وفى

---

(١) فى الأصل : وما لم تحضر الكلمة : وهى زائدة لالزوم لها .

(٢) أنظر المقنع ص ٤٠ و ٤١ .

(٣) يعنى : ابجد .

« ووٰعدنا موسى » (س ٧ آ ١٤٢) وما يشبهُهنَّ ممـا يُحْذَفُ من الخط وهو موجودٌ فى اللَّفظ ، و يثبتُ فى اللفظ وهومسقط من الخط . وفيه حجة ثالثة وهى : أنه كتب بلغة من يقول : لقيتُ الرجُلا ، وقرِئ على لغة من يقول : لقيت الرجل بغيرألفٍ .

وروى أحمد بن يحيى عن جماعة من أهل اللغة ، أنهم رووا عن العرب : قام الرجلُو بواو ، ومررت بالرجُلى بياء ، فى الوصل والوقف ، ولقيت الرَّجُلا بألفٍ فى الحالين كلتيهما . قال الشاعر :

أَسَـائِلَةٌ عَميرةُ عن أبيهـا خِلاَلَ الْجَيْشِ تعتَرِفُ الركابَا

فأثبت الألف فى الركاب بناء على هذه اللغة ، وقال الآخر :

إذ الجوزاء أردفَت الثريا ظَنَنتُ بآلِ فاطمة الظُنُونَا

وعلى هذه اللغة بَنَى نافع وغيره .

وذكر عن محمد بن عبد الرحيم قال : أقرأنى أبو الربيع ، وأبو الأشعثِ عن وَرْشٍ ، عن نافع « الظنونا » ؛ و « الرسُولاَ » ، و « السَّبِيلا » بألف فى الوصل ، والوقف .

وعن أبى عبيد ، عن الكسائى : أنه كان يسقط الألف من الظنون ، والرسول ، والسبيل فى الوصل ، و يثبتها فى الوقف .

وقال أبو عبيد : اختيارى تعهُّد الوقف على هذه الحروف الثلاثة ، وأن يسكت عليها بالألف ليوافق خط المصحف ، ولا يخرج بها عن مذهب من مذاهبِ العَرب ، ولغة من لغاتهم .

وقال ابن الأنبارى رحمه الله : ومن وصل بغير ألف ووقف بالألف فجائز أن يحتجَّ بأن الألف [ثبتت] عند السكت حرصاً على بقاء الفتحة ، وأن الألف تدعمها وتقويها .

ومنها : زعموا قوله (س ٧٦ آ ١٥ ، ١٦) « كَانَتْ قَوارِيرَ قَوَارِيرَ » بغير ألف فى كلا الحرفين ، وكلاهما فى خطه فى المصحف ألف [١] .

والجواب : لامخالفة تلزمهم فى ذلك ، لأنه مما كتب بلغةٍ ، وقرئ بأحرفٍ تشاكلها ، وإن ألفاً حاضرة كفت عن ألف غائبة .

ومنها : زعموا قوله تعالى (س ١١ آ ٧١) « أَلاَ إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُم » (س ٢٥ آ ٣٨) « وَعَاداً وَثَمُوداً وَأَصْحَابَ الرَّسِّ » ، (س ٢٩ آ ٣٨) « وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ » ، (س ٥٣ آ ٥١) « وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَى » [٢] فقرأ حمزة « أَلا إِنَّ ثَمُودَ » لا يُجريه فى جميع القرآن ، وهذا مخالف للمصحف ، لأن أبا جعفر الرواس ، والكسائى ، والفراء ، وسيبويه : حكوا عن العرب أنهم يقفون على المنصوب الذى لا يَجْرِى [٣] بالألف فيقولون : رأيتُ عُمَر يا بُنَيَّ بغير تنوين وسكون ، رأيتُ عُمَرا بألف ، على أن الألف تدعِّم فتحة الراء وليست بدلا من التنوين ، إذ كان الاسم الذى هى آخره لا يجرى ؛ فهذه كقراءة من يقرأ (س ٢ آ ٦١) « اهْبِطُوا مِصْرَ فَإِنّ » ويقف « اهبِطُوا مِصرا » بألف [٤] .

وروى عن حمزة ، عن الأعمش أنه كان يقرأ « اهَبِطُوا مِصْرَ » بلا تنوين ، وعن الأعمش أيضاً أنه كان لا يعرفُ مصرًا ويقرأ « اهْبِطُوا مِصْرَ فَإِنَّ » [٥] .

وسُئِل الأعمش عنها فقال : هى مصرُ التى عليها صالح بنُ علىّ . قلت : فمن وقف على « مصر » بألفٍ فله أن يقول : هى مصر من الأمصار غير

(١) انظر المقنع ص ٤٠ و ٤١ و ٤٢ .

(٢) المقنع ص ٤٤ .

(٣) المقنع ص ٤٠ .

(٤) يعنى : يصرف .

(٥) انظر الأتحاف ص ٨٤

معين سبيله أن يَجرى(١) ، وتكون الالف فيه بدلاً من التنوين . دليل هذا أن بنى إسرائيل لمّا ملُّو المنّ والسّلوى ، وقالوا لموسى (س ٢ آ ٦١) « فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ ٱلْأَرْضُ » . قال لهم عليه السَّلام « أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ » ، يعنى : الذى هو أخسّ ، العدس ، والبصل ، والبقل « بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ » ، المن والسلوى ؟ « ٱهْبِطُوا مِصْرًا » من الأمصار فإنكم تجدون ما التَمَستُم من العدس ، والبصل ، والبقل . والمذهب الآخر الوقف على مصر بالفٍ ، وهى مختصة معينة ، لاتجرى باتصال بعض الكلام ببعض مشاكلة للمذكورة فى قوله (س ٤٣ آ ٥١) : « أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ » ؟ فتكون الألف دعامة للفتحة لا غير فى هذا المعنى . ومن زعم أن مصر تجرى وهى معرفة كما تجرى هِنْدٌ من أسماء النساء فقد أخطأ ، لأن هنداً تتردَّدُ على جماعة من النساء ، فخففها التردُّدُ والتنقل ، فتجرى لذلك معَ قلة حروفها ، وكذلك دَعد ، وَجمل ، وَهر ، ومصر ، وحلب ، وَقَيد وَمَا يشبهُهنَّ لا يَجرى منهن اسم ، لأنهن لا ينقلن ، ولا يسمَّى بهن غيرُهنَّ فَثِقُلَ التعريف ، وثقل التأنيث يَلزَمانهن ، ولا يجرين للعلتَين ، أنشد أحمد بن يحيى :

مَا مِنْ أُناسٍ بَيْنَ مِصْرَ وَعَالِجٍ   وَأَبيْنَ إِلاَّ قَدْ تَرَكْنَاهُمْ وَرا

فلم تجر مصر لتعريفها وتأنيثها .

ومنها : زعموا قوله (س ١٢ آ ١١٠) : « فَنُنجِى مَنْ نَشَآءُ » بنونين ، وفى المصحف نون واحدة(٢) .

والجواب : أن أكثر القراء أثبتوا النونين ، وعملوا على أنه كتب بلغة من يقول « نُجّى » ، وقرىء بلغة من يقول : « نُنْجِى » ، وقد يجوز أن يكتفى

---

(١) يعنى : يصرف .

(٢) انظر المقنع ص ٩١ و ٩٦ و ١٤٧ والتيسير ص ١٣٠

بنون من نون ، كما اكتفى بياء من ياء ، والف من الف ، وَوَاو من واو ، غير أن المستعمل لا يقاس عليه غير المستعمل .

وروى أبو عمر عن الكسائى أنه كان يقرأ « فَنُجِّى » على معنى النونين ، إلا أنه يدغم الثانية .

وقال ابن الانبارى : وما جوّز النحويون إدغام نون فى « نُجِّى » لكنهم يجيزون الاخفاء ، والاخفاء بين الادغام والاظهار ، فيُحمل المخفى على المدغم ، وتسقط النون الثانية من الخط ، على أن الاخفاء أوجب لها ذلك ، كما أوجب الأدغام سقوط الدال الأولى من الخط فى مدّ وردّ ، وإن لم يوجد هذا مستعملاً فى النظائر « فَنُجِّى » فى هذا الباب كالليل فى بابه حين خالف نظائره وأشكاله .

وعن أبى بكر عن عاصم أنه قرأ « فَنُجِّىَ مَنْ نَشَاءُ » بنون واحدة ، والياء مفتوحة . وقرأ فى سورة الأنبياء (س ٢١ آ ٨٨) « وَكَذٰلِكَ نجى الْمُؤْمِنِينَ » بنون واحدة[١] .

وأمّا الحروف التى فى سورة يوسف فلا مطعن عليه فيه ، لأن « نجّى » فعل ماضٍ ، ومن موضعها رفعٌ لقيامها مقام الفاعل . والحرف الذى فى سورة الأنبياء طعن عليه فيه بأن « نجّى » يجب فتح آخره ورفع « المؤمنين » به ، فيقال : نُجّىَ المومنون ، كما يقال : كُرّمَ الصالحون . وله حجتان عند أهل النحو :

أحدهما : أن المؤمنين فى موضع نصب بنجّى ، ونجّى مستقبلٌ نونه الثانية مخفاة كالمدغمة .

والحجة الأخرى : أن نجّى فعل ماضٍ سُكّنت ياؤه على لغة من يقول : بَقِى ، وَرضِى ، فلا يحرك الياء . وقرأ الحَسَنُ (س ٢ آ ٢٧٨) « وَذَرُا

---

(١) المقنع ص ٩٢ .

مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا » استثقالاً لتحريك ياء قبلها كسرة .(١) أنشد أحمد بن يحيى :

حَمَّرَ الشيبُ لمَّتى تَحْمِيرا وَحَدَا بِى إِلَى ٱلْقُبُورِ ٱلْبَعِيرَا
لَيْتَ شِعرى إِذَا ٱلْقِيامَةُ قَامَتْ وَدُعِى بِٱلْحِسابِ أَيْنَ ٱلْمَصِيرَا

قال احمد بن يحيى : سكن اليـاء فى دُعى استثقالاً لتحريكها ، وقبلها كسر وفاعل حدا الشيب . وَحدا الشيبُ البعير ليت شعرى المصير أين هُو . وموضع « المومنين » نصبٌ ، واسمُ مَا لَمْ يسمِ فاعله مضمرٌ . [أى] وكذلك نجّى النجاء المومنينَ . قال بعض العرب : ضُرِبَ أَخاكَ ، يريد ضُرِبَ الضَّرْبُ أخاكَ . أنشد أحمد بن يحيى .

فَلَوْ وَلَدَتْ فقَيرَةٌ جِرْوَ كَلْبٍ لَسُبَّ بِذَلِكَ الْجِرْوِ ٱلْـكِلاَبا

مَعناهُ : لسُبَّ السبُّ بذلك الجرو . وَمَا يخالف ٱبن محيصن هجاء المصحف فى الحرف الذى رُوى عن شبْل عن ٱبن مُحيصن : أنه قرأ « فَنجَا مَنْ نَشَاءُ »(٢) لأن « نجا » وإن كان من بناتِ الواو ، فإنه يجوز أن يكتب باليـاء إذا قرىء به استعمالاً ، كما كتب زكى بالياء : وهو من زكوت ، وإنما ساغ هذا لأن اللام فى هذا الباب الياء أغلب عليها من الواو ، إذا كانت الوَاوُ ترجعُ إلى الياء [كما] فى استغزى ، واستعدى ، واغتدى ، على أن « نجا » بمنزلة زكا ، وأنه لا يخالف هجاء المصحف . فجوَّزُوا الإمالةَ فى بعضها ممـا كثر استعماله . فقالوا : زَكِىَ ، ولم يقولوا : غدِىَ ، ودَعِىَ لزوماً فيهما أصل الباب وَوَجه العلة . فَعمِلَ ٱبن مَحيصن على أن « نجا » بمنزلة زكى ، وأنه لا يخالف هجاء المصحف .

وروى وَرْش ، عن نافع « فَلاَ تَسْأَلَنِّى عَنْ شَىْءٍ » بإثبات الياء وتشديد النون فى سورة الـكهف (س ١٨ آ ٧٠) ، واليـاء من خطها سـاقط للحجج

(١) انظر الأتحاف ص ١٠٠ .
(٢) انظر الأتحاف ص ١٦٢ .

التى تقدّمَت من الاكتفاء بياء من ياء ، و بلغة من لغةٍ ، وغير ذلك مما تكره إعادَته إشفاقاً من التكرار والإطالة .

وقال الشيخ محمد بن الهيصم : أما القراءآت فإنها على ثلاثة أوجه :

منها : أن يغلط القارىء فيقرأ على خلاف ما هو الحق ، وذلك ما لا يجوز أن يُعتَدَّ به فى قراءآتِ القرءآن ، و إنما يرجع لومه على الغالط به ، ولربما يكون هذا الغلط من بعض مَن عُرِفَ بالعلم أو بالقراءة فينقل ذلك عنه ، ولعله لو روجع فيه لعرف غلَطه وعاد إلى الحق والصواب . وهذا الضرب أيضاً مما لا يقدَحُ فى تلاوة القرآن والثقة به .

والوجه الثانى : من القراءآت أن يكون القرءان قد نزل على لغةٍ ، ثم خرج بعضُ القراء فيه إلى لغة أُخرى من لغات العرب مما لا يقع فيه خلاف فى المعنى ، فترك النكيرُ عليه تيسيراً وتوسِعَةً فنقل ذَلك ، وقرأ به بعضُ القراء ، (وذلك) بمنزلة مَا ذكر عن أنس بن مالك أنه قرأ (س ٩٤ آ ٢) « وَحَلَلْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ »[(١)] ، ولا ينكر أن يكون قد قرىء من هذا الضرب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكره ، وذلك بمنزلة ما ذكر عن أبى حنيفة رضى الله عنه: أن من قرأ بالفارسية جازت صلاته ، وهذا الهجومُ إنما ساغ لأولئك الذين دخلوا فى الإسلام ، وقرأوا القرآن بعد أن مرنت نفوسهم على لغات تخالف لفظ القرآن على وفاق من المعنى ، فسوغ لهم المعنى على عادتهم ، ولا يبعُد أن يكون فى القراءات المنقولة ماجَرى هذا المجرى . وذلك مما لايدخل فى النقل الشائع المستفيض الذى تأدّى إلينا على لسان الأمة .

والوجه الثالث : من القراءآت هو ما اختلف باختلاف النزول بما كان يعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن على جبريل فى كل شَهرِ رمضانَ ،

---

(١) أنظر Materials ص ٢١٧ .

وذلك بعد ما هاجر إلى المدينة ؛ فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقفون منه حروف كل عرض ، فمنهم من يقرأ على حرفٍ ، ومنهم من يقرأ على آخر إلى أن لطف الله عز وجل بهم ، فجمعهم على آخر العرض ، أو على ما تأخر من عرضين أو ثلاثة ، حتى لم يقع فى ذلك اختلاف إلا فى أحرف قليلة ، وألفاظ متقاربة ، والذى وقع من اختلاف حروف الهجاءآت فيما أجمعوا عليه فرقها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على المصاحف حين انتسخُوها لئلا تذهب . ولهذه العلة اختلفت مصاحف أهل الشام ، وأهل العراق ، وأهل الحجاز فى أحرف معدودةٍ على ما ذكرناه قبل هذا الفصل ، فاعرفه موفقاً إن شاء الله .

الفصل السابع

فى ذكر التفسير والتأويل

وما قيل فيهما ، وما يحتاج إليه المفسر ، وذكر المحكم والمتشابه ، والحكمة فى إنزال الله المتشابه ، وكتابه الذى فصلت آياته .

ولمّا ذكرنا بعض ما تكلم القومُ فيه من اختلاف القراءآت ، وكشفنا عن قناعها بالدلالاتِ ، فَبِنا أن نذكر فى معنى التفسير والتأويل لأنهم إذا عجزوا عن توهين أمر الكتاب ، فربما تعلقوا بشىء من هذا الباب وجعلوا قوله صلى الله عليه وسلم : من فسر القرءآن برأيه إن أصاب لم يؤجر ، وإن أخطأ فليتبوأ مقعده من النارِ ذريعةً للطعن فيه بالكذب ، وهذا حديث مشهور ، فيه زوايا وأمور ، وقد تقدَّم منا فى معنى هذا فى كتابنا المعنون « بالدرر فى ترفيع السور » . إلا أنا لم نُشبع القول فيه ، ولم نشرع فى ذكر وجُوهه ومعانيه ، وَهٰهُنا يتبين الرشد من الغىّ ، وينتشر عينُ الثوبِ عَن الطىّ .

فنقول : قد تكلموا فى معنى اللفظين ، فمنهم من جعلوهما بمثابة واحدة[1] ، واختلف لفظاهما ، واتفق معناهما كنظائرهما من الألفاظ ، والكلِم يطول ذكرها بكتابه الْعَليّ ، ومنهم من فرق بينهما فى المعنى ، كما افترقت صُوَرُهُ (فى) الفحوى

فروى عن على بن أحمد بن موسى الفقيه الفارسى قال : إن التفسير لا يتعاطاهُ إلَّا الأنبياء عليهم السّلام ؛ والتأويل يتعاطاه الأنبياء وغير الأنبياء ، فيكون معنى الحديث ما يتقول على الأنبياء عليهم السلام ، مما لم يقولوه . قال : وذلك لأن التفسير هو تحقيقُ المعنى ، وذلك لا يكون إلا من قبل الله تعالى ، والتأويل هو على احتمال اللغات ، فلكل واحدٍ من أهل اللغة أن يتأول بلغته .

ومنهم من قال : التفسير : هو ذكر القصص ، وما أنزلَ فيه ، والتأويل :

---

(١) يعنى : لفظ واحد

هو ما يحتمله معنى الـكلام . فمعنى الحديث هو تعين الأسباب التى أُنزل لأجلها .

وحكى عن الشيخ أبى عمرٍو ، وعثمان بن بقية المازنىّ رحمه الله أنه قال : التفسير : ابانة حكم اللفظ . والتأويل : تحميله ماهو يحتمله من المعنى . وقيل : التفسير : ظاهر معنى الآية ، والتأويل : يقع على مراد الله تعالى ، ولا يوقفُ عليه إلا بالسماع . وقيل على ضده : إن التأويل ظاهر معنى الآية ، والتفسير يقع على مراد الله تعالى ، ولا يوقف عليه إلاَّ بالسماع .

وذكر ليث عن الخليل بن أحمد أنه قال : مأخذ التفسير من الفَسرِ وهو البيان . قال : والتفسرةُ اسم للبول الذى تنظر فيه الأطباء وتستدل به على مرض البدن ، وكل شيء يعرف به تفسير الشيء فهو تفسرته . وقال غيره : التفسير مقلوبٌ من السفر ، وهو كشط الشيء عن الشيء كما تسفر الريحُ الغيم عن وجه السماء فتُسفر ، والسّفْر أيضاً كنس البيت وغيره تقول: سفرت المرءة إذا كشفت النقاب عن وجهها .

قال : فالمفسّر سَفَر اللبس عن حكم الآية ببيَانِه ، فقلبَ اللفظ بتقدم الفاء على السين كما يقولون : جَذَبَ ، وجَبَذَ ، وَصَبَّ ، وَبَصّ ونحوها . وأما التأويل : فمن الناس من قال نأخذه من قولهم : آل الأمرُ إلى كذا . أى رجع . فالتأويل يرجعُ اللَّفظ ويصرفه إلى مايحتمله من المعنى المقصود . قال الله تعالى (س ٤ آ ٥٩) «ذٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً» أى عاقبة . ومنهم من قال : بل هو تفعيل من أول ومعناه : صرف اللَّفظ إلى أوّلِه ، وذلك أن أول كل شيء هو قصد القاصد لما يبتغيه ؛ وذلك أن المخَاطبَ قَصدَ لِبغيَةٍ له بخاطبهِ ، ولو قد أمكنه تبيين قصده عِندَ أَوّلِ ما قصد لم تـكن به حاجة إلى إيراد لفظة الخطابِ ، فالمؤَوِّل بيَّنَهُ من اللفظ على أوله ، وهو القَصدُ الذى لأجله أورد اللّفظُ : وهذان الوجهان متقاربان فى المعنى ، وإن تباينا فى العبارة من حيث كان .

أحدُهما : اعتبارَ الأول وهو المبَدأ .

والثانى : اعتبار المآل وهو العاقبة . وذلك أن كل قول وفعل صدر عن حكيم ، فإن أوله وآخره نكتة واحدة . بمعنى : أنه قصد فى أول الفعل للأمر الذى هو المآلُ فصرفُهُ إلى مآله صَرفٌ إلى أوله و إبانة عنه . وذلك معنى من قال : أولُ الفكرة آخر العمل ، وأمَّا : ما يحتاج إليه المفسّر فقد ذكر عن الشيخ أبى عمرٍو عثمان رحمه الله أنه قال : يحتاج من تكلم فى تفسير كتاب الله عز وجل إلى عشر خصال ، إن أخطأ واحدةً منها كان السكوت أولى به .

إحْدَاها : أن يكون عالماً بظاهر التنزيل ، عارفاً باختلاف القراءات وما يختلف به المعنى ، وما لايختلف .

والثانية : أن يكون عارفاً بلغة العرب وطريقة النحو والاعراب .

والثالثة : أن يكون عالماً بأبواب السر من الاخلاص، والتوكل ، والتفويض والاذكار البَاطنَةِ التى افترضها الله تعالى على عباده ، و بالألهام والوسوسة،ومايُصلح الأعمال وما يفسدها ، وَ بآفاتِ الدنيا ومعايب النفس ، وسبيل التوقى من فسادهما ليتأتى له تفسير الآيات المنتظمة لهذه المعانى .

والخامسة[1] : أن يكون عالماً بأحكام الشريعة من العبادات ، والمعَامَلات ، والسُّنن الواردة فيها ليضَعَ الآيات التى تنتظمُ هذه الأحكام مواضعَها .

والسادسة : أن يعرف الأقاصِيصَ ، والأخبار ، وشأْن نزول الآيات ليحمل كل آيةٍ على مايقتضيه قصة نزولها ، وليفرّق بين الناسخ والمنسوخ بذلك .

والسابعة : أن يحفظ أقاويل المفسرين من السلف والخلف ، فإن ذلك أهدى له فيما يريده وأدنى إلى الصواب فيه .

والثامنة : أن يكون جيّد القريحة ، ذكى الفهم ، قوى الفكرة : فإن البليدَ قد يتقاعَدُ عن فهم مَايُبيّن ، له فكيف يستنبط ما لم يبيَّن له .

والتاسعة : أن يكون مفوضاً أمره إلى الله تعالى ، متضرعاً إليه أن يلهمه

---

(١) سقط من الأصل ذكر الرابعة .

الرشدَ والتوفيق ، وتحذير الأعجاب بنفسه والاتـكال على عقله ، وجودة قريحته ، فإن المعجب مخذول .

والعاشرة : أن يكون من أهل الزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة ، فإن كل أحدٍ محوط بما هو طالبهُ ، وينحو نحو ماهوَ من همته ورغبته ، فمن رغب فى الدنيا انصرفت همته إليها ، وسيكونُ ما يَسبقُ إلى قلبه من وجوه مايريد أن يتكلم فيه على وِفاق ما فى همَّته وما أخوَفَه إذ ذاك أن يصرف كتاب الله تعالى إلى ماتهوى نفسه فيضل بنفسه ، ويُضل غيره .

والذى يؤيد ماذكرناه حديث روى عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا من زهد فى الدنيا ، وقَصَّر فيها أمله أعطاه الله علماً بغير تعلمٍ ، وهَدْياً بغير هداية ، ومَن رغب فى الدنيا وطال فيها أمله أعمى الله قلبه على قدر رغبته فيها . وتفسير قوله : علماً بغير تعلم ، هو أنه يلهمه زيادةً على مايَعلم بأن يوفقه لاجتهاد الرأى[1] ، واستنباط الصواب ، ليس أنه يصير عالماً من غير أن يتعلم البتة ، ولم يردْ بذلك أن يكون قد بلغ أقصى غاية الزهد ، ولـكنه يجب أن يكون معتقداً للزهد ، مجتهداً فى طريق أهله من المتفرغين للعلم والعبادة ، ولا يكون من المـكبّين على الدنيا ، المقبلين عليها فى غالب أحوالهم ؛ فإن الله تعالى جعل مثال العالم الذى هو بهذه الصفة مثل الـكلب حيث قال : (س ٧ آ ١٧٥ ، ١٧٦) « وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ ، أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ؛ ذَٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ » ثم بين علة مالحقه من الخذلان والحرمان فقال : « وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا » فكيف يُوفَّق من هذه حاله من الأخلاد إلى الأرض ، واتباع

(١) يعنى : للاجتهاد فى الرأى .

الهوى لاستنباط الصواب ؟ ولوكان لايسوغ اجتهاد الرأى وتأويل القرآن إلاَّ لمن صار بحقيقة الزهد بحيث يَعد فوت منافع الدنيا عنه غنماً ، ونيلها غرماً حتى لايتداخله فى ذلك غفلة ، ولا توجد منه فى شهوات الدنيا رغبة ، ولا يأخذ منها شيئاً سوى مَا لو تركه لاقتطعَه ذلك عن عبادة ربّه ، إذاً لاشتدّ الأمر ، وعظم الحرج والأصر ، فإن هذه الطبقة أعز فى الأرض من الكبريت الأحمر ، لاسيما ممن يكون قد تفنن مع هذه المنزلة فى أنواع العلوم ، حتى تمكن من اجتهاد الرأى ، والنظر فى معانى القرآن والحديث معاً . وقد روى عن الكلبىّ قال: رأيت الحسن بمكة فسألته عن شىء فلم يجبْنى . فقلت : نسألكم يامعشر الفقهاء فلا تجيبوننا ؟ فقال : ويحك وهل رأيت بعينيك فقيهاً قط ؟ وهل تدرى مَن الفقيه ؟ إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا ، الراغب فى الآخرة ، الدائب فى العبادة ، البصير بدينه . وهذا الحديث موعظة وتذكير ، وترغيبٌ فى الزهد وتبصير.

وأما القول فى المحكم والمتشابه ، فإن القرآن كله محكم من جهة النظم والإعجاز كما قال تعالى (س ١١ آ ١) « الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ » ، وكله متشابهٌ من تشابه ألفاظه بعضها ببعض ، فليس فيه ما يُنفى ويرد لنا ويخرج عن النظم ويهمل ، وذلك قوله تعالى (س ٣٩ آ ٢٣) :« نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً » . وبعضه محكم من جهة احتماله وجهاً واحداً لايرتاب فيه مرتاب ، وبعضه متشابه من احتماله وجوهاً كثيرة لايقطع على واحد منها قاطع ، كما أنه فى بابه علم ساطعٌ ، وذلك قوله : (س ٣ آ ٧) « مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ » . فاللائى « هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ » مثلُ قوله (س ٦ آ ١٥١) « قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ » ؛ و(س١١٣ آ ١) «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ» ، وقوله (س ٥٩ آ ٢٣) :« هُوَ اللهُ الَّذِى لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ » إلى آخر السورة ، وفى أمثالها . وأما المتشابه ، فإنه مثل قوله : (س ٣٩ آ ٥٦) « عَلَى

مَا فَرَّطتُ فى جَنْبِ ٱللهِ » ، و (س ٢ آ ٢١٠) « هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ ٱللهُ » ، و (س ٨٩ آ ٢٢) « وَجَاءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ » ، وما اشبهها .

فإن قيل : ولأيَّة علةٍ أنزل المتشابه ؟ وهو يحتمل التأويلات فهلا جعله كله محكما دالاًّ على ماأراده ليكون أكشف للحقّ ، واقمع للشبهة مع قوله تعالى : (س ٨ آ ٤٢) « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ[1] عَنْ بَيِّنَةٍ » ، وإذا لم يكن فى المتشابه المأخوذ منه المراد (لبس ولا خفاء) فهو إلى التشكيك أقرب ، وكان متناقضاً ولم يكن من عندِ حكيمٍ ، والكلامُ المبين الذى لاتتداخل فيه الشكوك أشبه بكلام الحكيم الذى يريدُ هداية عبيده .

قلنا : فيه ثمانية أوجه :

أحدُها : أن الله سبحانه احتج على العرب بالقرآن ، إذ كان فخرهم ورياستهم بالبلاغة ؛ وحسن البيان ، والاختصار ، والأطناب . وكان كلامُهم على ضربين : أحدهما : الواضح الموجز الذى لايخفى على سامعه ، ولايحتمل غير ظاهره . والآخر : على المجاز والكنايات ، والاشارات ، والتلويحات . وهذا الضرب هو المستحلى عندهم الغريب من ألفاظهم ، البديع فى كلامهم . فلمَّا قرعهم الله سبحانه فعجزهم عن المعارضةِ بمثل سوره أو سورة منه أنزله على الضربين ليصح العجز منهم ، وتتأكد الحجج ولزومها إياهم فكأنه قال : عَارِضُوا محمداً صلى الله عليه وسلم فى أىّ الضربين شئتم ، فى الواضح أوفى المشكلِ ؛ ولم يقدروا عليه . ولو أنزله كله واضحاً محكماً بحيث لايخفى على أحد سَمِعَهُ منه لوجد المشركون مقالاً وقالوا : ما باله لم ينزل بالضَّرب المستَحسن عندنا والمستحلى فى طباعنا ؟ لإن ما وقع فيه الإشارة والكناية ، والتشبيه ، والتعريض كان أفصحَ ، وأعربَ دَليلُه قول أمرىء القيس :

وما ذرفت عينــــاك

---

(١) فى الأصل حى انظر المقنع ص ٥٣ ، ٩٧

فجعل النظر بمنزلة السهم تشبيهاً فخلا به عند كل سامع واستحسنه كلُ منشد. ومثله قوله أيضاً :

فقلتُ له لمَّا تمطى بصلبه
ألا أيهـــا الليـــل
فيالكَ من ليـــل

فإن ذلك أفصح من قول الآخر :

ركبت نُجُومُ ٱللَّيْلِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ وَلِـكُلِّ رَأْسٍ كَوْكَبٌ وَهاج

و إن كان أشدَّ تصريحاً من قول الآخر :

طَالَ لَيلى أُراقِبُ التَنْوِيرَا أَرْقُبُ ٱلصُّبحَ بِأُلصَّبَاحِ نَصيرًا

ليس إلاّ لما فى الأول من الاستعارة ، فان شبَّه الليْل بالراجع لطوله كالْمتَمطى يُشبهُ الراجع إلى ورائه ، والجايش صدره و إن ردفته الحجارة . فجعل الليل صُلبًا ، وصَدراً ، واعجازاً ، ووصفه بالتَمطى مع أن غاية الفصاحَةِ ، ونظم البلاغة شوب التعريض بالتصريح ، والمجاز بالحقيقة لتصريف القول فى كل فنّ من فنون البلاغة . فـكان قوله (س ٣ آ ٧٢) : « آمِنُوا بِالَّذِى أُنْزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا (وَجْهَ ٱلنَّهَارِ) » اذهبَ فى معنى البلاغَة من أن يقول « فى أول النهار » . وقوله : (س ١٣ آ ٣٩) « وَعِنْدَهُ أُمُّ ٱلْـكِتَابِ » أبلغ من أن يقول « أصل الـكتاب » . وقوله (س ٥٨ آ ١٢) : فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَيَـكُمْ » أبلغ من أن يقول : « قدموا قبل نجويكم صدقة » . وقوله (س ١٠ آ ٢) : « لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ » أَبلغ من أن يقول : « لهم ثواب عمل صالح قدم لهم الوعد عليه » . وقوله (س ١٦ آ ٢٦) : « فَأَتَى ٱللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ ٱلْقَوَاعِدِ » أفصح من أن يقول : « فاتى أمر الله بنيانهم من القواعد » . و كذلك قوله (س ٥٩ آ ٢) فَأَتَاهُمُ ٱللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا » أحسن من أن يقول : « فأتاهم أمر الله من

حيث لم يحتسبوا » . وقوله (س ٣٩ آ ٥٦) « يَاحَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنْبِ ٱللهِ » أفصح من أن يقول : « فرطت فى أمر الله » ، أو « فى طاعة الله » . وما أشبه ذلك من آى القرآن . لأن هذا هو البديع الذائع ، والمستعارُ المقتضبُ فى لغتهم ، وصحة سعة تصرفهم وخطابهم ، وأمثالها كثيرة .

والثانى : أنزله الله سبحانه اختباراً ليقف المؤمن عنده ، و يردّه إلى عالمِه ، فيعظم به ثوابه ، و يرتاب به المنافق فيستحق العقوبة ، ولم يضرهم جهلُها ولو افتقروا إلى علمه لم يَطوه عنهم كما اختبر قوم طالوت بالماء فقال : (س ٢ آ ٢٤٩) « إِنَّ ٱللهَ مُبْتَلِيكُمْ » ، فكما جاز ترك الاعراض فى هذا وأن لا يقال ما العلة فى هذا ؛ فكذلك يؤمر بالمتشابه ولا يقال لِمَ لَمْ يكشف معانيها ولم يوضحها .

الثالث : أراد أن يُشغِلَ أهل العلِم بردّه إلى المحكم فيطولَ بذلك فكرهم ، و يظهر بالبحث عنه إهتمامهم . ولو أنزله كله محكماً لاستوى فيه العالم والجاهل ، فشغل العلماء بِهِ ليعظم ثوابهم وتعلوَ منزلتُهم ، و يكرم عند الله مآبهم ، ويضطرّ الناس إليهم ، ويلزموا أنفسهم قبول تفسيرهم . ولو لم يشغلهم بذلك لجاز أن يشتغلوا بالأمور المذمومة .

الرّابع : وجدنا أهلَ كل صناعة يجعلون فى علومهم غوامض ومسائل دقيقة ليخرِّجُوا بها من يعلّمونَ ، و يمرّنونهم على إبداع الجواب . فإذا قدروا على الغامض كانوا على الواضح اقدرَ ، فقد صنع صُناع أهل النحو ، والتصريف ، والشعر ، والفقه وغيرها مسائل غامضةً . لهذا السبب فجاز أن الله تعالى أنزل المتشابه ليخرجهم به وليمرّنَ عبادَه ، فإذا انبسطوا فى المتشابه لم يكونوا بلداء فى بعضه يرونه كالجبال وراء سترٍ ظهرت العلوم عليهم ، وكثرت منافع الناس من جهتهم ، وتكلموا بغرائب الحكمة . كما قال صلى الله عليه وسلم : إن تهامَة كبَربع العسل حلوٌ أوّله حلو آخرُهُ فيغمصُهُ هذا على قوم ، واليربع الزقُ ، وقوله : حلوٌ أوّله حُلوٌ آخره ، أى لايتغير كتغير اللبن وشبهه .

الخامس : أنزل المتشابه لتشتغل به قلوب المؤمنين ، وتتعب فيه جوارحهم ، وتنصرم فى البحث عنه أوقاتهم ، ومدَدُ أعمارهم ، فيحوزوا من الثواب حسبما كابدوا من المشقة ، وَالاثَرة له على غيره مما يعمل لربِّه ، كما تعبّدهم بالصلوات ، والصيّام ، والحج من المنازل إلى بلدٍ لم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، وغيرها من الشرائع .

السادس : هو أن الله سبحانه علِم أنه لو أنزلَ الكتاب كله ليس فيه مايحتاج إلى استخراج ولا نظر عالِم ، لكان يَستَوى فيه العالم وغيره ؛ وكان ذلك يحملهم على ترك التَدبُّر لمعانيه ، والإقبال عليه إذْ يَيْئَسُوا من أن يكون فى باطنه غير ما فى ظاهره ولا يتشاغلون به ، وإذا تفرغوا من التشاغل به حملهم ذلك على ركوب معاصٍ ونظرٍ فى أمور مكروهة . وعَلِم انه إذا شغلهُم بتكليف الدراسة والاستخراج لمعانى القرآن لم يرتكبوها ، فشغلهم باستخراج حكمه الباطنة ، فصاروا لا يشبعون منه لما يهجمون عليه فى كل وقت يتدبَّرُونَه من عجائب حِكَمه ، وغرائب فوائده ، ويجوز مع ذلك أن يكون فى المعلوم أنه لوكان تنقطع الفوائد لاجتازوا عند المصير إلى انقطاع فوائده إلى الضجر منه ، والاستخفاف بحقه . وليس من كلام الحكماء شىء إلاَّ وأنت وإن عرفت ظاهره ففى باطنه من الحكم على قدر شرف الكلام ومبلغ قدره من الإحكام ، وبما يدل على علم واضعه ، فما ظنك بكلام أحكم الحاكمين ، وأعلم العالِمِين ؟

ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى يروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى القرآن : هو الذى لا يخلَقُ عن كثرة الردّ ، ولا تقضى عجائبه . ولو كان مقصوراً على معنى ظاهره لما تنافست العلماء بالازدياد منه ، ولا استووا فى الدرجات فى العلم به . وأى كتاب وجدت من كتب العلماء المستحسنة تتساوى الناس فى العلم به ولا يفضُل بعُضُهم على قدر منزلتِه فى التدبر لما لايفطن له من قَصُر عن منزلته ، والاستخراجُ لا يكون

إلا بالنظر فيما قد يجوز أن يعارضَه المشتبه حتى يزيله حسن الاستخراج بالتدبر الصَّحيح والفكر الدائم .

السابع : يحتمل أن يكون الله تعالى أراد بانزاله بَعضَ القرآن مشتبهاً أن يُريَهم قدر الكفاية ، كما عرّفهم حُسن التكلف لما غمض من معَانيه لاستيجاب الثواب ، فيجب الشكر عليهم والاعترافُ بالأمرين جميعاً مما أسقَط عنهم فرضه ، وما كلفهم فعله كما فعل فى سائر الفروض ، لأنه معروف فى المشاهَدة أنه لا يعرف قَدرَ مَابَيّنَه الْعِلمُ وكفى فيه المؤنة حتى يتكلف استخراجَ بعَض مادقَّ مما لم يبيّنه ، فانه لا يعلم قَدرعلم الْعالِم بالكل إلا مَن تعرَّض للجزء منهُ ، وكذلك عرَّفَ الله قومًا مداواةَ بعض تعديل الطبائع بالكميّة ، أو الكيفيّة ، ليريَهم مقدار ما كفاهم أمر تعديل الأمّهاتِ وتتصلِ الاجزاء اللطيفة على قدر الكفايات ، فليس أحدٌ أعلم بعد العَالِم الكامل ممن تعَاطى استخراج الجزء من علمه . ألا ترى أنه لا يُجلّ أهلَ الفصاحة ، والشعر ، والخطب إلاَّ مَن قد أخذ طرفاً[1] من ذلك ، ولا يعرف قدر المهندس ، والمتطبب ، والنحوى ، والمتكلم ، والسائس ، والمدبّر ، والكاتب إلا مَن قد خالطه فى تلك الصناعة بعض المخالطة ، فيعلم مقدار ما فاته منها وَحلالَه ما زاد على مَا حواه بمعرفته بجلالة ما حَوَى . فلذلك ابتلى الله العلماء باستخراج ذلك ليقع لهم ذلك بالخبرِ والشهادة و إن آمنوا به فى الجملة .

الثامن : ولقد أشار الله تعالى فى كتابه إلى وجه الحكمة فى ذلك بقوله (س ٢ آ ٢٦) : « فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ، وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً » . هَا هُنا تمام الكلام ، ثم قال جواباً لهم : « يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا » . أى أرادَ بذلك تحقيق معلومه فى الذين سبقت مشيئته ، وعلمه ، وحُكمه لهم بالضلالة ، فجعل هذا الكلام سبباً

(١) الأصل : شدّ اشياء

لذلك ولا عيبَ عليه فيه ، لأنه أحاط علماً باستحقاق الجميع العاصى منهم والمطيع .
ثم قال : « وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا » . أى وسبق علمه ، وقضاؤه ، ومشيئته فى قوم بالهداية لما علم أَنَّهم أهل لذلك فجعل هذا سبباً لذلك . فأما أهل السعادة فيعملون بمحكَمِه ، ويؤمنون بمتشابِهِه ، فيستوجبونَ الرحمة والفضل . وأما أهل الشقاوة فيجحدونها فيستوجبون الملامة والعَدْلَ ، ولذلك قال (س ٣ آ ٧) : «وَالرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ : آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا » .

فهذه الأجوبة الثمانية يجوز أن يكون الله سبحانه أنزل بعض كلامه متشابهاً لها أو لبعضها ، وكل واحد منها له وجه فى العظمة ، ومنفعةٌ فى الدّلالَةِ والتعبُّد ، وقد حرس الله سبحانه مَن اتبع الحكمة من الآفات ، وسائر حُجج الله من أن يضرَّه اشتباه المشتبه وجُعلت له المنفعة التى ذكرنا فى اشتباه ما اشتبه ، وبالله التوفيق .

الفصل الثامن

في ذكر من تحرج عن التفسير واستنكره

وفيمن شرع فيه وقام به وأظهره ؛ واستشهد بالإشعار لما ذكره
والوجه فى ذلك ، وفى اجتهاد المجتهدين فى أحكام القرآن المختلفة
فى تأويل ايها ؛ وفى جواز استنباط معانيه
على شرائطه اللغوية

ولمَّا ذكرنا بعض ماقيل فى التفسير والتأويل ، ووجوه التنزيل ، وأجملنا القول فيها من غير تفصيل ، فلا بد لنا من القول فى ذكر من تحرج عن التفسير ، و بيان وجه الحكمة فيه ؛ فإن بعض الجهال يتعلقون به ويجعلونه علة لجهلهم وقصور علمهم وعقلهم . فمن ذلك : ماروى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه سئل عن قوله تعالى : (س ٤ آ ٨٥) « وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتاً » . فقال : أى سماء تظلنى ، وأى أرض تقلنى إن قلت فى كتاب الله مالم أعلم ؟

ومنها : ماروى عن جبيلة وغيره ، عن أنس أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قرأ على المنبر (س ٨٠ آ ٣١) : « وَفَاكِهَةً وَأَبًّا » ، فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأبُّ ؟ . ثم رجع إلى نفسه فقال : لعمرك إن هذا هو التكلف ياعمر .

ومنها : ماروى عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يفسر شيئاً من القرآن إلاَّ آيات بعدَدٍ ، علّمهن إياه جبريل عليه السلام.

ومنها : ماروى عن حماد بن زيد ، عن عبد الله بن عمر قال : لقد أدركت فقهاء المدينة وأنهم ليعَظُمون القول فى التفسير ، منهم : سالم بن عبد الله ، والقاسم أبن محمد ، وسعيد بن المسيّب ، ونافع ، إلى أخبار رووهَا نحو ذلك .

ومنها : ماروى عن الشعبي أنه قال : أدركتهم وما شيء أبغض إليهم أن يسئلوا عنه ، ولا هُمْ له أهيبُ من القرآن .

ومنها : ماروى عن الربيع بن خُثيم قال : ليتّقِ أحَدكم التكذيب إيّاهُ أن يقول : قال الله كذا . وكذا . فيقول : كذبت لم أقلْ ، ويقول لم يقل الله : كذا . وكذا . فيقول كذبت قد قلت .

هذه وأمثالها من الألفاظ مما اتخذوها ذريعة إلى الطعن على من فسر القرآن ، وذلك شيء حَاولت به الزنادقة أن يلبسوا على الأمة أمر دينهم ، وتلقتهم طائفتان من الناس :

إحداهما : الجهال الذين قصر علمهم عن الوقوف على معانى القرآن ، واستنكفوا أن يتعلموها من أرباب الصناعة إصراراً على العدوان ، فاكتفوا بجهلهم وحماقتهم ، ولم يصلوا إلى يقظتهم وإفاقتهم .

والطائفة الأخرى: الرافضة ، والحشوية . فإنهم اعتمدوا على أنه لاسبيل إلى شيء من علم الدين إلاَّ من جهة الإمام المعصوم الذى يَدْعونه حجَّة الله على عباده ، من غير أن يقفوا منه على أثر؛ وتسميةُ هذا الإمام الذى يدَّعونه بالمعدوم أولى منه بالمعصوم ، لأنهم منذ أربعمائة سنة ، بقليل شيء[1] ، ينتظرونه ، ويعِدُون الناس خروجه ، ويترصدونه وهو كل يوم أخفى أثراً ، وأعمَى بصراً .

وأما الحَشْويَّة فإنهم اعتمدوا على ماقدمنا ذكره من تحذير السلف رضى الله عنهم عن القول فى كتاب الله تعالى بما لاتمس إليه الحاجة . ونحن نذكر أولا فساد ماذهب إليه القوم من الاقتصار على ظاهر القرآن والروايات من كتاب الله تعالى . ثم نعقبه بذكر ماتعلقوا به فيما قدمنا ذكره ، والجواب عنها ووجه الحكمة فيها .

---

(١) يعنى : نحو أربعمائة سنة .

فنقول : قال الله سبحانه وهذا (س ٣٨ آ ٢٩) « كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ » وأصل التدبُّر من الدُّبر ؛ ودبر كل شيء عاقبته ؛ فمتدَبِّر القول هو الذى يتتبع مايؤدِّى إليه من العاقبة والغرض المقصود منه . وهذا هو التأول نفسه ، وذلك أن التأول تفعل من المآل ، وهو أن يتتبَّع المتأوِّل مايؤول إليه القول من غرض ومايؤدِّيه من معنى . وقوله تعالى : « وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ » نعت مترتب على أعمال الألباب فيه[1] وليس ذلك إلا بتتبع معانيه ، وَلَو قد أراد حفظ اللفظ والوقوف على ظاهره لـكان ذكر الآذان وماهى نعته[2] يغنى عن الألباب ، ولـكان الاستماع يغنى عن التدبر . وقال الله تعالى : (س ١٦ آ ٨٩) « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ » . وقد علم أن ذلك البيان ليس كله منصوصاً عليه فى ظاهر القرآن ، ولـكن منه ظاهراً لا كلفة فى الوقوف عليه ؛ ومنه مايتكلفُ استدراكه بضربٍ من النظر .

فإن قيل : أليس قال الله تعالى : (س ٢٩ آ ٥١) « أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ » . فمن لم يكتف بما أنزل الله من كتابه فلا كُفِى .

قلنا : إنما ذلك فى الحجة على نبوته صلى الله عليه وسلم . ولعمرى إن القرآن بنظمه المعجز كاف فى ذلك ، ومعلوم أنه لا كفاية له[3] بظاهر القرآن عن تعلم السنة ، فإن من سمِع فى القرآن : (س ٢ آ ٤٣) « أَقِيمُوا الصَّلَاةَ » ، لم تكفه ذلك عن تعلم مابيّن الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من أركان الصلاة ومواقيتها ، وعدد ركعاتها . وكذلك فى قوله : (س ٢ آ ٤٣) « وَآتُوا الزَّكَاةَ »

---

(١) أى القرآن

(٢) كذلك فى الأصل والصواب : وماهو نعتها من الاستماع .

(٣) فى الأصل : لا كفاية إليه :

وقوله : (س ٢ آ ١٨٣) « كُتِبَ عَلَيكُمُ ٱلصِّيَامُ » ، ونحو ذلك .

فإن قيل : أليس قد قال الله تعالى : (س ١٦ آ ٤٤) « وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَانُزِّلَ إِلَيْهِمْ » . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان مانزل إليهم .

قلنا : بلى .

فإن قيل : فهلا اقتصرتم على مابينه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما حاجتكم إلى زيادة تكليف على ذلك ؟

قلنا : لأنه لا ينكر أن يكون بيان الرسول صلى الله عليه وسلم قد كان على حسَب الحاجة فى ذلك الوقت ولأولئك القوم . ثم احتاج مَنْ بَعدَهُم إلى زيادة بيان ، و يجوز أن يكون فى بيانه صلى الله عليه وسلم ضربٌ من الإجمال ، ثم الحاجة ماسة إلى نظر يفصِّل ماأجمله كما أنه قال تعالى (س ١٦ آ ٨٩) : « تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ » . وكانت الحاجة قائمة إلى بيان الرسول صلى الله عليه وسلم بتفصيل ما أجمله القرآن .

فأمّا . ماروى عن أبى بكر رضى الله عنه من إعظامه القول فى القرآن فإن له وجوهاً ثلاثة .

أحدها : أنه رضى الله عنه قد كان فى أول ماقام بالأمر ، وخرج الرسول صلى الله عليه وسلم من بين الأمّة ولم يرد رضى الله عنه أن يطرق الناس عامة القول فى القرآن ، فيكون ذلك شيئاً يتعاطاه مَن لم يكن من أهله . سوى من اختصه الله بذلك من فضله . لأنك عرفت بعقلك إنه لم يحرم عليه من أمر السنة ، و بيان الشريعة التى يحتاج إليها الناسَ المجمل ذكرها فى القرآن ، واحتياجهم إلى الاستنباط إلا أنه سلك فيه سبيل الإحتياط نظراً للمخالفين ، فرضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة منقلبه ومأواه .

الثانى : يحتمل (أنّه) رضى الله عنه إنما قال ذلك فى أول وهلةٍ سئل عنه

فرأى فى ذلك الوقت لذلك الأمر ذلك الرأى . ثم إنه لمّا تدبر واجتهد فى الرأى . وتفكر وعلم أن الأمة لا غِنى بهم عن التفسير ، وَانه ان يبين لهم الإمساك عن إبانة مجملات الكتاب والاكتفاء بمهماتِ الخطاب ، فإن ذلك يؤدى إلى الخلل فى القول والعمل ، فصار بعدَ ذلك إلى التفسير كما روى عنه فى تفسير الكلالة . وقد تعرض للمجتهد فى اجتهاده الرأى فى حَادثٍ أَحوَال يَكون فى بعضها مُقْدِمًا ، وفى بعضها منكراً ، وفى بعضها راجعاً إلى أن يستقيم به الأمر ويؤديه الرأى إلى مايراه صواباً ، فيقوم عليه ويناضل عنه ويدعُوا إليه ، كما كان منه فى أمر تأليف المصاحف من الانكار على عمر رضى الله عنهما أولاً ، ثم الرجوع إلى قوله آخراً لمّا رآه الأصوب كما ذكرناه .

والَّذِى يؤيد هذا الوجه قول عمر رضى الله عنه على منبر المدينة : أن النبىّ صلى الله عليه وسلم لم يعهد إلينا فى ثلاث: الجد ، والكلالة ، وأبواب من أبواب الربو .

وعن عمرو بن مرّة قال: سمعت محمد بن شراحيل يقول: قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : والله لأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم بيّن لنا ثلاثاً أحبّ إلينا من الدنيا : الخِلافة ، والكلالة ، والربو . فقلت : ياأبا شراحيل ، ومَا يشكل عليك من الكلالة ماخلا الولد والأب ؛ فقال : لَا والله إن كانوا يشكون فى الأب

الثالث : ويؤيد ماظناه[1] أنه روى أن عمر رضى الله عنه التبس عليه معنى الحرج فقال : ابغوا إلىّ أعرابياً واجعلوه من بنى كنانة مُدلجياً ، فأُتىَ براعٍ من بنى مدلج فقال : مَا الحرجة فيكم ؟ . فقال : الشجرة التى لاتصل إليها راعية ولا وحشية . فقال عمر : فكذلك قلب الكافر لا تصل إليه المعرفة والرغبة فى الإسلام ، كما لاتصل الراعية إلى الموضع الذى التف فيه الشجر . وكأن الحرج جماعَة شجر ملتف له شوك . وقال بعض العلماء : ماروى فى كراهة التفسير فعلى جهات :

---

(١) يعنى : ما قلناه

إحداها : أن تفسر ذلك بأحاديث منفردةٍ على الجزم والقطع لا على أن ذلك كما روى والآية تحتملُ غيره . أو على الجهل بكلام العرب وحجج العقول . فأما على الوجه الآخر من اشتراط معانى لفظه من ألفاظ اللغة وأحكامه من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم وتعميم خاصِّه ، وتخصيص عامّه ، و إجازة ما احتمل المعانى ورد ذلك إلى أنه يجوز أن يكون أحد تلك المعانى بغير قطع ، أو كلها إن كانت جائزة . ورد ذلك إلى الله عز وجل إذ لم يُصمِّم على شىء من ذلك ، وليس فى ظاهر الآية دلالة عليه ، فذلك هو الجائز .

الرابع : قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن الهيصم رضى الله عنه . قال ذلك رضى الله عنه مع معرفته باللغة ، وتلقنه الوحى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاها[١] ، ومشاهدته الأحوال التى نزل فيها القرآن ، ولا موضع للظن فيه بأنه جهل معنى ما سئل عنه من لغة العرب . فلقد فسره المفسرون بعده فقالوا « مُقِيتاً »[٢] . أى حافظاً مقتدراً ، واستشهد أصحاب المعانى على ذلك أبياتاً[٣] نحو ما قال الشاعر :

فَلَسْنَا نَعْبُدُ الأَصْنَامَ جَهْلاً وَلَكِنْ نَعْبُدُ اللهَ الْمُقِيتَا

وقال أبو سفيان بن الحارث :

فَلَسْتَ الْمُقِيتَ عَلَى أَمْرِهِمْ وَلاَ بِالْمَلِيكِ وَلاَ الْمُقْتَدِرْ

وقال تأبّطَ شرًّا :

تَجَلَّدْ وَلاَ تَجْزَعْ وَكُنْ ذَا حَفِيظَةٍ فَإِنِّي عَلَى مَا سَاءَهُمْ لَمُقِيتُ

---

(١) فى الأصل : كفاحاً

(٢) يعنى فى س ٤ آ ٨٥ .

(٣) يعنى : بأبيات .

وقال الآخر[١] :

لَيتَ شِعْرِى وَأَشْعُرَنَّ إذَا مَا قَرَّبُوهَا مَنْشُورَةً وَدُعِيتُ
أَلِىَ الْفَضْلُ أَمْ عَلَىَّ إِذَا حُو سِبْتُ إِنِّي عَلَى الْحِسَابِ مُقِيتُ

ولكن الذى نظنه بأبى بكر رضى الله عنه أنه عظم فى صدره القرآن ، وجلّ قدره عن أن يتكلم فيه لغير موضع الحاجة التى لابدّ منها ، ولم يأمن أنه إن أبدل بهذه اللفظةِ لفظةً أخرى لَعلها لا تقع موقع الأُولى فى إبلاغ الوصف ، أوَلا ترى أنك تقول : رجل جوادٌ ، سخىٌّ ، سمحٌ ، معط ، باذل ، منفق ، فتفيد هذه الأوصاف كلها معنىً متقارباً ، إلا أن بعضها أبلغ فى المدح وأتم فى الوصف ، لأنه ليس قولك : معطٍ فى إبلاغ المدح بمنزلة قولك : جواد .

وكذلك قولك : رجل محسن ، مفضل ، كريم . فترجع الأوصافُ إلى معنىً واحدٍ ، وبعضها أتم وأبلغ . ولو قلت : رجل بخيل ، شحيح ، ضنين ، ممسك ، كزنكدٍ ، تفاوتت العبارات فى الإبلاغ والتقصير مع رجوعها إلى معنى واحد وهو البخل . فعلى هذا النحو سَبيل مايعبَّرُ عنه من كلمات القرآن وألفاظه بلفظ آخر إرادة البيان والإيضاح ، فبالحرى أن لا يقع اللفظ المعبَّرُ به فى كل موضع وفقاً ماعُبّر عنه وإن قاربه فى المعنى .

أو لا ترى ماقاله المفسرون فى قوله : « اَلْحَمْدُ لِلهِ » . معناه : الشكر لله . أنه وإن كان كل واحدٍ من اللفظين قد يُعبّر عن الآخر فى تعارف الناس ، وإن كثيراً من أهل التحصيل فرقوا بين الحمد والشكر بفروقٍ جمّةٍ ليس هاهُنا موضعُ ذكرها ، وكذلك الشحُّ والبخل .

وقد روى عن أبى الشعثاء أنه قال : قلت لعبدالله بن مسعُود : يا أبا عبدالرحمن : إنى أخافُ أن أكون قد هلكتُ ، قال : ولم ذاك ؟ ! قال : قلت لأنى سمعتُ الله

---

(١) وهو السموءل بن عاديا . انظر ديوان السموءل (بيروت ١٩٢٠) ص ١٣ و ١٤

يقول : (س ٥٩ آ ٩) « وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ » . وأنا رجلٌ شحيحٌ لا يكاد يخرج من يدَى شئ . قال : ليس ذلك الشح الذى ذكره الله تعالى فى القرآن ، ولكن الشح أن تأكل مال أخيك ظلماً ، ولكن ذاك البخل ، و بئس الشىء البخل .

وروى عن البراء بن عازب قال : جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : علمنى عملاً يُدخلنى الله به الجنة . قال : لئن كنت أقصرت الخطبة لقد عرضت المسألة ، إعتق النسمة ، وفك الرقبة . قال : أوَ ليسا واحداً ؟ قال : لا ، عتق النسمة أن تنفردَ بعتقها ، وفَكُّ الرقبة أن تُعين فى ثمنها .

وحُكِىَ أن النّضرَ بن شُمَيل دخل على المأمون عند مقدَمه مرو ، فمثل بين يديه وسلم ، فقال له المأمون : اجلس . فقال : لا أقول إن أمير المؤمنين لحن ، ولكن الجلوسُ عَن اضطِجاع . قال : فكيف تقول ؟ قال : قل اقعُدْ . فإن القعُودَ عن القيام ، فأمر له بجائزة .

قلتَ : و يعتبر ذلك بالمقابلة ، فإنك تقول : القيامُ وَالقعودُ فتقابل بينهما ، ولا تقول القيام والجلوس . وكذلك تقابل الحمد ، بالذمِّ أو اللوم ، وتقابل الشكر بالكفران ، وأمثال هذه من الألفاظ المتقاربة فى الاستعمال المفارقة فى المعنى كثيرة . وكذلك الألفاظ المشتركة فى المعنى ، و بعضها أوعب له وأوفى للإبانة عنه كثيرة جداً . فعلى هذه السَّبيل امتنع أبو بكر رضى الله عنه من أن يتكلم فيما سئل عنه ، وقد علم أن بالسائل غنى عن سؤاله ، إذ ليس ذلك أمراً يحتاج إلى أمثاله ، ولاهو نهى يلزمه اُجتنابه ، و إنما هو ثناء على الله عز وجل ، وأولى به أن يترك على ماأنزله الله تعالى فى كتابه . وكذلك ما روى عن عمر رضى الله عنه فى الأبّ[1] ، فقد علِم عمر رضى الله عنه أن الأبّ ضرب من النبت . وليس يضر الرجل أن يعرف جميع أنواع النبات بإعيانها ، ولن تلحقه نقيصة ، مع أننا لا ننكر أن يشذَّ

---

(١) يعنى فى س ٨٠ آ ٣١ .

عن الفصيح فى اللغة البارع فيها[١] وقد يعرفه من هو دونه فى الفصاحة والبراعة.

وأما ماروى عن عائشة رضى الله عنها، فإن ذلك يدل على أنه عليه السلام كان يحتاج مع ماأنزل عليه من القرآن إلى تفسير آيات يعلمهنَّ إياه جبريل عليه السلام. وذلك لما كان جبريل يشاهد من الأحوال مالم يكن يشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكذلك الصحابة رضى الله عنهم قد شاهدت أحوالا لم يشاهِدْهَا مَن بعْدَهم، فلا ينكر أن يحتاج مَن بعدهم إلى تفسيرهن.

وقلنا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفسر إلاَّ آياء معدودة من قبله. إن الذين شاهدوا نزول القرآن نجماً نجماً[٢]، وعاينوا الحوادث التى نزل فيها، وعرفوا المتقدم فيه والمتأخر، لم يحتاجوا فى بيان أحكامه فى بَابِ الخصوص، والعموم، والناسخ والمنسوخ إلى مايحتاج إليه من بعدهم ممن لم يشاهد تلك الأحوال، لاسيَّما وهم أرباب اللغة العربية التى نزل بها القرآن. قد نشأُوا عليها حتى كانت لهم طباعاً[٣] مُسلحاً لم ينكت[٤] فيه مِرَاسُ لُغَة أخرى بفساد، فمَا الذى كان يُحوجُهم إلى تفسير مايتلى عليهم ممَّاهم بحقيقته عارفون إلا آياء معدودةً قد أجملت فيها أحكام الشريعة بحيث لا يوقف عليه إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم. وما الذى يغنينا عن طلب ماعرفوه لمشاهدة أحوال النزول؟ ولسلامة طباعهم فى اللغة العربية بما أمكنا من شدة الجهد لعلنا نقف من ذلك بَعدَ الجهد على بَعضِ ما كانوا يقفون عليه عفواً.

وأما: ماذكروه من امتناع من امتنع من القول فى التفسير، فإن ذلك بمنزلة من امتنع منهم عن الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا فيما لم يجد عنه

---

(١) فى الأصل: فيها بعضها مما قد.

(٢) يعنى نجوما نجوما.

(٣) هكذا فى الأصل والصواب: طبعاً

(٤) أى يوثر

بدأً . ولذلك قلّت روايات رجالٍ من أكابر الصحابة رضى الله عنهم ، وممن لم يفارقوه فى حالاته كمثل : عثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوّام ، وغيرهم رضوان الله عليهم .

وروى عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه قال : قلت للزبير : مالى لا أسمعك تُحَدّثُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أسمع ابن مسعود ، وفلاناً ، وفلاناً ؟ فقال : أمَا إنى لم أفارقه منذ أسلمت ، ولكنى سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .

وروى عن داود بن خالدٍ أنه مرَّ ، هو ورجل معه ، على ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، فقال له ذلك الرجل : والله إنّا لنجد عند غيرك من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا نجد عندك . فقال ربيعة : ماعندهم شيء إلا وقد سمعت منه ، ولكنى سمعت رجلاً من آل الهُدَير يقول : صحِبتُ طلحة بن عبيد الله وما سمعته يحدثُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حديثاً واحداً . قلت : ماهو ؟ قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نريدُ قبور الشهداء ، حتى إذا تدَلينا مِن واقِمٍ إذا قبورٌ بمُحنِيةٍ . قلنا يارسول الله : هذه قبور إخواننا ؟ . قال : هذه قبور أصحابنا . فلما جئنا قبورَ الشهداء قال : هذه قبور إخواننا .

وروى عبد الرزاق ، عن معمرٍ ، عن الزهرىّ قال : قال أبو هريرة لمّا ولّىَ عمرُ قال : أَقِلُّوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا فيما يعمل به .

قلت : ولم يكن امتناعُهم من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الإنكار على من روى ، ولكن على سبيل الإعظام لذلك ، واغتنام السلامة إذا وجدوا من قد كفاهم ذلك من غيرهم . فكذلك امتناع من امتنع منهم من أن يتكلم فى كتاب الله عز وجل ، وإنما هو حيث لم تمسَّ إليه حاجة وكان غيره يكفيه مايحتاج إليه من ذلك .

وروى عن عبد الرزاق ، عن معمرٍ ، عن على بن زيد بن جدعان ، عن

أبى نضرة قال : كنا عند عمران بن حصين فكنَّا نتذاكر العلم. قال: فقال رجل : لاتتحدثوا إلا بما فى القرآن . فقال له عمران بن حصين : إنك لأحمقُ . أوَجدت فى القرآن صلاة الظهر أربع ركعاتٍ لا يُجهر بالقراءة فى شىء منها ؟ والمغرب ثلاثاً يجهر بالقراءة فى ركعتين ، ولا يجهر بالقراءة فى ركعة ؟ والفجر ركعتين يجهر فيهما بالقراءة ؟ قال علي : وَلَمْ يكن الرجل الذى قال هذا صَاحبَ هَذْى ، ولكنها كانت منه زلة قال: ثم قال عمران لى : مانحن فيه يَعدِل القرآن ، أو نحوٍ هذا الكلام .

قلت : ولقد صدق عمران فأحسن التنبيه على موضع الحاجة إلى تفسير مجملات القرآن . ولم يأل فقهاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم بياناً كانت الحاجة له[1] فى كل زمان . وهذا عبد الله بن عباس لم يدع آيةً فى القرآن إلا وقد ذكر من تفسيرها على مَا روتْ عنه الرواة . ولذلك قيل : اُبن عباس ترجمان القرآن .

وروى عن اُبن أبى مليكة قال : رأيت مجاهداً يسأل اُبن عباسٍ فى تفسير القرآن ومعه الواحد . قال: فيقول له اُبن عباسٍ : اكتُبه حتى سأله عن التفسير كله.

وروى عن سعيد بن جبير أنه قال : من قرأ القرآن ولم يفسره كان كالأعمى أو كالأعرابى .

وروى مسلم عن مسروق قال : كان عبد الله يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها و يفسرها عامة النهار ، وعن أبى عبد الرحمن قال : حدثونا الذين كانوايقرؤوننا أنهم كانوا يستقرءون من النبى صلى الله عليه وسلم ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوهَا حتى يعلموا مافيها من العمل ؛ فيعلمُوا القرآن والعمل جميعاً .

وعن اُبن مسعود قال : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن .

---

(١) فى الأصل : بياناً له مقدار الحاجة وكانت له .

قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن الهيصَم : ولست أنكر أن يكون من القرآن ماقد استأثر الله تعالى بعلمه . فلم يجعل لنا إلى الوقوف عليه سبيلا . وذلك فيما لم يلزمنا فيه أمر ولا نهى . وإنما أراد أن يتعبدنا بالإيمان به . والتسليم له جملةً .

وقد روى عن الربيع بن خثيم أن الله أنزل هذا القرآن بعلمه ، واستأثر بعلم ما شاء وأطلعكم على علم ماشاء منه . فأما الذى استأثره به لنفسه فلستم بنائليه ، ولا تسألون عنه . وأما الذى أطلعكم عليه من علمه ، فالذى تسألون عنه ، وتجزون به . وماَ كل القرآن تعلمون . ولا كل ماتعلمون تعقلون . ثم قال رضى الله عنه : أما الذى استأثر الله تعالى به من القرآن حتى لم يجعل إليه سبيلا ، لا تحقيق علم ، ولا تجبير رأى . فمثله ما أخبر من أنه خلق آدم بيديه ، وما ذكر فى مجيئه يوم القيامة ، فإنه لا يصح تحقيق اليدين له على ما نعقله من الجارحتين المهيَّأتين بهيئة مخصوصة . ولاَ يَصح شيء ممـا تأوله عليه أهل الخلاف من معنى القوة والنعمة . وما قيل : إن ذكر اليدين صلة لا عبرة به لمـا فى ذلك من إبطال التخصيص الذى خص به آدم عليه السلام . وكذلك لا نجوز تحقيق مجيئه على ما نعقلهُ من زوال عن مكان إلى مكان ، ولـكنا نؤمن بذلك ونحوه ، ونذر تأويل ذلك إلى الله عز وجل .

ومما استأثر الله تعالى بعلمه : أوقاتُ ماوعد من الـكوائن فإنهم أوقاتها . نحو قيام الساعة ، ونزول عيسى ، وطلوع الشمس من مغربها ، وبمنزلة مافى كل شيء من أمور الشريعة من المصلحة فإن الـكثير من ذلك لايحققه إلا الله تعالى .

وأما الذى أطلعنا عليه فإن منها أحكاماً عقلية قد سهل فى العقل لنا سبيل الوقوف عليها . وكان ماورد فى القرآن زيادة تأكيد لها وتنبيهاً على أتباع العقل فيها ، وتفسير ماجرى هذا المجرى من آيات القرآن لمن أعمل عقله سهل ممكن ، ومنها أحكام شرعية قد أجملها الله تعالى فى القرآن ، فلا تفسير إلى شيء منها إلا بما ينزل الله من بيانه على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم . نحو قوله تعالى : (س ٢ آ ٨٣) « وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَآتوا الزَّكَاةَ » . وقوله تعالى : (س ٣ آ ٩٧)

« وَلِلهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ » . وقوله تعالى : (س ٦ آ ١٤١) « وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ » . ونحو ذلك من الأمور المجملة التى لو تركنا وظاهر القرآن لم يكن يمكننا الوقوف على المراد منها . ففسرها النبى صلى الله عليه وسلم بأن ذكر أركان الصلاة وشرائطها ، ومقادير الزكوٰت وَمَا تجب هى فيه ، وكيفية الحج ، وحق الله فى الحبوب . قوله تعالى : (س ١٦ آ ٤٤) « وَأَنْزَلْنَا إِلَيكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ » . وإنما كان صلى الله عليه وسلم يفسر مايوحى الله . قال الله تعالى : (س ٥٣ آ ٣) « وَمَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوَى » . وقال : (س ٧٥ آ ١٩) « ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ » . وهـذا الوجه من التفسير الذى هو بيان المجملات لم يكن ليصح من أحد إلا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ هو السفير بين الله و بين عباده .

ثم إن سائر العلماء يبينون مايثبتُ عندهم من جهته صلى الله عليه وسلم . ووجه آخر من التفسير أن يبين الناسخ والمنسوخ من أحكام القرآن ومَا هوَ حَتم من الأوامر ، أو ترغيب ، أو تأديب . وما هو عَام من الأخبار أو خاصٌ . ويقطع على مراد الله تعالى من كل شىء من ذلك . وما كان من هذا الوجه فان أولئك الذين شاهدوا الأحوال وعرفوا سبب نزول الآيات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم الذين بعدهم ممن كانوا من علم تلك الأحوال بمنزلة من شاهدَها لقرب عهدهم بها ، واستفاضة أخبارها لديهم وهم التابعون ، ومَن كان يَجُوز لهم تفسير آيات القرآن على مقتضى ما شاهدوه وعرفوه من أسباب نزولها وأحوال من نزلت فيهم . وليس لمن بَعدَهم ممن لم يتحققوا تلك الأحوَالَ ، إلا بأخبار تنقل إليهم على ألسِنَة الرواة مما لايقطع على مغيَّبه باليقين ، أن يتعاطوا هذا الوجه من التفسير ، وإنما عليهم أن يتبعُوا أولئك السابقين ويتطلبوا مذاهِبهم وأقوالهم فى ذلك ، فيأخذوا بما أجمعوا عليه أخذاً لامعدِلَ عنه ، وينظروا فيما اختلفوا فيه فيتخيَّروا ماهو أهنأ وأهدى ، وأوفق بالأصول . وهاهنا وجه آخرٌ ، هو أوسع مما تقدم ذكره مجالاً ، وأيسر حَالاً ، وهو حمل اللفظ على مايحتمله من مقتضى

لغة العَرب ، واستقراء الوجوه الممكنة فيه . وهذا هو التأويل المسَوَّغ لأهل العلم في كل وقتٍ وزمان .

ثم إن هذا المتأول ، إن وجد وراء اللفظ دَليلاً يقفه على بعض الوجوه التى احتملها اللفظ من قضاء العقل ، أو حجة إجماع ، أو من أمر سنة صار إلى مايوجبه الدليل ، وقطع على أنه الوجه المراد من الآية دون غيره ، و إن لم يجد دليلا موجباً لأحَدِ الوجوه اعتبر الوجوه التى احتملها اللفظ على وجه الامكان من غير قطع على شيء من مُغيَّب حكمه فاعرفه .

وقد أخبرناك فيما تقدم من كتابنا عن حالة اُبن عباس وتقدمه فى التفسير ، وتخصيص الله سبحانه إياه بهذا النوع الجليل الخطير ، وفيه قدوة لصَاحب الحجة والتبصير ، ثم من اشتهر بعلم التفسير من التابعين كسعيد بن جبيرٍ ، وعكرمة مولى اُبن عباس ، وليس بعكرمة بن أبى جَهل ، وكذلك أبو صالح باذام[1] ، ومن الناس من يقول باذان مولى أم هانىء ، ومجاهد بن جبير ، وأبو العالية الرياحى ، والضحّاك اُبن مزاحم ، وعلى بن أبى طلحة ، وأبو مخلد لاحق بن حميدٍ ، والحسن البصرى ، وقتادة بن دعامة . وهؤلاء كلهم أخذوا عن اُبن عباس ماخلا قتادة ، فإنه لم يعُرف له صحبة مع أحدٍ من الصحابة غير أنس بن مالك بن أبى الطفيل ، إلا أن يكون قد رأى بعضَهم ولم تكثر صحبته له ولا سماعه منه .

وكذلك الحسن فإنه لم تعرف له كثير صحبة مع اُبن عباس ، وإنما روى ماروى عنه من خُطب قام بها اُبن عباسٍ رضى الله عنه بالبصرة فيما يقال ، وروى عن عبد الملك بن ميسرة قال : لم يلق الضحاك اُبن عباس ، إنما لقى سعيد بن جبير بالرَّى فأخذ عنه . وهذا بعيد لكثرة ماروى الضحاك عن اُبن عباس من غير أن ذكر سعيد بن جبير ، ولم يكن الضحاك ممن يتهم بكذب أو تدليس .

وأما أبو صالح ؛ فإنه كان رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه . وقد

---

(١) وهو مولى أم هانىء انظر ميزان الاعتدال ٣ : ٣٦٥ .

روى عن ثابت ، عن أبي صالح مولى أمّ هانىء أنه اعتقته أمّ هانىء بنت أبي طالب . قال : وكنت أدخل عليها فى كل شهر أو شهرين دخلةً فدخلت عليها يوماً فبينا أنا عندها ، إذ دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يابن عمّى كبرتُ وَثقُلتُ ، وَضعُفَ عَقلى فهل من مجزىء ؟ فقال : إبشرى بأبوابه خير كبير ، (قولى) «الحمد لله» ماية مرة تكون عدل مائة رقبة ، وَكبّرى ماية مَرّة تكون عدل مائة فرس مسرجة ملجمة فى سبيل الله ، وسبحى الله مائة مرة تكون عدل مائة بدنةٍ مقلّدةٍ متقبّلةٍ ، وَهللى ماية مرة لايلحقك ذنب الاّ الشرك بالله .

ثم أن أبا صالح روى عنه محمد بن السائب الكلبيُّ ، ولقد كان مشهوراً بعلم التفسير والبراعة فيه . وقد روى عنه الأئمة ، ولو لم يكن له راو غير أبي يوسف قاضى القضاة لقد كان ذلك كافياً . وطعن فيه قوم وسموه كذاباً ، وهذا ممن قاله إقدام عظيم لما ذكرناه . وقد روى عنه سفيان الثورى ، ونظراؤه من العلماء الكبار من أهل الفقه والعلم ، ولم يطعن فيه . وروى عنه سفيان بن عيينة ، وهمام بن يحيى ، ومعمر بن أسيدٍ ، وحماد بن سلمة ، وهشيم بن بشير ، وأبو بكر بن عياشٍ ، وعبد الله أُبن المبارك ، ووكيع بن الجراح . وذكره أئمة أهل الأعراب مثل : الكسائى ، وأبى عبيدة ، والأخفش ، والفراء .

وفى الجملة : فان من طعن فيه ولم يبين المعنى الموجب لذلك ، فإنه لايقبل ذلك منه . فلسنا نأمن أن يكون الشيطان أغرى بين علماء كل عصر على سبيل التحاسد والتنافر ، كما أغرى بين بنى يعقوب من الأنبياء عليهم السلام ، وكما أغرى بين الحسن وأُبن سيرين من العلماء . مع أنه لم يذكر الكلبي فى تفسيره إلا وقد نقله الثِقاتُ من غيره . إلا أنه رضى الله عنه كان ممن سعى فى الرواياتِ ، ولم يكن غيره بذلك المحل ، فلذلك قيل فيه ومثله سَالم بنُ محلق . وممن اشتهر بالتفسير اسماعيل السدِىّ ، وَسَبيله الإيجاز دون البسط .

وقد ألف قومٌ كتبا فى التفسير على سبيل الرواية دون أن يتكلموا فيه بمنزلة

ما كان من وكيع بن الجراح الرواسى ، ومالك بن سليمان الهروى ، وعَبدُ بن حُميد ودونهم .

وألف قوم كتبا فى الغريب ، وفى المعانى ، والأعراب كما كان من أبى عبيدة ، والأخفش ، والفراء ، وقطرب ، والزجاج وغيرهم . وكل ذلك تأكيد لما قلناه من تحرج المتحرّج ، وتقدُّم المتقدِّم . ثم الذى يؤيد ذلك تأييداً وقوة ، وتأكيداً ، اشتشهادهم بالشعر . فلقد روى عن عكرمة أنه سئل عن الزنيم (س ٦٨ آ ١٣) . فقال : هو ولد الزنى . وتمثل ببيت شعرٍ :

زَنِيمٌ لَيْسَ يُعْرَفُ مَنْ أَبُوهُ بَغِىُّ ٱلْأُمِّ ذُو حَسَبٍ لَئِيمِ

وروى طلحة بن عمرٍو عن عطاء قال: سمعت اُبن عباس إذا سئل عن عربيَّة القرآن أنشد الشعر . فقيل له : مازنيم ؟ فقال :

زَنِيمٌ تَداعَاهُ الرِّجَالُ زِيادَةً كَمَا زِيدَ فى عَرْضِ ٱلْأَدِيمِ الْأَكارِعُ

وعن اُبن أبى مُلَيكة قال : سئل اُبن عباسٍ عن (س ٨٤ آ ١٧) « ٱللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ » . فقال : وما جمع ، أَلم تسمع قول الشاعر :

(إِنَّ لَنَا قَلَائِصًا حقَائِقا) مُسْتَوْسِقَاتٍ لِو يَجِدْنَ سَائِقَا[١]

وعن الأجلح ، عن عكرمة فى قوله تعالى : (س ٧٤ آ ٤) « وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » قال : على غير غدرة ، وغير فجرة . وقال : أما سمعت قول الشاعر :

وَإِنِّي بِحَمْدِ ٱللهِ لاَثَوْبَ فَاجِرٍ لَبِسْتُ وَلاَ مِنْ غَدْرَةٍ أَتَقَنَّعُ

وروى عن عمرو بن ميمون بن مهران قال : سمعت حاضراً ، أو أباحاضرٍ ، رجل من الأزد يقول : سمعت اُبن عباس يقول : إنى لجالس عندَ معاوية إذ قرأ هذه الآية (س ١٨ آ ٨٦) : « وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَامِئَةٍ[٢] » . فقلت :

---

(١) قائله العجاج . انظر ديوان العجاج (ed. Ahlwardt) ص ٨٤ .

(٢) انظر Materials ص ٥٧ .

مانقرؤها إلا «حَمِئَةٍ» . فقال معاوية لعبد الله بن عمر : وكيف تقرؤها ؟ فقال : كما قرأتها يا أمير المؤمنين . قال اُبن عباس : فقلت فى بيتى نزل القرآن . فأرسل معاوية إلى كعب فقال : أين تجد الشمس تغرب فى التوراة يا كعب ؟ فقال : أما العربية فأنتم أعلم بها ، وأما الشمس فإنى أجدها فى التوراة تغرب فى ماء وطين (١) وأشار كعب بيده إلى المغرب ، أما إنى لو كنت عندكما لرفدتك كلاماً تزداد بصيرة فى قولك «حمئة» . فقال اُبن عباس : وماهو؟ قلت : فيما عاش من قول تبع فيما ذكر ذو القرنين (٢) فى تخلقه بالعلم وابتغائه إياه ، هو قوله :

بَلغَ المشارقَ والمغَارِبَ يَبْتَغِى ... أسْبَابَ أَمْرٍ مِنْ حَـكِيم مُرْشِدِ (٣)

فرأى مغارَ الشمس عندَ غروبها ... فى عَيْنِ حمى خُلُبٍ وَثَأْط حَرْمَد (٤)

فقال اُبن عباسٍ : وما الخُلُبُ ؟ قُلتُ : الطين بكلامهم . قال : وما الثأْط ؟ قلت : الحمئة . قال : وما الحرمدُ ؟ قلت : الأسودُ ؟ قال : فدعا رجلاً أو غلاماً فقال : اكتب مايقول هذا . وروى عن معمر قال : سئل الحسَنُ عن المرأة من أهل الشرك تُسْبَىَ هل تحل أن يطأها من صارت إليه ؟ فقال الحسن : أما سمعت قول الشاعر :

وَذَاتَ حَلِيل أَنْـكَحَتْهَا رِمَاحُنا ... حَلاَلاً لِمَنْ يبنى بِهَا لَمْ تُطَلَّق

وعن أبى صالح قال : سمعت اُبن عباسٍ ينشد للناس هذا البيت فى قوله (س ١٤ آ ٤٨) : « يَوْمَ تُبدَّلُ ٱلأَرْضُ غَيْرَ ٱلأَرْضِ » .

وَمَا ٱلنَّاسُ بِالنَّاسِ ٱلذِّينَ عَهِدْتُهُمْ ... وَمَا ٱلدارُ بالدارِ ٱلَّتى كُنْتُ أَعْرِفُ

فــكل هذه الألفاظ والروايات تؤيد ماذكرناه من وجوب التفسير لمن بلغ ذلك المبلغ .

---

(١) المأثور عن كعب أنه قال : أجدها تغرب فى عين سوداء .

(٢) هكذا فى الأصل والصواب : عن ذى القرنين .

(٣) انظر لسان العرب ٩ : ١٣٥ .

(٤) وفى لسان العرب ٤ : ١٣٥ فى عين ذى خلب .

فإن قيل : هل يجوز لأهل العلم باللغة العربية أن يفسروا القرآن على شرائط اللغة ومعانى غريبها ؟

قلنا : أما ما كان تحت الكلام من المعانى الكبيرة التى تحتملها اللغة فعليه أن يفسر ذلك على مالا تدفعه حجج العقول . والحجة ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم والإجماع . لأن الله تعالى لم يرد ذلك ، و إنما أراد منه بعضاً دون بعض. وَأن يجوز واحد من ذلك على مايجوز فى اللغة العربية إذا كانت المعانى تتنافى ، ولا يجوز اجتماعها بدلا من صاحبها ، وأ كثر من واحد إذا كان يجوز اجتماعه ولا يتنافى . و إذا كان كله يجوز اجتماعه ووقوعه تحت الاسم والخبر ولم يأت دليل يدل على خصوصه لامن حجة عقل ، ولا كتاب،ولاسنة ، ولا إجماع ، ولا عادة فيجعله على عمومه . إذ كان الحكيم إنما أنزل كتابه بياناً للناس ولِيُنْذِرُوا به كما قال ، فلا يجوز أن يخاطبهم بما يوجب العموم ، وهو يريد الخصوص دون العموم ، ولا ينصب على تخصيصه دليلاً يدل على خصوصه . لأنهم كانوا[1] لايدرون مايقصدون مما أمرهم به أونهاهم عنه ، أو ما يرجون مما وعدهم ، أو ما يخافون ماتوعدَهُمْ به ، ولا مايتركون وَلا مَايعتقدون ، مما لا يعتْقدُونَ ،فإذا جاء العقل ، أو الكتاب ، أو السنة ، أو الإجماع ، أو العادة بدليل على تخصيص ما عم ، أو تعميم ما خص اتبع ذلك ، إذا كان تخصيص العام وتعميم الخاص بوضع أدلة على ذلك جائزاً غير منكر .

فمن ذلك قوله تعالى : (س ٣ آ ١٧٣) « ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ . إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَـكُمْ » . فقد خصّ دليل العادة بالعقل والإجماع وتواتر الخبر أنه ليس كل الناس قالوا ذلك . ولما قال تعالى : (س ٣٣ آ ٦٤) « إِنَّ ٱللهَ لَعَنَ ٱلْـكافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً » ، دل هذا العموم على عمومِه ، إذ لم يُخصَّ

---

(١) هكذا فى الأصل والصواب : إذن

بشىء . وكما قال تعالى : (س ٣٣ آ ١) « يَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ وَٱلْمُنَافِقِينَ » فدل حجة العقل ، والخبر ، والإجماع (على) أن هذا و إن خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم ، فإن المراد به العموم فوجب تعميمه ، و إن كان لفظه خاصاً . فإذا اختلف فى شىء هل هو خاص أو عامٌ جعلناهُ على ظاهر لفظه من تخصيص أو تعميم إلا أن يقوم الدليل بأنه خلاف ظاهر لفظه . والدليل على ذلك أن الله تعالى قال : (س ١٤ آ ٤) « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ » . وقال تعالى : (س ١٩ آ ٩٧) « فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُداً » . ولقد تعيَّبه قوم ، منهم : عبد الله بن الزبعرى لما قال تعالى (س٢١ آ ٩٨) « إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ » فسمعوا هذا فقالوا : قد عبدت الملائكة ، وعبد المسيح فوجب أنهم معذبون ، وأغفلوا مافى عقولهم من الدليل على تخصيص ماعم باللفظتين أن الله لاتزر عنده وازرة وزر أخرى (س ٦ آ ١٦٤) ، فنبهم على ماتركوا من هذا الدليل ، وقال لهم بعقبه (س٢٠ آ ١٠١) « إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا ٱلْحُسْنَى » إلى قوله « خَالِدُونَ »

ومن الدليل على ذلك أيضاً إجماع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على تفسير القرآن على شرائط اللغة . ومن ذلك حديث اُبن عباس فى ليلة القدر (س ٩٧ آ ١) ، وقوله : إنها ليلة سبع وعشرينَ ، بين يدى عمر بن الخطاب رضى الله عنه والأشياخ من الصحابة ، فاستحسنَ قوله ، وأُخذ برأيه وما تعقبه أحد منهم فيه ، كما ذكرناه فى الفصل الثالث ، مع كثرة ماروى عن اُبن عباس فى تفسير القرآن بالأسانيد المتصلة ، وأنه فسر القرآن حرفاً حرفاً . وأنه فسر (س ٤٢ آ ١١) « فَاطِرُ ٱلسَّمَوَاتِ » ، خالق السموات ، لقول رجل من العرب : هذا بئرى وأنا فطرتها . مع نظائر كثيرة من[1] تفسير التابعين لذلك كالحسن ،

---

(١) فى الأصل : لذلك من .

ومجاهد ، وعكرمة ، وعطاء ، وقتادة . وهذا يدل على أن الذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وعائشة ، وعمر ، وابن عباسٍ ، وعمر بن عبد العزيز أنهم قالوا : لايعلم تأويل القرآن إلا الله ، والراسخون فى العلم لايعلمون تأويله ، وإنما كان رسوخهم فى العلم أن آمنوا بمحكمِه ومتشابهه ، لا أنهم عرفوا تأويلَه غلط . وإذا كان أهل الرسوخ لا يعلمون تأويله فمن دونهم من تأويله أبعدُ . ولو كان الأمر على ما ظنوا بما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعائشة ، وابن عباس ، وعمر بن عبد العزيز ، لم يكن لقول الله تعالى (س ٤٧ آ ٢٤) « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا » ، وقوله تعالى : (س ٣٨ آ ٢٩) « كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا » ، وقوله تعالى: (س ١٤ آ ٤) : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ » ، معنًى يعقل . لأن أهل الرسُوخ فى العلم إذا كانوا لا يصلون إلى معرفة تأويله ، ولم يجعل لهم السبيل إليه ، ولاَ دَليلَ عليه[1] فما يغنى عنهم تدبره وانه نزل بلسانهم وهم لا يعلمون بتدبرهم إياه شيئاً من تأويله .

ولو كان هذا هكذا كانَ الله تعالى ندب عبادَه إلى المحال الذى لايصح وجوده . وهذا منفىٌّ عن الله عزَ وَجل . فلما صح انكسارُه[2] فقول الله أولى أن يتبع ، لأنه الحق الذى لا شك فى حقيقته . وقد ندب الله تعالى خلقه إلى تدبر كتابه ، واستنباط مراده منه ، ولذلك فرض ذلك عليهم ، وما كان ليفعل ذلك إلا وقد جعل لهم سبيلاً إلى العلم بمراده ، والا لم يكن لقول الله تعالى هذا معنى ، وهذا عن الله منفيٌّ ، ويصدق ذلك حديث ذكره جرير بن عبد الحميد ، عن العلاء بن المسيب ، عن أبيه المسيب بن رافع قال : لمَّا بعث الله نبيَّه

---

(١) هكذا فى الأصل والصواب : إلى الدليل عليه

(٢) أى بطلانه

صلى الله عليه وسلم قال : إنى منزل عليك نوراً تفتح به أعيُنًا عميًا ، وآذاناً صُماً ، وقلوباً غلفاً ، فيه ينابيع العلم ، وفهم الحكمة ، وربيع القلوب ، وهو أَحدث الكتب بالرحمن عهداً ، يفتح الله به أعيناً عمياً ، وقلوباً غلفاً . وآذاناً صماً . وقد قال الله تعالى (س ٣ آ ٩٣) « قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » . بعد أن قال : « كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ » ، إلى أن قال : « قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ » بَيانا لما ادعوا كذبَه بتلاوتها . ولا يكون ذلك بكتاب الله العربى المبين .

وقد روى عن مالك بن أنس ، عن هِشام بن عروة ، عن أبيه قال : قلت لعائشَة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وأنا يومئذ حديث السن : أرأيت قول الله تعالى : (س ٢ آ ١٥٨) « إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللّهِ » ، إلى أن قال : « فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا » .

قالت عائشة : لو كان كما تقول ، كانت : فلا جناح عليه ألاّ يطوَّف بهما . ألاَ ترى كيف استنبطت وأستدلت بظاهر اللفظ على شرائطِ اللغة العربية ؟ وفسرت الآية فاستبان بذلك رجحان ما ذكرناه لأنها رضوان الله عليها أجل من من أن تكره شيئاً وتنكره . ثم تصير إليه لترتكبه وتذكره .

فإن قيل : كيف جاز عندكم أن يسوغ الله الاختلاف فى الأحكام التى قد بيَّن ذكرها فى الكتاب بالتأويل ؟ وهل يجوز ذلك فى الحكمة ؟ فإنهُ قد صح فى الرواية المتظاهرة أن الصحابة رضى الله عنهم ومن بعدهم قد إختلفوا فى ذلك الإختلاف الظاهر المكشوف الذى لا يجوز أن يكون ما نقل عنهم منه باطلاً .

قلنا : أما الرواية بذلك عمن ذكرتَ فصحيحة لا تدفع . وَأما جوازُ ذلك فإنه ليس بمنكر أن يجعل الله حكم عبدين فى حال ، أو عبدٍ واحدٍ فى حالين مختلفا ، لأن كل واحد منهما فرضه غير فرض الآخر ، وما يصلحُه فى ذلك من العبد

غير ما يُصلحُ له آخر[١] . وذلك كما جعل الله تعـالى حكم الطاهر فى الصلاة الواحدة غير حكم الحائض فيها ، وحكم المقيم غير حكم المسافر ، وحكم أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم فى تحريم الصدقة غير حكم غيرهم . فلما كان ذلك فى المنصوص عليه غير متناقضٍ ولا متنافٍ ، جاز أن يبيح الله تعالى من الإجتهاد ما يُؤدِّى إلى مثل ذلك الاختلاف الذى لَو نصَّ هو سبحانه عليه لم يكن ذلك مختلفاً ولا متناقضاً على الشريطة التى قلنا ، و إنما المتضاد المتناقض الذى لا تجوّز العقول أن يفرضه الله تعالى على عباده بنص ولا يبيح[٢] إجتهادات تؤدّى إليه . وهو : أن يفرض الله سبحانه على عبدٍ واحد فى وقتٍ واحدٍ من جهة واحدة حكمين مختلفين ينفى أحدهُما صَاحبَه ويُضادّه ، فيأمره بأن يأتى بهما جميعاً على تضادّهما وتنافيهما لا على أن يأتى بكلٍ واحدٍ منهما بدلاً من الآخر ، كما أنه خيَّرهم بين أن يقتلوا ، أو يمنّوا ، أو يُفدَوا ، و بين أن يفرقوا بين الحج والعمرة ، و بين أن يفردوا بدلاً من القرآن ، وما أشبه ذلك مما هو معروف فى أحكام الله تعالى . إن كان مَا ذكرنا مما لا يختلف ولا يتضادّ على عَبدَين فى حال ، أو على عبدٍ فى حالين ، أو على التخيير فى حالين لعبدٍ أن يأتى بكل واحدٍ من الحكمين المتضادين على البَدل ، ولم يكن فى فرضه على البدل بالنص تناقضٌ ، ولا صرفٌ من الحكمة ، جاز أن يتيح الله لعبادٍ مختلفين ، أو لعبدٍ واحدٍ فى أوقاتٍ مختلفة ، وحالات متباينة ، اجتهاداتٍ تؤدى إلى مثل ذلك الذى لو فرضه هو ، تبـارك وتعالى ، لم يكن فى العقل قبيحاً ، ولا فى الأحكام متناقضاً . لأنه سواء قلتُ لك فى حكم العقل : إفعل كذا بالنص والتوقيف ، أو أبحلك من الرأى ما أَعلم أنه سيؤديك إلى ذلك الذى كنت أقفك عليه وانعتُه لك .

---

(١) كذلك فى الأصل والصواب : منه فى آخر .

(٢) فى الأصل : لا اباحة

فإن قيل : هذا و إن كان حقاً أفليس لَو نص عليه كان أبلغ فى الحجة وأشفى للصدور فى تيقن الصواب ؟

قلنا : ماعَلِمَ الله تعالى أن الأصلح فيه ذلك ، فقد نصّ عليه ووقفه من الأحكام المنصوصة فى الكتاب والسنة ، وما علم أن تكليف الآراء فيه واستخراج المعانى أروض لطباعهم ،وأدعى لهم إلى التنافس فى العلم والاشتغال بنيل درجة بعدَ درجةٍ أصلحُ ، فهذا الذى تركهم فيه واجتهاداتهم . وجعل فرض كل واحدٍ منهم هو ما أدّاه إليه اجتهاده دون اجتهاد غيره من تأويل كتاب أو سنة ، واستخراج معنًى فى مثلٍ قد ضَرَبه لهم فى الأصول ليمثلوا على مثاله ، و يقيسوا عليه اجتهادهم .

وقلنا : إنه قد فعل ذلك بعد تجويزه فى العقول لاجتماع الحجة على ذلك وتركه المختلفين يُفتون الناس بتلك الآراء المختلفة و يقضون عليهم بها(١)، ولو كان خطأً من بعضهم كان سبيله أن يُنهى عنه قائله والمفتِى به ، ولَا يُحْمَل أحد قضِىَ به عليه على إلزامه نفسه ، فلما أجمعوا على إجازة ذلك وتصويبه ، علمنا أنهم لم يفعلوا ذلك إلا بتوقيفه من الرسول صلى الله عليه وسلم ، بما أجرى به عاداتهم فى حياته ، وعند غيبهم عنه ، إلى الأمصار النائية أن يحكموا بمثل ذلك . وَقَد رويت فى ذلك الأخبار الكثيرة التى أهمها عندنا هذا الإجماع الذى ذكرنا ، وقد كانت ترويه من طرق الآحادُ ، وإنما حدثت الحوادث بعده ، ولمـّا لقنُوا ذلك عَنه فى حيَاتِه جَدّوا على ذلك غير مستوحشِينَ من ركوبه ، ولا متأثمينَ فى القضاء به و إلزامه من أباهُ من(٢) إباحَةَ الفروج ، وسفك الدماء ، وأخذ الأموال ، وما يجوز فيه الصلح من المواريث ، ومالا يجوز ذلك فيه من الحدود والتحرير للرقاب ، و إباحة الفروج وحَظرها بتلك الاجتهاداتِ المختلفة ، والآراء المتباينَة . لأنها فى أحكام العقول على مابيّنا غير متناقضة ولا متنافية ، وفى أحكام السنة الإباحة لها ثابتة ، لأنهم كانوا

---

(١) فى الأصل : بها ويأولونهم ليتحملوا الناس ولو كان .

(٢) بيان للحوادث فى قوله : وإنما حدثت الحوادث .

أورع وأخوف لله ،وأشد توقياً من أن يفعلوا ذلك من غير إباحة، بَعد أن حظر عليهم أن يقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق[١] ، و (س ٢ آ ١٨٨) « وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ » ، وأن يحفظوا فروجهم ، و يغضوا أبصارهم[٢] . فلمَّا رأينا ذلك فى العلماء وأهل الورع ، والتقشف مجمعاً عليه[٣] بعد تجويزه بحجة العقل دل ذلك على صحة ماذكرناه . و بالله التوفيق .

---

(١) س ٦ آ ١٥١ .

(٢) س ٢٤ آ ٣٠ .

(٣) فى الأصل : عليه على وجوبه .

الفصل التاسع

فى نزول القرآن على سبعة أحرف وما قيل فى معانيه

ولمّا ذكرنا من تحرّجَ عن تفسير القرآن ، ومن لم يتحرّج عنه . وقلنا : الوجه فيه وأتْبَعناه بالفصول المتعلقة به ، امتدَّ بنا الكلام إلى بيان معنى قوله : أنزلَ القرآن على سبعة أحرف ، واختلاف الناس فيه .

أخبرنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن الهيصم رضى الله عنه إجازة قال : أخبرنا أبو على أحمد بن محمدٍ قال : حدثنا أبو سعيد الأصطخرى القاضى ، قال : حدثنا أحمد بن منصور الرمادىّ قال : حدثنا عبد الرزاق بن همَّام ، عن مَعمر ، عن الزهريّ ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ، وعبد الرحمن بن عبد القاهر أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول : مررت بهشام بن حكيم بن حزَام وهو يقرأ الفرقان (س ٢٥) فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستمعت قراءته ، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكدت أشاوره فى الصلاة فانتظرت حتى سلم ، فلما سلم لبَّبتهُ بردائه فقلت : من أقرأكَ هذه السورة التى أسمعك تقرؤها ؟ . قال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت له : كذبت فوالله ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهُو أقرأنى هذه السورة التى تقرأها . قال : فانطلقت أقودُه إلى النبى صلى الله عليه وسلم . فقلت : يارسول الله : إنى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروفٍ لم تقرئنيها ، وأنتَ أقرأتنى سورة الفرقان . قال : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أرسله ياعمر . اقرأ يا هشام . فقرأ عليه القراءة التى سمعت . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هكذا أُنزلت . ثم قال لى : اقرأ يا عمرُ . فقرأت القراءة التى أقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : هكذا أُنزلت . ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم : إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف فاقرأ منه ماتيسر .

قال : وأخبرنا أبو عليّ قال : حدثنا أبو سعيد ، قال : حدثنا الرّمَاديُّ قال : حدثنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : قال أبيُّ بن كعب : اختلفت أنا ورجل من أصحابى فى آية فترافعنا فيها إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : اقرأ يا أُبىُّ . فقرأت . ثم قال للآخر : إقرأ . فقرأ . فقال : كلا كما محسن مجمل . فقلتُ : ما كلانا محسن مجمل . قال : فدفع النبى صلى الله عليه وسلم فى صدرى وقال : أىْ أُبىُّ ، إن القرآن أُنزل علىَّ . فقيل لى أعَلَى حرف أم على حرفين ؟. فقلت : بل على حرَفَين . ثم قيـل لى : أعلى حرفين أم على أربعة أحرف ؟ . فقلت : بل على أربعة أحرف . فلم يزل بى حتى انتهى إلى سبعة أحرف كلها كافٍ شافٍ مالم تختم آية رحمة بآية عذابٍ ، أو آية عذاب بآية رحمة ، وإذا كانت عزيز حكيم . فقلت : سميع عليم فإن الله سميعٌ عليمٌ .

وعن زر بن حبيش ، عن أبى بن كَعبٍ قال : لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام ، فقال : ياجبريل ، إنى بعثت إلى أُمَّة أُميّين ، منهم العجوز والشيخُ الـكبير ، والغلام ، والجارية ، والرجل الذى لم يقرأ كتاباً قط . قال : يا محمد : إن القرآن أنزل على سبعة أحرف .

قلتُ : وقد تـكلم الناس فى السبعة الأحرف على ماقدمته ، فمن حملَهَا على المعانى ، قال : إنها وعدٌ ، ووعيدٌ ، وحلال ، وحرام ، ومواعظ ، وأمثال ، واحتجاج . ومنهم من قال : حلالٌ ، وحرامٌ ، وأمرٌ ، ونهىٌ ، وخبر ما كان ، وخبر مايـكون ، وأمثال .

وعن أُبن مسعود قال : نزل القرآن على خمسة أحرف ، حلالٌ ، وحَرَامٌ ، ومحكم ، ومتشابهٌ ، وأمثال ، فأحِلوُّا حلاله ، وحرموا حرامه ، واُعملوا بِمُحْـكَمِهِ ، وآمنوا بمتشابهه ، ، واُعتبروا بأمثاله .

وعن سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه ، عن عبد الله بن مسعود ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان الـكتاب الأول نزول من باب واحد ، وعلى حرف

واحد ، وأنزل القرآن على سبعة أبواب ، على سبعه أحرف : زاجرٍ ، وأمر ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه . وأمثال ، فأحلوا الحلال ، وحرموا الحرام ، واعملوا بالمحكم ، وآمنوا بالمتشابه ، واعتبروا بالأمثال ، فهو فى هذين الحديثين على اُعتبار معانيه دون ألفاظه إلاَّ أنه مقصورٌ فى أحدِهما على خمسة أحرف .

وقد يحتمل أن لا يكون المراد من ذكر الخمسة عند كثير من أهل العلم ، وكذلك ماذكر من السبعة الأحرف لاَيُوجبُ أن تكون حروف القرآن مقصورة عليهاَ . قالوا : وذلك بمنزلة قوله صلى الله عليه وسلم : خمس لا يعلمها إلا الله ، وليس يجب من ذلك أن يكون مايختص علمه بالله سبحانه مقصوراً على الخمس . وكقوله عز وجل (س ٩ آ ٨٠) « إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ » ، وليس تقنيطهم عن المغفرة مقصوراً على استغفاره لهم سبعين مرَّة ، حتى أنه لو زاد لغَفر لهم ، وعلى هذه الطريقة عند هؤلاء قد يمكن أن يكون للقرآن وجوه زائدة على الخمسة المذكورة فى الحديث ، وحروف زائدة على السبعة .

وعن الإمام الهادى أبى عبد الله محمد بن كرام رضى الله عنه : أن فى القرآن ناسخاً ومنسوخاً ، ومحكماً ومتشابهاً ، وأمثالاً ، ومواعظ ، ووعداً ووعيداً ، وأمراً ونهياً ، وخواصَّ وعوامَّ ، وتعظيم الربِّ تبارك وتعالى على ثلاثة عشر حرفاً ، والإيمان بهذه كلها ، والعمل بناسخها ومحكمها ، ولا يعمل بمنسوخها ومتشابِهِهاَ ، ألا لا تفسروا القرآن برأيكم كما فسر أهل الأهواء .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : من فسر القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار . و إنما ذكر الإمام الهَادِى رضى الله عنه هذا الفصل عقيب مارَوَى حديث اُبن مسعود قال : نزل القرآن على خمسة أحرف ، لكل حرف منها ظهر و بطن ، فيحتمل أن يكون قد ذهب رحمه الله إلى أن ذكر الحروف الخمسة والسبعة لاَيُوجب الاقتصار عليها على ماقدمناه . و يحتمل أن يكون قد قصد من الوجوه التى ذكرها شرح الوجوه الخمسة من قَبلِ أن الأمر والنهى قد يَدخلان فى الناسخ والمنسوخ ؛

وكذلك يدخل الوعد ، والوعيد ، والمواعظ ، وتعظيم الرب فى المحكم والمتشابه . إذ لا تخلو جميعاً من أحد أمرين . وكذلك يدخل فى الخاص والعام ، وتدخل الأمثال فى المواعظ ، إلا أنه قد يعرفُ الأمر والنهى من لاَ يعرف الناسخ والمنسوخَ . وكذلك قد يَعرِ فُهما وغيرها من الوعدِ والوَعيدِ مَن لايعرف حكم العام من الخاص ، فقد صار كل واحدٍ مما ذكر وجهاً عَلَى حيالِه يحتاج إلى معرفة منفردة وإن كانت داخلة فى الخمسة التى فى الحديث . وذلك بمنزلة من ذكر أسباع القرآن ؛ ثم ذكر السور . فإن عددَ السُّور يزيد على الأسباع ولكنهاداخلة فيها . وكذلك عدد الآيات يَزيدُ على السور وهى داخلة فيها ، فليس يمتنع على هذا الوجه أن يكون ذكر الخمسة الأوجه مستغرقاً لجميع القرآن ، وتكون السبعة الأحرف داخلة فيها .

ثم الأوجهُ الثلاثة ، وهى التى ذكرها الإمام الهادى رضى الله عنه ، داخلة فى السّبعة وفى الخمسة على ماذكرنا . إلا أنه يبعد أن يكون المراد من السبعة الأحرف ماذهبوا إليه من أن اُعتبار المعانى من حَلاَل ، وحرَام ، ووعد ، ووعيد ، ونحو ذلك من قبل أن الأخبار الواردة فيه من مخاصَمَة عمر بن الخطاب هشام بن حكيم حرَام ، واختلاف أُبيّ والأنصارىّ رضى الله عنهما فى القراءة يدل على أن اختلافهم كان فى الألفاظ دون المعانى . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : فاقرأ ما تيسَّر منه ، وقال : كلها كافٍ شافٍ . وقال لأبيّ : وإذا كانت عزيز حكيم ، فقلت : سميع عليم ، فإن الله سميع عليم . فدل ذلك على أن الرخصة فى تغيير اللفظ على وفاق من المعني . ويزيد ذلك وضوحاً مارواه زرٌ عن أُبىّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ياجبريل : لقد بعثت إلى قوم أُمّيِّين ، إلى آخر الخبر ، وذلك أن الأمر لايتسع على الأمّى بخلاف غيره باختلاف المعانى ، وألا يتسع عليه باختلاف الألفاظ وإبدال بَعضِهاَ ببعض حتى أنه إن كان لسانُه لايَطُوعُ للفظة استبدل بها غيرها مما ينوب منابهاَ فى المعنى . وما رفعهُ اُبن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم : يفرق فيه بين

السبعة الأبواب ، والسبعة الأحرف . فإنه يحتمل أن يكون ماذكر من الوجوه السبعة تفسيراً لسبعةِ الأبواب دون السبعة الأحرف . ثم إنّ جماعة من أهل العلم ذهبوا إلى أن اختلافهما على سبيل اختلاف لغة العرب . وذلك أن الله عز وجل أنزل القرآن على سبعة أوجه من لغات العرب متفرقة فى القرآن .

وروى عن أبى صالح ، عن ابن عباسٍ أنه قال : أُنزِل القرآن على سبعة أحرفٍ يردّدُ منها فى هوازن خمسة أحرف ، وفى سائر العرَب حرفان .

وقد ذكر فى غير هذا الحديث عن ابن عباس أنه قال : نزل القرآن على سبعة أحرفٍ ، خمسة منها للعجوز[1] من هوازن ، سعد بن بكر ، وَجشمِ بن بكر، ونصر بن مُعاوية ، وثقيف . ذكر خمسة أحرفٍ ، فنسبها إلى أربع قبائل ، وهذا لا وجه له إلاّ اختلاف اللغات ، وفيه من اليسر والسَّعَة أَن وَجَدَ كل قوم من ذوى اللغات المختلفة فى ألفاظ القرآن ما وافق لغتهم التى نشؤوا عليها ، فكان ذلك أقرب إلى الاستئناس به والرغبة فى حفظه وقرآءته ، ولم يُسأَموا ترك ما اعتادوه ، ومفارقة ما ألِفوه ونشؤوا عليه ؛ لكنى أرى الوجه أيضاً لا يتوسع فى النهج الذى رامه صلى الله عليه وسلم ، حيث شكا إلى جبريل أنه بُعث إلى قوم أمّيِّين . وذلك أن كل لفظة وافقت لغة فريق من العرب خاصة ، فإن الآخرينَ فى استعمالها بمنزلة هذا الفريق ، وإن لم توافق اللفظة لغتَهم ، فلم يَحصُل إذ ذاك بنزوله وفق لغتهم كبير طائل فى اليسر والتوسعة ، مع أنه قد روى عن السلف فى بعض الألفاظ مما فى القرآن أنه بلغة فارس ، وفى بعضها أنه بلغة الروم ، كما نذكره إن شاء الله عز وجل .

وروى عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن شرحبيل قال : ما من لسان إلا فى القرآن . وعن أبى ميسرة ، عن أبى إسحاق قال : فى القرآن من كل لسان .

---

(١) كذلك فى الأصل ، وفى تفسير الطبرى ١ : ٢٢ : للعجز من هوازن .

وروى عن بعض الأئمة : أن معنى سبعة أحرف سبع لغات متفرقة فى القرآن ليست مقصورة على لغـات العرب . وهى : الحبشية ، والنبطية ، والسريانية ، والفارسية ، والطحاوية[١] ، والرومية ، والعربية .

قال وَمِنَ الذى نزل بلغة الحبشة الـكفلان[٢] الضعَفان[٣] ، عن سعيد أبن جبير ، وأبى موسى . ومنها : الأوّاه[٤] للرحيم ، عن أبى ميسرة ، عن عمرو أبن شرحبيل هو الشيخ . ومنها : المشكاةُ[٥] ، للـكوة ، عن عكرمة ، ومجاهد . ومنها الناشئةُ[٦] ، لقيام الليل ، سعيد بن جبير ، عن أبن عباس ، يقولون نشأ قام . وعن السديّ هى بلحن الحبش ناشئاً .

ومنها : القسورة[٧] ، عن أبن عباس . ومنها : ابلعى ماءكِ[٨] ، عن جعفر أبن محمد ، عن أبيه . ومنها : طه[٩] ، يارجل ، عن عكرمة برواية عمرَ بن أبى زائدة . ومنها : يا جبال أوّبى معه[١٠] ، أى سبحى ، عن أبى ميسرة . ومنها : طوى[١١] . اسم الجنة ، عن سعيد بن جبير ، عن أبن عباس . ومنها : واعتدت لهن مُتَّـكأً[١٢]

---

(١) أنظر معجم البلدان لياقوت الحموى ٣ : ٥١٦

(٢) فى س ٥٧ آ ٢٨ .

(٣) فى س ٢ آ ٢٦٥

(٤) فى س ١١ آ ٧٥ و س ٩ آ ١١٤ .

(٥) فى س ٢٤ آ ٣٥ .

(٦) فى س ٧٣ آ ٦ .

(٧) فى س ٢ آ ٧٤ .

(٨) فى س ١١ آ ٤٤ .

(٩) فى س ٢٠ آ ١ .

(١٠) فى س ٣٤ آ ١٠ .

(١١) فى س ٢٠ آ ١٢ و س ٧٩ آ ١٦ .

(١٢) فى س ١٢ آ ٣١ .

للاترج ، عن سلمة بن تمام . ومنها : مقاليد السموات[١] ، للمفاتيح ، عن مجاهد .

وأما البنطية : فقوله : طه ، يا رجل ، عن عمارة عن عكرمة . ومنها : سرباً[٢] . للنهر ، عن سعيد بن جبير قال : وهو سِرْباً . ومنها : فصرهن[٣] ، أى قطعهنّ ، عن عكرمة عن ابن عباس . ومنهاقوله : ملكوتُ السموات[٤] ، هو ملكوثاً ، عن عكرمة منقوطة ثلاث نقط . ومنها : سجيل[٥] ، اسم للحجارة ، عن عكرمة .

وأما السريانية : فقوله : طه ، يا رجل ، عن قتادة . ومنها : الطور ،[٦] الجبل ، عن مجاهد . ومنها : سرباً ، نهر الجبل ، عن البراء بن عازب .

وأما الفارسية : فقوله : من سجِّيل ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ ، وعن عكرمة قال : من سَنْكْ كِلْ ، وعن مجاهدٍ أولها حجارة وآخرها طينٌ . وعن ابن عباس رواية أبى صالح ، من طين يطبخ ، كما يطبخ الآجُرّ ، وهو بلغة فارس . ومنها : مقاليد ، عن مجاهد أيضاً مفاتيح بالفارسية .

وأمّا الطحاويةّ : فقوله وغساقاً[٧] للنتن ، عن عبد الله بن بردة .

وأمّا الرُومية : فالفردَوْس[٨] ، البستان ، عن أبى صالح ومجاهد . ومنها : القسطاس[٩] ، العدل ، عن مجاهدٍ . قالوا : وإنما ذكرها الله سبحانه فى كتابه ليكون جامعاً لأصول الألسِنَة ، وهذه أصول اللغات ، وما سواها فروع لها ،

---

(١) فى ٣٩ آ ٦٣ و س ٤٢ آ ١٢

(٢) فى س ١٨ آ ٦١

(٣) فى س ٢ آ ٢٦٠ .

(٤) فى س ٦ آ ٧٥ و الآخ .

(٥) فى س ١١ آ ٨٢ والآح .

(٦) فى س ٢٣ آ ٢٠ والخ

(٧) فى س ٧٨ آ ٢٥ و س ٣٨ آ ٥٧ .

(٨) فى س ١٨ آ ١٠٧ و ٢٣ آ ١١ .

(٩) فى س ١٧ آ ٣٥ و ٢٦ آ ١٨٢ .

ولأنها[١] كانت أقرب إلى العرب دياراً ومنازلَ ، فاختلطوا بهم ، ولم يكن الهندُ والسندُ ، والترك كذلك لبعد الديار ، وتنائى المزار .

فإن قيل : كيف يجوز أن يكون فى القرآن غير لغة العرب ؟ وقد قال الله تعالى (س ٤١ آ ٣) « قُرْءَاناً عَرَبِيًّا » . وقال (س ٢٦ آ ١٩٥) « بِلِسَان عَرَبِيٍّ مُبِينٍ » .

قلنـــا : إن الـكلمة و إن كان أصلها من لغةٍ أخرى ، فإنها إذا عرفت فى العربية ، واستعملها أهلها ، فقد صارت عربية كسائر ما تتخاطب عليه العرب من كلامها ، لذلك جاز أن يخاطب الله بها العرب . ألا ترى أن العربيّ إذا قال لصاحبه : اشترَ لى تَرَنْجَبين ، فإن هذا الاسم ، و إن كان مُعرباً من الفارسية ، فإنه يفُهَمُ به المراد ؟ كما أنه لو قال : اشترِ لى عَسلا ، فهم المرادُ منه . قال الشاعر :

فَخْمَةً ذَفْرَاءَ تُرْتَى بالْعُرَى قُرْدُمَانِيًّا وَتَرْكًا كالْبَصَلْ

فمعنى قُردُمانياً فيما قيل : أنه مصبوغٌ مخلد ، وأصله بلسان الفرس ، كان يقول أَحدهُم إذا صبغ درعاً : كردمان ، فعرّبوا هذه اللفظة . وقال الأعشى :

وَإِخْوَانِ صِدْقٍ لا ضَغَائِنَ بَيْنَهُمْ وَقَدْ جَعَلُونِى فَيْسَكَاهَا مُكَرَّمَا

فَعرّب قوله : فيْسَكاه ولم يخرج شعره ذلك من أن يكون عربيـاً . وقد قال قوم ،تحاشياً عن أن يكون فى القرآن ماليس من لغة العرب : إن هذه الألفاظ التى نسبت إلى سائر اللغات المختلفة وقعت[٢] من العربيّة وفق كلامهم ليس إنها من لغتهم . كما يقال بالعربية « كوز » وهى بالفارسية « كوزه » ، ويقال بالعربية « جوز » وهو بالفارسية « كوز ». وليس ذلك من حيث أن العَربىَّ عند مايقول ذلك يتكلم بالفارسية أو الفارسىُّ يتكلم بالعربية . وكذلك إذا قال : دِرهم ، أو قال : دينار ، أو قلم ، أو دواهٌ . وكانت هذه أسماء هى فى العربية والعجمية جميعاً

(١) أى لأن اهلها .

(٢) فى الأصل : وأنها وقعت .

على صيغةٍ واحدة وفاقاً وقع من اللغتين . ولا ينكر أن يكون من اللغتين كما يوافق بعضُها بعضاً على سبيل الاتفاق ، دونَ قصدٍ من أصحابَها أن يتكلمُوا بغير لغتهم . ولا يستنكر معَ ذلك أن يتعارفوا فيما بينهم استعمال ألفاظ من غير لغتهم حتى تصير من لغتهم ، كما أنهم قد يتعارفون بالتسمى بأسماء صيغت على غير لغتهم . وكما قد تستعمل بالفارسيَّة ألفاظ من العَربيَّة ، حتى أنه لو تكلم الفارسىّ فى بعضها بما هو محض الفارسية لاستغنى المعنى به عند من لاَ لِسَان له إلاَّ الفارسية لجعله[1] أصلاً .

وروى عن الحسن بن ذكوان ، عن الحسن ، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه سئل عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها كافٍ شافٍ ، قال : صدقوا[2] . أُنزل القرآن على سبعة أحرف ، وأكثر من ذلك على كلام العرب ، بكل شىء كان المعنى فيه واحداً فى العربية ، فإذا تكلمتَ به كان صواباً . فقد نزل على سبعة أحرف ، وعلى أكثر من ذلك ، وعلى أكثَر من بضعةٍ وعشرينَ حَرفاً ، إذا كان جائزاً فى كَلام العَرب . ولكن الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزل القرءان على سبعة أحرف كلها كافٍ شافٍ ، وإنما يعنى به أن القرءان إنما هوَ جدَال ، وأمثال ، وأحكام ، وترغيب ، وترهيبٌ ، وأمرٌ ، ونهى .

قلت : فقد صرف على رضى الله عنه فائدة الخبر إلى اختلاف المعانى دون الألفاظ ، وجعل الألفاظ الجائزة فى القرءان زيادةً على سبعة . وقد قلنا : إن فحوى الأخبار التى تقدمت روايتُها يقتضى اختلاف الألفاظ ، ولولا ذلك لم يقل : فاقرؤوا ما تيسر . وقال القينى فى قول النبى صلى الله عليه وسلم : نزل القرءان على سبعة أحرف . قال : تأويله على سبعة أوجه من اللغات متفرقةٍ فى القرءان . قال : ولقد تدبرت وجوه الاختلاف فى القراءة فوجدتها على سبعة أوجه .

---

(١) فى الأصل : أو لجعله .

(٢) أى الرواة .

أولها : الاختلاف فى إعراب الكلمة ، أو فى حركاتِ بنائها بما لا يزيلها عن صورتها فى الكتاب ، ولا يغير معناها ، نحو قوله : (س ١١ آ ٧٨) «هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ» ، و «أَطْهَرَ لَكُمْ» . و (س٣٤ آ ١٧) «هَلْ يُجَازِى إِلَّا الْكَفُورَ» ، و «هَلْ نُجَازِى إِلَّا الْكَفُورَ» ، (س ٤ آ ٣٧) «وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ» و «بِالْبَخَلِ» و (س ٢ آ ٢٨٠) «فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسُرَةٍ» و «مَيْسَرَةٍ» .

والوجه الثانى : أن يكون الاختلافُ فى إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها ، نحو قوله : (س ٣٤ آ ١٩) «رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا» و «رَبُّنَا بَاعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا» ، و (س ٢٤ آ ١٥) «إِذْ تَلَقَّوْنَهُ» وَ «يَلِقُونَهُ» و (س ١٢ آ ٤٥) «وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ» ، وَ «بَعْدَ أَمَةٍ» .

والوجه الثالث : أن يكون الاختلاف فى حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها ، نحو قوله : (٢ آ ٢٥٩) «وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا» و «نُنْشِرُهَا» ، وقوله : (س ٣٤ آ ٢٣) «حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ» وَ «فُرِغَ» .

والوجه الرابع : أن يكون الاختلاف فى الكلمة بما يغير صورتها فى الكتاب ولا يغير معناها ، نحو قوله : (س ٣٦ آ ٢٩) «إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً» وَ «زَقْيَةً وَاحِدَةً» [١] ، و (س ١٠١ آ ٥) «كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ» ، و «كَالصُّوفِ» [٢] .

والوجه الخامس : أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير ، نحو قوله :

---

(١) انظر Materials ص ٧٨ .

(٢) انظر Materials ص ١١١ .

(س ٥٠ آ ١٩) « وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ » « وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ » [١] .

والوجه السادس : أن يكون الاختلاف بما يزيل صورتها ومعناها ، نحو قوله : (س ٥٦ آ ٢٩) « وَطَلْعٍ مَنْضُود » فى موضع « وَطَلْحٍ » [٢] .

والوجه السابع : أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان ، نحو قوله : (س ٣٧ آ ٣٥) «وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ » « وَمَا عَمِلَتْهُ » [٣] . وقوله فى سورة الحديد (س ٥٧ آ ٢٤) : « فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ » [٤] و « فَإِنَّ اللهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ » بنقصان « هو » . وقرأ بعض السلف (س ٣٨ آ ٢٣) « إِنَّ هَذَا أَخِى لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ أُنْثَى » [٥] و(س ٢٠ آ ١٥) « إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِى فَكَيْفَ أُظْهِرُكُمْ عَلَيْهَا » [٦] .

وقال الشيخ محمد بن الهيصم : إن القينىّ ، عفا الله عنا وعنه ، قد أحسن الترتيب لهذه الوجوه ولكنه إن كان قصد من ذكرها تبيين اللغات السبع التى زعم أنها متفرقة فى القرآن وحمل عليها قول النبى صلى الله عليه وسلم : نزل القرآن على سبعة أوجهٍ ، فإنه لم يضع البيان موضعه ، وذلك أن اختلاف الألفاظ التى تختلف فيها المعاني لا يعتبر فى اختلاف اللغات ، ولو كان ذلك اختلاف اللغات لكان الواحد إذا قال : جاء زيدٌ . وقال آخر : ذهب عمرو ، كانا قد تكلما بلغتين مختلفتين . ولكان فى القرآن أكثر من ألوف اللغات من حيث أن كل لفظة خالفت اللفظة

---

(١) انظر Materials ص ٩٣ .

(٢) انظر Materials ص ١٩١

(٣) انظر المقنع للدانى ص ١٠٣ ، ١١٣ .

(٤) انظر المقنع ص ١١٥ ، ١١٧ .

(٥) انظر Materials ص ٨١

(٦) انظر Materials ص ٥٩ و ١٤٦ .

الأخرى تكون لغة منفردة ، وهو مع ذلك قد اُعتبر فى هذا الترتيب ماتختلف صورته فى الكتاب وما لا تختلف . ومعلوم أنه لامدخل فى صورة [١] الكتاب فى اختلاف اللغات . وإنما تعتبر اللغة بالألفاظ دون صور الكتاب . وأيضاً : فإنه اُعتبر فيما يختلف بالإعراب أو الحروف ما يغير المعنى فجعله وجهاً [٢] ، وما لايغير المعنى فجعله وجها آخر ، ولم يعتبر فى الزيادة مايفيد زيادة معنى وهو السابع . وقوله « نَعْجَةً » إذا زيد فيه « أُنْثَي » لم تفد زيادته فائدة ، ولو أنه اُعتبر هذا فى الزيادة فجعلها وجهين كانت الوجوه تكون ثمانية ، وليس اعتبار ذلك حيثُ اُعتبره بأقلّ منه حيث تركه . وشيء آخر ، وهو أنا لم نخيّر فيما يختلف فيه المعنى لنقرأه كيف شئنا ، وليس فى اختلاف اللغات باُختلاف المعانى سعةٌ على قارىء القرءان ، إذ لابدّ من تحفظ كل شيء منها وذلك زيادة فى شغله .

وقد قال أبو عبيد فى مَعنى السبعة الأحْرف : أنهـا سبعُ لغاتٍ متفرقة فى القرءان ، وذكر مثله الأزهرى عن اُلمنذريّ ، عن أبى العباس أحمد بن يحيى ، إلا أنهم لم يذكروا تلك الأحرف ، ولم يبينوا سبيل قصر [٣] الخبر على سبعة .

قال : والذى عندى فى هذا المعنى : أن الواجب فيما جاء من إنزال القرءان على سبعة أحرف ، هو أن نعتبر ماهى الفائدة من ذلك أولاً ، ثم يحمل الخبر على ماهو أحرى بها [٤] وأوفق لها .

وقد دل حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن الفائدة من ذلك اليسر والسعة فى قراءته ، ودلَّ حديث زر عن أبى عليّ أن الفائدة منها التسهيل على من يقرئهُ أُمّيًّا لايَطوع له لسانه لإقامة حروفه ، أو شيخاً كبيراً قد نشأ على لغة

(١) كذلك فى الأصل والصواب لصورة .

(٢) فى الأصل : وجهاً واحداً .

(٣) فى الأصل : ماقصره

(٤) فى الأصل : إليها

تخالف ببعض حروفها ظاهر التلاوة حتى تمرنت عليها طباعه ، واستمرت بها عادتُه ، فتعذَّر عليه الإقلاع عنها والتنقل إلى غيرها ، وكان التيسيرُ فى الحروف السبعة عندى على ماتدل عليه هذه الأخبارُ على وجهين .

وجه من ذلك : أن يكون القارىء فى سعةٍ من قراءته حتى أنه لو زل عن ظاهر لفظ القرءان على سبيل السهو إلى مالا يبعُدُ معناه عن ذلك اللفظ نفسه ، أو عن سائر مافى القرآن من نحوه لم يَلزمُه من ذلك إثمٌ ، ولَمْ يوجَّه إليه فى ذلك حَرَجٌ . وذلك أن وجوهاً من الزلل فى القرءان هى بحيث إن زلَّ عنها التالى للقرءان قطعت عليه صلاته ، وعليه أن يفزع مِنها إلى الصَّواب متندماً على ما فرط منه ، مستظهراً بالاستغفار على تدارك الغلط فيه .

ووجوهٌ منها بحيثُ لا تقطع الصلاة ، وإن كانت بخلاف ما عليه القراءة ، وهى الوجوه التى يشا كل سبيل الخارج إليها فى مخالفته لظاهر التلاوة سبيل الاختلاف الذى به قد نزل القرءان .

مثال ذلك : أن قارئاً لو قرأ (س٣ آ ٥٩) « إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ ٱللهِ كَمَثَلِ آدَمَ » ، فغلط إلى أن بَدَّلَ « عند الله » « عبدَ الله » بالباء ، فإن ذلك وإن لم يكن بما قرئ به ولا يجوز لأحد أن يتعمده ، فليس بالذى يقطع صلاته ، أو يلزمه إثماً ، لأنه مما قد حقق الله معناه فى آية أخرى ، قوله : (س٤ آ ١٧٢) « لَنْ يَسْتَنْكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لله » ، ولأن الله تعالى قد أنزل مثل هذا الاختلاف فى قوله[1] (س ٤٣ آ ١٩) « وَجَعَلُوا ٱلْمَلائِكَةَ ٱلذِينَهُمْ عِبَادُ ٱلرَّحْمَنِ إِنَاثاً » وَ« ٱلذِينَهُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ » فإنهما قد قرئتا جميعاً . وكذلك لو غلط من قوله : (س١١٤ آ ٢) « مَلِكِ ٱلنَّاسِ » إلى أن يقرأ « مَالِكِ ٱلنَّاسِ » ، فإن ذلك وإن كان مما لا يجوز التعمد به فهو من نحو الاختلاف الذى نزل به القرآن فى قوله : (س ١ آ ٤) « مَالِكِ يَوْمِ ٱلدِّينَ» و « وَمَلِكِ » جميعاً .

(١) انظر المقنع ص ٩٩

وقد ذكر أن الأخفش شك فى قوله : (س ٢٨ آ ١٥) « فَٱسْتَغَاثَهُ ٱلَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ » إنه « فاستغاثه » بالثاء أو « فاستعانه » بالنون . وهذا الضرب من الزلل لَا يقطع الصلاة ، ولا يلزم مَن زَلَّ إليه شدَّة التحرُّج والتأثم . فأما لَوْ زَلَّ فى قوله : (س ٣ آ ٥٩) « إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ ٱللّٰهِ » إلى أن يقول «عيسى بن الله» ، أو قال : « عدُوُّ الله » حَاشى له وتَعالى الله عن ذلك ، فإن عليه يفزع إلى الاستغفار وأفسد ذلك صلاته .

وكذلك لو غلط فى قوله « مَالِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ » فقال : « مَالَكَ » ونحو ذلك من الخطأ الفاحش الذى لم يجز أن يصح له مَعنى ، وكذلك لو جرى على لسانه فى تضاعيف مايقرأ القرءان قول لبيد :

* أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَاخَلَا ٱللّٰهِ بَاطِلُ *

فإن ذلك وإن كان قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه من أصدق قولٍ قالته العرب ، فإنه يقطع صلاته ويلزمه الفزع إلى الصواب لظهور مخالفته ظاهر التلاوة . فهذا وجه واحدٌ من التوسعة واليسر .

وأما الوجه الثانى : فهو ما أباح الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أن يقرئوا كل من أتاهم ممن نشأ على لغةٍ يعتادُها من لغات العَرب على حسب مايتيسر عليـه . وأن لا يَسُومُوه تكلف مايخالفُ لغتَه فيقطعه ذلك عن الرغبة فى حفظ القرءان والقيام به ، وذلك بمنزلة الهذلىّ [1] إذا قرأ : (س ١٢ آ ٣٥) « عَتَّى حين » بَدَل « حتى حين » إذ هى لغته . والأسدىّ يقرأ (س ٢ آ ٩٦) « يِعْلَمُونَ » ، و (س ٣ آ ١٠٦) « وَتِسْوَدُّ وُجُوهٌ » ، و (س ٣٦ آ ٦٠) « أَلَمْ إِعْهَدْ إِلَيْـكُمْ » [2] .

---

(١) هى قراءة عبد الله بن مسعود . انظر Materials ص ٤٩ .

(٢) يقال ان المضارع بكسر الياء هى لغة بنى أسد .

وذكر أبو حاتم السجستانى أنه سمع حترش بن ثمالٍ ،وهو عربىّ فصيح ، يقول فى خطبته : الحمد لله إحمده وإستعينهُ ، وإتوكل عليه ، فيكسر الألفات كلها . وأكثر العرب يجعَلون القاف تقارب الكافَ فى السّماع ، ورأيت غير واحد منهم يجعلِ الجيم كلها تقارب الباء ضرباً من المقاربة ، وهاؤلاء لو أخذوا بما يخالفُ عَادتهم لتعسّر ذلك عليهم ، فيسر الله عليهم بلطفه ليقرأ كل فريق منهم بما هو عادته ، وليس لغيرهم أن يسلك فى القراءة مسلكهم ولكن يلزمُ التَلاوةَ المنقولةَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان هـذا التيسير من الله تعالى بأن أنزل القرآن على سبعة أحرف ، أى على سبعة أوجه تتخالف بها لغات العَرب وعادَاتهم ، ليكون ذلك دليلاً على أن مايجرى ذلك المجرى مما يخرج إليه الغالطُ ليس فيه إثمٌ ولا حَرَج ،وكذلك مايجرى مجراه مما تجر إليه طباعُ من نشأ على لغةٍ تخالفُ ظاهر التلاوة لم تلزمه فيه لائمة ، ولولا ذلك وكان يكون الأمر مقصوراً على مَا نزل فى القرآن من الاختلاف فقط لم يكن فى ذلك كثيرُ يُسرٍ ، بل كان حفظُ تلك الوجوه زيادةً فى الشُغلِ ، لكنها لمّا صَارتْ دليلاً على اليسر الذى ذكرناه فى وضع الحرج عما يشاكلها من اللفظ ويخالف ظاهر التلاوة عظمت فائدتها واتسع الأمر بها وتيسر . قال رضى الله عنه : ثم انى تدبرتُ الوُجوهَ التى تتخالف بها لغات العَرب فوجدتها على سبعة أنحاء لا تزيد ولا تنقص ، وبجميع ذلك نزل القرآن .

فالوجه الأول منها : إبدَالُ لفظٍ بلفظٍ آخر بمنزلته ، فإن منهم من لا يكاد يَعرفُ إلا الحوتَ ، ومنهم من يقول سمك ولا يكاد يقول حُوتٌ . ومنهم من يقول عشبٌ ، وآخر يقول كلاء ، وآخر يقول حشيشٌ .

ومنهم من يقول : نام فلان ، ولا يكاد يقول رقد ، وآخرون يقولون : رقد ويتعارفونه . ولقد قلت فى « البادية » وأنا أكلم بَعضَ الأعراب : هذا طريق وَعر . فقال : وما وعر ؟ فقلت : خَشِنٌ . ثم قلت له : أمَا فى كلامكم وَعر ؟ قال : لا . ولسنا نعرف إلا الخشن .

وقد روى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من جُعِلَ قاضياً فقد ذبح بغـير سكين . قال أبو هريرة : ذلك أول يوم سمعت سكين ، ما كنت أعرف إلا المُدى . وفى القرآن : (س ٦٢ آ ٩) «فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ ٱللهِ » وقد قرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « فَٱمْضوا إِلَى ذِكْرِ ٱللهِ »[1] . وقال عز وجل : (س ١٠١ آ ٥) « كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ » ، وقرأ ٱبن مسعود : « كَٱلصُّوفِ ٱلْمَنفُوشِ »[2] . وقال : (س ٣٦ آ ٢٩) « إِنْ كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً » ، وقرأ ٱبن مسعودٍ : « زَقْيَةً وَاحِدَةً »[3] .

والوجه الثانى : إبدال حرفٍ بحرفٍ بمنزلة قولهم[4] أعطيتُ ، وَمن العَرب من يقول أنطيت بالنون . ويقولون : قهرنى فلان ، ومنهم من يقول : كهرَنى . ويقولون : مَدَحتـه ومَدَهتُه ، وهرقتُ الماء وأرقته ، وسحقتُ الزَّعفران وسهكته . ويقولون للقبر : جَدَثٌ ، وَجَدَفٌ ، وثُوم ، وفُومٌ ، ومعاثير ، ومعافير . وبمنزلته مايبدل بعضهم ألف لام التعريف بألف ميم .

روى عن أبى هريرة أنه قال يوم الدار لعثمان : طَابَ امْضَرْبُ . أى طابَ المضرب .

وروى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس من امْبِرِّ امْصِيامُ فى امْسَفَرِ . وذلك على لغة دوس .

وَكذلك تميم تبدل مكان الهمزة عيناً ، وينشدون عن ذى الرمة :

أَعَنْ تَرَسَّمتَ مِنْ خَرْقَاءَ مَنْزِلَةً مَاءُ ٱلصَّبَابَةِ فِي عَيْنَيْكِ مَسْجُومُ

---

(١) انظر Materials ص ٢٢١ .

(٢) انظر Materials ص ١١١ .

(٣) انظر Materials ص ٧٨ .

(٤) أى : بمنزلته كقولهم .

ومن ذلك ماروى عن عمر رضى الله عنه أنه قال : لاتبيعوا الذَّهب بالذهب إلاَّ مثلاً بمثل ، ولا تبيعوا الورق بالورق إلا مِثلا بمثل ، ولا تشفّوا بعضه على بعض ، ولا تبيعوا شيئاً منه غائباً بناجز إلا يداً بيد . فإن قال : انظرنى حتى ألج بيتى فلا تنظروه فإنى أخاف الرِما . يعنى : الربا .

وقد يقالُ : لاَزم فى معنى لاَزبٍ . وفى القرآن « الصِّرَاط » قرىء بالصاد والسين جميعاً .

وروى عن سفيان بن عيينة ، عن زياد بن علاقة ، عن قُطبَة بن مالكٍ قال : سمعت النبى صلى الله عليـه وسلم يقرأ (س ٥٠ آ ١٠) « وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ » . قال سفيان : بالصاد .

وروى إسرائيل ، عن زيادة بن علاقة، عن قُطبَةَ قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الفجر : « وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ » فَمَدَّ نضيدُ ، وهو فى هذه الرواية بالسين ، وهذيل تبدل الالف بدل الواو مِن ولده : قال البريق يرثى أخاه :

فَأَصْبَحْتُ لاَ أَدْعُوا مِنَ النَّاسِ وَاحِداً
سِوَى أَلْدِهِ فِى الدَّارِ غَيْرَ حَكِيم

وقد يقولون : أُحدان بمعنى وُحدان . ويقولون إِسادَه ووِسـاده ، وَوَكافٌ واكافٌ ، وَوشاحٌ وَاشـاحٌ . وفى القرآن : (س ٧٧ آ ١١) « وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ » بمعنى « وُقِّتَتْ » ، وهذيل أيضاً تَضَعُ متى مَوْضِعَ من . قال أبو ذؤيبٍ :

تَرَوَّتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ ثَلِيجُ[1]

(١) هكذا فى الأصل والصواب : نئيج . انظر ديوان أبى ذؤيب ١١ : ٨ (ed Hell) ص ١٧ ، وفى شرح شواهد ابن عقيل للجرجانى . ص ١٣٣
شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نئيج :
فى باب شواهد حروف الجر .

« تروَّت » الْفِعْل لحناتم سُودٍ ،[١] « متى لجج » أى من لُجح « لهَن ثَليج » أى مر سريع[٢] وقوله « تروَّت » يَرجعُ إلى بيت قبله[٣] يقولُ :

سَقَى أُمَّ عَمْرٍ وَكُلَّ آخرِ لَيْلَةٍ حنَاتِمُ سُودٌ مَاؤهُنَّ ثجِيجُ[٤]

وقد ذكرنا أن الذين كتبوا المصحف اختلفوا فى التَّابوت والتـابوه ، وهذا الضربُ الذى هو إبدالُ حرفٍ بحرف فى لغة العرب غير قليل .

والوجه الثالث : تقديم وتأخيرٌ : إمَّا فى الـكلمة ، وإما فى الحروف ، فأمَّا فى الـكلمة : فذلك شائع فى سائر العَرب تقول : سُلِبَ زيد ثوبه ، وسُلِبَ ثوبُ زيدٍ ، والمعنيان واحدٌ ، ولربمـا يختلفُ به المعنى على ضربٍ من التفاوُت لا يكاد يكون اختلافاً ، كقولهم : عرضتُ الناقة على الحوض ، وعرضتُ الحوضَ على النـاقة . ولعل بعض العرب أَلْزَم فى أمثال هذه تقدُّمَ لفظةٍ ، و بعضهم تقدّمَ أحرُفٍ ، فيـكون ذلك اختـلافاً فى اللغة من هذا الوجه . وفى القرآن (س٢ آ ١٢٤) « لاَ يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّالِمِينَ » . وهى قرآءه العامة . وقرىء أيضاً « الظَّالِمُونَ » ، وقرىء (س ٢ آ ٣٧) « فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ » على أن الفعل لادمَ ، وقرىء بنصب آدم وكلماتٌ رفع على أن الـكلمات هى التى تلقته[٥] . وقرىء « فَيَقْتُلونَ » « وَيُقْتَلونَ » ونحو ذلك .

وأما فى الحروف فـكقولهم : صَعقَ ، وصَقعَ ، وجبَذَ ، وجَذَب ، و بئر عميقةٍ ، ومعيقَةٍ ، وأحجمتُ عن الأمر ، وَأجحمتُ ، وَمَا أطيبه وأيطبَهُ ، ورجل

---

(١) فى الأصل . شبه السهاب بها ، والصواب : حذفه لانه لامعنى له

(٢) وإن قرأنا « نثيج » هو الصول العالى :

(٣) أى : يرجع الضمير فيها إلى الحناتم فى بيت قبله :

(٤) وهذا البيت هو ١١ : ٦ فى دايونه .

(٥) انظر التيسير للدانى ص ٧٣ .

أعزل وأزعل ، واعتــاقه الأمرُ واعتقاهُ ، واعتَــام واعتَمى ، ونحو ذلك . وهذا اختلاف فى اللغة بلا شك .

وفى القرآن : (س ١٣ آ ٣١) « أَفَلَمْ يَيْأَسِ ٱلَّذِينَ » . وأيضاً : « أَفَلَمْ يَايْئَسِ » [١] . (س ٢٩ آ ٦٠) « وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ » بتقديم الهمزة على حرف الاعتــلال وتأخيره عنــه ، (س ٧ آ ١٦٥) « وَعَذَابٍ بَئِيسٍ » بتقديم الهمز على الياء على وزن فعيل « وَبَيْأَسٍ » بتأخير الهمز عن الياء مثال فيعل [٢] .

والوجه الرابع : زيادةُ حرف أو نقصانه ، وذلك بمنزلة قول من يقول من العرب : تَعْرِفينَهْ ، وَتُعْطِينَهْ ، وَمَالِيَهْ ، وَدَارِيَهْ . وفى القرآن : (س ٦٩ آ ٢٨ و ٢٩) « مَا أَغْنَى عَنِّى مالِيَهْ » و « هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ » . ومنهم من يسقِط بعضَ الحروف ترخيماً ، قال الله تعالى : (س ١١ آ ٢٠) « فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ » .

وروى عن أراكة ، عن على قال : سمعتُ النبى صلى الله عليــه وسلم يقرأ : (س ٤٣ آ ٧٧) « يَا مَالِ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ » بغير كاف . وقد رويتْ عن النبى صلى الله عليه وسلم بإثبات الــكاف ، وعليه الناس . وقد تقول العرب يا صاحِ . أى : ياصاحِبُ ، ويا حارِ . أى : يا حارث . ويقولون : عِم صباحاً . أى : أنعِم صباحاً ، وقال عنترة :

يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالْجِوَاءِ تَــكَلَّمِى وَعِمِى صَبَاحًا دَارَ عَبْلَةَ وَاسْلَمِى

أراد : وانعمى صباحاً ، وقد تزيد العرب حروفاً ، ثم لا تَعْتَدُّ بهــا ، كمثل ما يزيدون ما ولا فى كثير من كلامهم فيقولون : كان أبى ابنما ، أى : ابناً . وقد تزداد ما تضعيف القول صلة . من ذلك قوله تعالى : (س ٤٣ آ ٣٥) « وَإِن

---

(١) انظر المقنع ص ٩١ والتيسير ص ١٢٩ .

(٢) انظر التيسير ص ١١٤ .

كُلُّ ذٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » . أى : لمتاع ، وما صلة . وتكون لا زائدة أيضاً كقوله : (س ٥٧ آ ٢٩) « لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقْدِرُونَ » ، وقال ساعدةُ بن جُويّة :

فَلِمِنكِ لاَ بَرْقٌ كَأَنَّ وَمِيضَهُ عَابٌ تَشَيَّمُهُ ضِرَامٌ مُثْقِبُ

ورواه أبو عمرو : وَلَمِنكِ بَرْقٌ كانَّ .

وقد يزيدُون الحرف فى صيغة اللفظ كقول القائل :

أقول إذْ خَرَّتْ على الْكَلْكَالِ ، يُرِيدُ : الكَلْكَل .

وكقول المفضَّل العَبْدىِّ : وَ بَعْضُهم على بَعْضٍ حَنِيقُ . أى : حَنِقٌ . ولكن هذه الوجوه من الزيادات قد لا تدخل فيما تختلفُ به اللغاتُ لشمول ذلك سائر العرب واشترا كها فيه . وإن كان ربما يكون بعضهم أكثر استعمالاً لها من بعضٍ ، فكذلك سائر المجازات المستعملة ، فهى ليست تعتبرُ فى اختلاف اللغات ، وإن كان يتعارفُ من ذلك كل فريق بعضَ ما لا يتعارفه الآخرون . إذ ليس ذلك عندهم معدوداً فى أصل لغتيهم . فأما المهمز فإن من العرب من يستعمله ، وهم : تميم ومن يوافقها فى ذلك . ومنهم من يقل استعمالهم له ، وهم : هُذيل ، وأهل الحجاز . والهمزة حرف يزيدُها بعضُهم ويحذفها بعضُهم . وقد يحذف بعضُهم المد فى مواضع ، ويثبتُ ذلك آخرون ، والمدُّ حرف . وكذلك من قرأ : (س ١٥ آ ٢) « رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا » بتخفيف الباء ، فإنه قد نقصَ حرفاً ، وهو إحدى الباءين ، وذلك على لغة هذيل ومن وافقهم فيه . وقال أبو كبير الهُذَلىّ :

أَزُهَيْرُ إِنْ يَشِبِ الْقَذَالُ فَإِنَّهُ[1] رُبَ هَيْضَلٍ لَجِبٍ لَفَفْتُ بِهَيْضَلِ

أراد يا زهيرة يعنى ابنته . والاختلافُ فى زيادة هذه الحروف ونقصانها اختلافٌ فى اللغاتِ .

---

(١) وفى رواية أخرى : فانى . انظر لسان العرب ١٤ : ٢٢٢

والوجه الخامس : اختلاف حركات البناء ، مثل قول بعض العرب فى الجواب : نَعَمْ . و بَعَضُهم يقول : نعِم . ومثل البُخْل ، والبَخَل ، والـكِبْد ، والـكَبِد ، وَمَيسَرة ، وَميسُرة ومثل قول بعضهم حَسِبَ فلان يَحْسِبُ بكسر السين فى المستَقبل ، وقول بَعضهم يَحْسَبُ بفتحها . ومن ذلك كسر مَن كسر أولَ الفعل المضارع فقال : يِعْلَمُ ، و إِعْلمُ ونحو ذلك . ومنه إشمام بَعضهِم الضمة فى قوله : و إذا قُيل وغيض[1] ونحوه .

والوجه السادس : إختلاف الاعراب ، من نحو قول الهذلى : مَا زائدٌ[2] حاضرٌ . قال الله تعالى (س ١٢ آ ٣١) « مَا هَذَا بَشَراً » ، وقرأ أبن مسعودٍ على لغة هُذيل : « مَاهَذَا بَشَرٌ »[3] . وقد ذكر من لغة بلحارث بن كعبٍ أنهم يقولون : مررت برجلان ، وقبضتُ منه دِرهمان . وجَلستُ بين يدَاهُ ، وَركبتُ علاه ، وأنشدوا :

فأطرق إطراق الشُجاع ولوتَرى[4] مساغاً لِناباهُ (الشجاع) لصَمَّما

وفى القرآن (س ٢٠ آ ٦٣) « إِنْ هٰذَانِ لَسَاحِرَانِ » .

والوجهُ السابع : هو إشباع الصوت بالتفخيم والاظهارِ ، أو الاقتصار به بالاضجاع[5] والادغام ، وأكثر الاضجاع فى لهمْ ، ولغة الحجاز على التفخيم .

وقد روى عن زيد بن ثابتٍ انه قال : نزل القرآن بالتفخيم ، و إنما أرادَ بذلك عندنا فى العرض الأخير الذى عَرضَه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى أُبى بن كعبٍ ، وذلك انه لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان يميل

---

(١) فى س ١١ آ ٤٤

(٢) والصواب زَيْدٌ

(٣) انظر Materials ص ٤٩

(٤) كذلك فى الأصل والصواب . ولو رأى .

(٥) أى الترقيق

فى بعض الأوقاتِ إذا قرأ : (س ٩٨) « لَمْ يَـكُنْ » ، تستعمل الإمالة فى القرآن جماعة ، هم الأئمة . ولم تـكتب المصاحف بالياء فى أمثال : (س ٩٣ آ ١، ٢) « وَٱلضُحَى ، وَٱللَّيْلِ إِذَا سَجَى » . ولـكن التفخيم أعلا وأشهر فى فصحاء العرب وهو الأصل والامالة داخلة فيه ، وليسَ التفخيم والاِمالةُ اختلافاً فى نفس اللغة ، و إنما ذلك اختلافٌ فى اللحن وتقدير الصوت وتزيينه ، وقد اختار كل فريق من العرب ما رآه وفق طباعه واتبعهم على اختلافهم متبعُون من غيرهم .

وكذلك الإدغام فإنه أمرٌ شائع فى سائر العَرب . ألاترَى انك لاتجد منهم إلا من يُدغم لام المعرفة عندَ الحروف التى تخرج من طرف اللسان ، كالتاء ، والثاء ، والدال والذال ، والنون ونحوها . وكذلك لا أحد من العرب إلا وهوَ يُدغم الطاء السا كنة قبل التاء والتاء السا كنة قبل الطاء كقوله : احطتُ بما لم تحط به . وقوله : (س ٣ آ ٧٢) « وَقَالَتْ طَائِفَةٌ » ، ونحو ذلك . وليس يكاد اللسان يطوعُ بالاظهار فى مثل هذه المواضع إلا على إكراه شديد . وكذلك اللام السا كنة قبل الراء كقوله : (س ٢١ آ ٤) : « قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ »[1] ، وقوله (س ٨٣ آ ١٤) : « بَلْ رَانَ » ، مع أن من أهل الحجاز من يظهر اللام هَاهُنا . ثم تختلف مذاهبُ العرب فى الإدْغام والاظهار فى كثير من الحروف وذلك أيضاً تزين الصوت ، وتحسين اللحن وليس باختلافٍ فى أصل اللغة ، ولـكنهم إذ قد تباينوا فيه عُدَّ فى اختلافِ لغاتهم .

فهذه الوجوه السبعة التى بها اختلفت لغات العرب قد أنزل الله باختلافها القرآن متفرقاً فيه ، ليعلم بذلك أن من نَزَلَ عن ظاهر التلاوة بمثله أو مَن تعذّر عليه ترك عادته فخرج إلى نحو ما قد نزل به ، فليس ملُوماً فيه ولامعاقباً عليه ، وكل ذلك إذا كان فيما لم تختلف فيه المعانى فإنه إنما ينسَبُ إلى اختلاف اللغات إذا

---

(١) انظر المتمنع ص ١٠١ و ١١١ و ١٢٠ .

لم يكن باختلاف المعَانى ، و إمّا أن تختلفَ العبارة باختلاف المعنى فذلك لا يقتضى الاختلاف فى اللغة ، لأن اللغات مبنية على اختلاف العبارات عن اختلاف المعانى . ثم لا يقُالُ فى اللغةِ الواحدة أنها لغاتٌ مختلفة من حيثُ عبّرت عن معَان مختلفة بعبارات مختلفة ، لذلك قلنا إن التيسير الذى حصَل لهذه الأمة من إنزال الله تعالى القرآن على سبعة أحرفٍ ، أى على سبع لغات ، إنما هو فيما لم تختلف فيه المعانى ، وعلى ذلك دَلّ ما روى عن الحسن قال : قرأ أنس بن مالكٍ (س ٩٤ آ ١ و ٢) : « أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ، وَحَلَلْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ »[1] . قال الحسن : فقلت يا أبا حمزة هذه قراءة أعرابيّة ؟ قال : ولِمَ ؟ . قلتَ : « وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ » . قال : ووضعنا ، وحطَطنا ، وَحَلَلنا كلٌ[2] قراءة . إن جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد : إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفٍ . قال : زدنى . قال : اُثنين [قال : زدنى .] . قال : ثلاثة . قال : زدنى ، فلم يزل يستزيده حتى عدّ سَبعة أحرف .

قلت : ألا ترى أنه اعتبر الألفاظ المبيّنة عن معنًى واحدٍ دون ما يختلف به المعنى .

وكذلك روى اُبن سيرين ، عن اُبن مسعودٍ أنه قال فى اختلاف القراءات : أنها بمنزلة قولهم : هلُمَّ ، وتعالَ ، وأقبلْ .

وروى عن همّام بن الحارث أن أبا الدرداء كان يُعلم رجلاً (س ٤٤ آ ٤٤) . « طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ » . فقال الرجل : « طعام اليتيم » ، وكرره عشرين مرة . فقال : قل « طعام الفاجر » .

وعن أبى بن كعب أنه كان يقرئ رجلاً فارسياً ، فكان إذا قرأ عليه « إِنَّ شَجَرَةَ ٱلزَّقُّومِ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ » . قال : « طعام اليتيم » . فمر به النبى

---

(١) انظر Materials ص ٢١٧ .

(٢) فى الأصل : كلاً .

صلى الله عليه وسلم فقال : « طَعَامُ الظالم » فَفَصُحَ بهَا لِسانه . فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأُبىّ بن كعب : قوّم لسانه وعلمه ، فإنك مأجورٌ ، و إن الذى أنزله لم يَلحَن فيه ، ولاَ الذى نزل به ، ولا الذى أُنزل عليه وأنه قرآن عربى .

وعن الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه قال : حدثنا حماد ، عن إبراهيم أن اُبن مسعودٍ كان يقرىء رجلاً أعجميا « إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طعَامُ الْأَثِيمِ » فجعل الرجل يقول « طعام اليتيم » ، فلمَّا أعياه قال لَهُ عبد الله : أما تحسن أن تقول « طَعَام الفاجر » .

قلت : لقد روى الابتلاء بهذا العجمى لأبيّ الدرداء ، ولأبى كَعَبٍ ، ولعبد الله اُبن مسعود فى هذه الكلمة الواحدة ، والأقرب أن يكون هذا الابتلاء لهم فى تارات مختلفة مع أنفس متغايرة ، وذلك أن حرف ثاء مما يكثر تعذره على العجمى حتى يبدل بها حرف تاء . وسورة الدخان (س ٤٤) هى التى يرغب فى حفظها الأُميُّون ، والنساءِ ، وأهل البلاَدَة لما يذكر من فضل من قرأها ، فلذلك كثرت البلوى فى هذه الكلمة خاصَّةً .

فإن قيل : إذا كان هذا التيسير الذى هو فى السبعة الأحرف[١] إنما كان فيما لايختلف المعنى فيه ، فما قولكم فى القراءات التى تختلف المعانى ؟ .

قلنا : إنها صحيحة منزلة من عند الله ، ولكنها خارجة من هذه السبعة الأحرف ، وليس يجوز أن يكون فيما أنزل الله من الألفاظ التى تختلف معانيها مايجرى اختلافها مجرى التضاد والتناقض ، لكن مجرى التغاير الذى لاتضاد فيه . ثم إنها تتجه على وجوه ، فمنها : أن يختلف بها الحكم الشرعى على المبادلة بمنزلة ماقرئ قوله تعالى : (س ٥ آ ٦) « وَأَرْجُلَكُمْ » بالنصب والكسر جميعاً . و إحدى القراءتين تقتضى فرض المسح والأخرى فرض الغسل . وقد بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل المسح للابس الخف فى وقته ، والغسل لحاسر الرجل .

---

(١) فى الأصل : والأحرف أنه

وروى عن سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن أنس ، وعن على بن أبى طالب جميعاً قالا : من قرأ «وَأَرْجُلِكُمْ» يرى المسح واجباً . ومن قرأ « وَأَرْجُلَكُمْ » يرى الغسل واجباً ، وجميعاً قالا يستقيم كلاهما ، لأنهما قالا : رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هكذا . وهكذا . وهذا الضرب هو الذى لاتجوز القراءة به إلا إذا تواتر نقله ، وثبت من الشارع بيانه ، وليس يُعْذَرُ من زَلَّ فى مثله عما هو المُنْزَل حتى يراجع الصَّوابَ ، ويفزع إلى الاستغفار ، وقد يكون مايختلف فيه الحكم على غير المبادلة لكن على الجمع بين الأمرين ، كقوله : (س ٢ آ ٢٢٢) «وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ» من الطُّهر ، « وحَتَّى يَطَّهَّرْنَ » مشددة الطاء من التطهُّر [١] ، فإن القراءتين تقتضيَان حكمين مختلفين يلزم الجمع بينهما . وذلك أن الحائض لايقربها زوجُها حتى تَطْهُرَ بانقطاع حيضها ، وحتى تَطَهَّرَ بالاغتسال . ومثله قوله تعالى : (س ٤٩ آ ٦) « إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا » . وقوله تعالى : (س ٤ آ ٩٤) « إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا » . وقرئت « فتثبتوا [٢] » وكلاهما واجبان ، التبين والتثبت جميعاً لايجوز ترك واحد منهما .

ومثله : قوله تعالى : (س ٢ آ ١٩١) « وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ » . وقرئ « وَلَا تَقْتُلُوهُم [٣] » ، وكلا الأمرين كان محظوراً قتلهم عند المسجد وقتالهم إلا أن يبدؤوا بالقتال . ولا تجوز القراءة فى أمثال هذه إلا بالنقل الظاهر ، ومن زلَّ فى مثله إلى مايقتضى أمراً قد عُلم ثبوته ولم يفرط فيه لم يلزمه فيه حرج (ويكون) بمنزلة أن تصحف قوله [٤] : (س١٧ آ ٣٢) «وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا» ، وتقرؤها بالراء والباء من الربا فى المال ، وهو منهىٌّ عنه كمثل الزنى ، أو زل من قوله :

---

(١) انظر التيسير ص ٨٠ .

(٢) انظر التيسير ص ٩٧ .

(٣) انظر التيسير ص ٨٠ .

(٤) فى الأصل بمنزلة قوله

(س ٢ آ ١٩٥) « وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ » إلى أن يقرأ : « وَاُتْفِقُوا فى سبيل الله » فجعل النون تاء من الموافقة ، ومعلوم أن الموافقة واجبة فى سبيل الله ، كما أن إنفاق المال فيها واجب . فإن كان عدوله عن ظاهر التلاوة على سبيل التعمد فهو ملوم على ذلك ، وكذلك إن كان ذلك لتفريطه فى كتاب الله تعالى ، و إعراضه عنه لشغله بطلب الدنيا ، فإنه فى حرج إذ ذاك فيما يزل به عن ظاهر التلاوة ، وإنما صرف الحرج عمن كان ذلك منه على سبيل السهو ، أو كان شغله العائق له عن مراعاة القراءة جهاد فى سبيل الله ، أو طلب العلم ، أو نحو ذلك . وقد راعى منها مالا بدَّ له منها . وقد روى عن الحسن أنه قال : أنزل القرآن لنعمل به ، فاتخذ الناس تلاوته عملا . وقد تختلف معنى القرائتين فى الخبر ، أو فى الخبر والأمر نحو قول الله تعالى : (س ١٢ آ ٤٥) « وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ » . معناه بعد مُدة . وقرأ ابن عباس « بعد أَمَة » ، معناه بعد نسيان [1] . و (س ٢ آ ٢٥٩) « وكَيْفَ نُنْشِرُهَا » . بالراء وبالزاى . والراء تقتضى الأحياء ، والزاى التحريك . وقراءة العامَّة (س ٢٦ آ ٦٤) « وَأَزْلَفْنَا » بالفاء ، ومن قرأ بالقاف بمعنى أهلكنا [3] فإن أراد قرّبنا وأدنينا فليس بينهما فرق .

وقوله : (س ٢٤ آ ١٥) « إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ » من التلقِّى أى : تقولونه وتقبلونه . وقرأت عائشة رضى الله عنها : « إذ تَلِقونه » من الوَلْقِ وهو الكذب [4] . وهذا اختلاف فى الجِدِّ ، ولكن المعنيان جميعاً قد ثبت صحتهما لأن صاحب السجن الذى نجا ذكر أمر يوسف بعد مدة وذكره بعد نسيانٍ . وكذلك

---

(١) انظر الاتحاف للبناء ص ١٦٠

(٢) انظر التيسير ص ٨٢

(٣) هى قراءة ابن مسعود وأبى بن كعب : انظر Materials ص ٦٨ و ١٥١

(٤) انظر Materials ص ٣٤٧ :

قد حرك الله العظامَ وأحياها يصح المعنيان جميعاً . والخائضون فى أمر عائشة رضى الله عنها قد تلقوه بالقول والقبول وهو كذب . فأنزل الله تعالى بالمعنيين فى عرضين.

ومثله قوله تعالى : (٣٤ آ ١٩) « بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا » على الخبر عن دُعاتهم ، و « بَاعَدَ »[١] على الخبر عن أخبارهم بذلك فإنهم دعو الله أن يفرّقهم فى البلاد . فلما فرقهم و باعد بين أسفارهم ، قالو « ربُّنا باعَدَ بَيْن أسفارنا » وأجاب دعوتنا . أخبر الله تعالى عنهم بالمعنيين فى عرضين .

وكذلك قوله : (س ٣٤ آ ٢٣) « فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ » بالزاى و بالعين ، وَ « فرُغ »[٢] بالراء والغين معجمة .

وقوله : (س ١٢ آ ٣١) « وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً » و « مُتْكًا »[٣] ونحو ذلك . ومن ذلك قوله تعالى: (س ٢ آ ١٢٥) « وَاتَّخِذوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى » على الأمر[٤] . وقرئ « وَاتَّخَذُوا » على الخبر ، وكلاهما صحيح لأنهم أُمروا بذلك وفعلوه ، فأنزل الله تعالى ذلك على الوجهين جميعاً فى عرضين .

وقد يكون الاختلاف بأن يزيد أحدهما فى بيان المراد على الآخر ، نحو قوله : (س١٧ آ ٢٣) « وَقَضَى رَبُّكَ » ، وفى قراءة ابن مسعود : « وَوَصَّى رَبُّكَ »[٥] والتوصية أوضح فى الدلالة على المراد من الآية ، إذا القضاء مشترك بين التوصية وغيرها . وكذلك قوله تعالى : (س ٢ آ ١٩٦) « فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ » ، وفى قراءة ابن مسعود «ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ »[٦] ففيه زيادة البيان .

---

(١) انظر الاتحاف ص ٢٢١

(٢) نفس المرجع .

(٣) انظر الاتحاف ص ١٦٠ .

(٤) الاتحاف ص ٨٩

(٥) انظر Materials ص ٥٤

(٦) هى قراءة أبى بن كعب انظر Materials ص ١٢٠ .

وكذلك من قرأ : (س ٢٠ آ ١٥) « أَكادُ أُخْفِيهاَ مِنْ نَفْسِى فَكَيْفَ أُظْهِرُ كُمْ عَلَيْهاَ »[١] وسبيل من تعمّد فى أمثال هذه بخلاف مانزل به القرآن ، وقد عرف صحة ماخرج إليه أو سها فيه فزلّ على ما اعلمتكم قبل هذا .

فأمّا تَضَادُّ المعانى وتنافيها فليس بموجودٍ فى كتاب الله تعالى ، وقراءة القرّاء ، إلا ما كان من ناسخ ومنسوخ ، وذلك ليس بمتضادٍ فى المعنى ، وإن ظنَّ به (ذلك) من لايعرف حقيقة النسخ من قبَل أن الأمر المنسوخ إنما كان فى علم الله وإرادته إلى أجل معلوم ، ولم يكشف عنه عند مبدأ الأمر .

ثم لمّا أن تناهت مدة الأمر ، وحل الأجل أبان عن تناهيها ، وكشف عن حكمه . وذلك : بمنزلةِ أن يأمر الطبيب مريضاً بلزوم ضرب من الطعام الذى يراه أوفق به ولم يبين له الأجل ، حتى إذا تغيرت حال المريض وعلم الطبيب أن غير ذلك الطعام أوفق به نهاه عنه وأمره بغيره ، وليس فى ذلك تضاد . ألا ترى أنه عز وجل لو أبان فى أول الأمر عن الأجل والأمر المعَاقِب له فقال : استقبلوا بيت المقدس بصلواتكم إلى تمام ثمانية عشر شهراً ، ثم ولوا وجوهكم شطر المسجد الحرام لم يكن فيه تناقضٌ ولا تضاد . وهذا القدر كاف فى هذا وبالله التوفيق .

---

(١) هذه هى أيضاً قراءة أبى بن كعب . انظر Materials ص ١٤٦ .

الفَصلُ العَاشِرُ

فى ذكر تنزيل الكتب ، وأجزاء القرآن

وعدد الآيات والكلمات والحروف

وَلمَّا أوضحنا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ، على سبعة أحرف ، بما يغنى عن الإعادة والإطناب ، صرنا إلى ذكر تنزيل الكتب ، وأجزاء القرآن ، وعدد الآيات والكلمات إذ هو آخر الأبواب ، فنقول :

روى عن مالك بن سليمان ، عن إبراهيم بن طهمان ، عن قتادة قال : أنزلت صحف إبراهيم لثلاث ليالٍ من رمضان ، وأنزلت التوراة لست ليالٍ مضين من رمضان ، وأنزل الإنجيل لثمان عشر ليلةً من رمضان ، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين من رمضان .

قال إبراهيم : سمعت قتادة يقولُ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أُعطيتُ السَّبعَ الطُوَل : مكان التوراة ، والمائين: مكان الإنجيل ، والمثانى : مكان الزبور ، وفضلتُ بالمفصل .

وعنهم عن مالك ، عن معمَرٍ بن الحسن ، عن أبان ، عن محمد بن أبى العالية ، عن أبى الجلدِ قال : نزلت صحف إبراهيم فى أول ليلةٍ من رمضان ، وذكر نزول التوراة ، والزبور ، والإنجيل ، والقرآن على نحو ما قال قتادة .

وأمَّا ذكر أجزاء القرآن ، فقد ذكرها الشيخ الأجل أبو سهل الأنمارى رضى الله عنه فى كتابه .

فأمَّا الانصاف ، فإنه روى عن الحسين بن أحمد الزعفرانى قال : أخبرنا محمد بن خالد البزَّاز . قال : أخبرنا أحمد بن محمد من ولد القاسم بن أبى بزّة قال : حدثنى أبى ، عن حميد بن عمرٍو قال : هذا حساب حميد الأعرج : النصف الأول

ينتهى إلى بعض خمسٍ وستين آيةً من سورة الكهف حيث قال : « إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ »[١] وهو الربع الثانى ، والسُدسُ الثالث ، والثمن الرابع ، والعشر الخامس ، وصارتْ « مَعِى صَبْرًا » من النِصف الثانى إلى آخر القرآن .

وأمَّا الأثلاث : فإن الثلث الأول ، ينتهى إلى بعض إحدى وتسعين آية من سورة براءة عند قوله تعالى : « وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا ٱللهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ »[٢] إلا حرفاً واحداً ، وهو الباء من «سَيُصِيبُ» وهو السُدسُ الثانى ، والسبعُ الثالثُ ، وَصَارَت الباء فى الثلث الثانى ؟ والثلث الثانى ، ينتهى إلى بعضِ ستّ وأربعين آيةً من سورة العنكبوت عند قوله : « وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلاَّ »[٣] وَهوَ السُّدسُ الرابع ، والسبعُ السادس ، وصارت « ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا » من الثلث الآخر . والثلث الآخر إلى آخر القرآن .

وروى يوسف بن موسى قال : حدثنا محمد بن يحيى قال : حدثنا يزيد بنُ النضر ، عن شهاب بن شَرِيقَة ، عن الحمانىّ فى الأثلاث ، الثلث الأول هذه الآية : « وَعَدَ ٱللهُ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْمُنَافِقَاتِ » إلى قوله « جَهَنَّمَ »[٤] .

وفيما يَروى محمد بن يحيى عن عبد الملك ، عن محبوبٍ ، عن شهاب ، ومُطهِّر عن الحمانىَّ رأس مائة من براءة (س ٩) ، والثانى : رأس هذه الآية من طسم القصص « أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ ٱللهُ عَلَيْكُمُ ٱللَّيْلَ سَرْمَدًا » إلى قوله « أَفَلاَ تَسْمَعُونَ »[٥] . أومائة و إحدى (عشرة) من طسم الشعراء (س ٢٦) ، والآخر مابقى .

وأمَّا الأرباع : فإن الربع الأول ينتهى إلى آخر حرف من أول آية من

---

(١) س ١٨ آ ٦٧ فى مصحفنا .

(٢) س ٩ آ ٩٠ فى مصحفنا .

(٣) س ٢٩ آ ٤٦ فى مصحفنا .

(٤) س ٩ آ ٦٨ فى مصحفنا .

(٥) س ٢٨ آ ٧١ فى مصحفنا .

سورة الأعراف عند قوله : (س ٧ آ ٢) « لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ » ، وهو الثمن الثانى ، وصارت « اتّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ » من الربع الثانى . والربع الثانى : ينتهى إلى بعض خمس وستين آية من سورة الكهف عند قوله : (س ١٨ آ ٦٧) : « إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ » ، وصارت « مَعِيَ صَبْرًا » من الربع الثالث . والربع الثالث : ينتهى إلى بعض مائة وثمان وأربعين آية من سورة والصافات عند قوله : (س ٣٧ آ ١٤٨) « فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ » ، وهو الثمن السادس ، وصارت « إِلَى حِينٍ » من الربع الرابع ، والربع الرابع : إلى آخر القرآن .

وفى رواية الحمانى : الربع الأول : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام [1] . والثانى : فى الكهف : (س ١٨ آ ١٩) «وَلْيَتَلَطَّفْ» ، والثالث : خاتمة يس (س ٣٦ آ ٨٣) . وفى رواية عبد الملك خاتمة الزمر (س ٣٩ آ ٧٥) . والرابع : ما بقى .

وأما الأخماس ، فإن الخمس الأول : ينتهى إلى بعض اثنتين وثمانين آية من سورة المائدة عند قوله : (س ٥ آ ٨٠) « لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ » ، وهو العشر الثانى ، وصارت « وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ » من الخمس الثانى . والخمس الثانى : ينتهى إلى بعض ستٍّ وأربعين آية من سورة يوسف عند قوله : (س ١٢ آ ٤٦) « لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ » ، وهو العشر الرابع ، وصارت «لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ» من الخمس الثالث . والخمس الثالث : ينتهى إلى بعض إحدى وعشرين آية من سورة الفرقان عند قوله : (س ٢٥ آ ٢١) « لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا » ، وهو العشر السادس ، وصارت « لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ » من الخمس الرابع . والخمس الرابع : ينتهى إلى بعض خمس وأربعين آيةً من سورة حم السجدة عند قوله : (س ٤١ آ ٤٦) « مَنْ عَمِلَ

(١) أى من أول الفاتحة إلى س ٦ آ ١٦٥ .

صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ » ، وهو العشر الثامن ، وصارت « أَسَاءَ فَعَلَيْهَا » من الخمس الآخر . والخمس الخامس آخر القرآن .

وفى رواية الحمانى : الخمس الأول : إلى عشر ومائة من المائدة (س ٥ آ ١٠٧) « وَمَا اُعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَنْ لَمِنَ اُلظَّالِمِينَ » . والثانى : إلى تسعين من يوسف : (س ١٢ آ ٩٠) « إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ اُلْمُحْسِنِينَ[1] » . والثالث : السجدة من سورة الفرقان (س ٢٥ آ ٦٥) . والرابع : إلى عشر آيات من عسق (س ٤٢ آ ١٢) « بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » . والخامس : ما بقى .

وأما الأسداس : فالسدسُ الأول ينتهى إلى بعض إحدَى وأربعين ومائة آية من سورة النساء عند قوله : (س ٤ آ ١٤٢) « وَإِذَا قَامُوا إِلَى اُلصَّلاَةِ قَامُوا » وصارت « كُسَالَى » من السدس الثانى . والسدس الثانى : ينتهى إلى بعض إحدى وتسعين آية من سورة براءة عند قوله : (س ٩ آ ٩٠) « وَقَعَدَ اُلذِينَ كَذَبُوا اُللهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ » إلا حرفاً واحداً ، وهو البـاء الذى فى آخر « سَيُصِيبُ » ، وهو الثلث الأول ، وصارت الباء من السدس الثالث . والسُّدُس الثالث : إلى بعض خمسٍ وأربعين آية فى سورة العنكبوتِ عند قوله : (س ٢٩ آ ٤٦) « وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ اُلْكِتَابِ إِلاَّ بِاَلَّتِى هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ » وهو الثلث الثانى ، وصارت « اُلَّذِينَ ظَلَمُوا » من السدس الخامس[2] . والسدس الخامس : ينتهى إلى بعض أربع وثلاثين آية من سورة حم الجاثية عند قوله : (س ٤٥ آ ٣٥) « فَاُلْيَوْمَ لاَ يُخْرَجُونَ مِنْهَا » ، وصارت « وَلاَهُمْ » من السادس . والسدس السادس : إلى آخر القرآن .

وفى رواية الحمانى السدسُ الأولُ : من البقرة إلى خاتمة النساء (س ٤ آ ١٧٦) . والثانى : خاتمة براءة (س ٩ آ ١٢٩) . والثالث : خاتمة الكهف

---

(١) وفى مصحفنا : فإن الله لا يضيع أجر المحسنين .

(٢) فقد من الأصل ذكر السدس الرابع .

(س ١٨ آ ١١٠) . والرابع : خاتمة العنكبوت (س ٢٩ آ ٦٩) . والخامس : خاتمة الأحقاف . (س ٤٦ آ ٣٥) ، والسادس : ما بقى .

وأمَّا الأسبَاعُ وأَنصافها : فالسبع الأولُ : ينتهى إلى بعضِ ستٍّ وخمسين آية من سورة النســاء عند قوله : (س ٤ آ ٥٧) « لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ » ، وَصَارَتْ « وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً » من السبع الثانى .

والسبع الثانى : ينتهى إلى بعض سبع وستين ومائة آية من سورة الأعراف عند قوله : (س ٧ آ ١٦٧) « مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ » ، وصارتْ « الْعِقَابِ » من السبع الثالث .

والسبع الثالث : ينتهى إلى بعض أربع وعشرين آية من سورة إبراهيم عند قوله : (س ١٤ آ ٢٢) « وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ » ، وصارتْ الميم والكاف اللتان فى « عليكم » من السبُع الرابع .

والسبع الرابع : ينتهى إلى بعض تسع وأربعين آيةً من سورة المؤمنين عند قوله : (س ٢٣ آ ٤٩) « وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ » ، وصارت « لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ » من السبع الخامس .

والسبع الخامس : ينتهى إلى بعض ثمانى عشرة آية من سورة سبأ عند قوله : (س ٣٤ آ ١٨) « قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا » ، وصارت النون والألف اللتان فى « قَدَّرْنَا » من السبع السادس .

والسبع السادس : ينتهى عند آخر حرف من الآية الثانية من أول سورة الحجرات عند قوله : (س ٤٩ آ ٢) « وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ » ، وصارت « إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ » من السبع الآخر ، والسبع الآخر إلى آخر القرآن .

وعن محمد بن يحيى قال : حدثنا الحجَّاجُ بن منهالٍ قال : حدثنا همامٌ ، عن قتادة ، قال : السبع الأول : ينتهى إلى قوله : (س ٤ آ ٧٦) « إِنَّ كَيْدَ

ٱلشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً » . والثانى : فى الأنفال إلى قوله : (س ٨ آ ٣٦) « إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ » . والثالث : فى الحجر (س ١٥ آ ٤٩) « نَبِّئْ عِبَادِي » إلى « ٱلْأَلِيمُ » . والرابع : خاتمة المؤمنين (س ٢٣ آ ١١٨) . والخامس : خاتمة سبأ (س ٣٤ آ ٥٤) . والسادس : خاتمة الحجرات (س ٤٩ آ ١٨) . والسابع ما بقى .

وأمّا الأسبَاعُ المعروفة عندنا على تأليف أهل الكوفة : فأول سبع : من أول فاتحة القرآن إلى قوله : (س ٤ آ ٦١) « صُدُودًا » . والمنصف قوله : (س ٢ آ ٢٦٦) « فَٱحْتَرَقَتْ » إلى قوله : « تَتَفَكَّرُونَ » . والسبع الثانى : إلى قوله : (س ٧ آ ١٧٠) « إنّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ » . والمنصف : قوله : (س ٦ آ ١٢) « ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ » . والسبع الثالث : قوله : (س ١٤ آ ٢٥) « وَيَضْرِبُ ٱللهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ » ، والمنصف قوله : (س ١٠ آ ٦٠) « إِنَّ ٱللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ » . والسبع الرابع : إلى قوله : (س ٢٣ آ ٥٥) « مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ » من المؤمنين ، والمنصف : قوله : (س ١٨ آ ٧٤) « لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْرًا » من سورة الكهف . والسبع الخامس : إلى قوله : (س ٣٤ آ ٢٠) « فَرِيقاً مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ » . والمنصف قوله : (س ٢٨ آ ٢١) « نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ » من القصص . والسادس : إلى خاتمة سورة الفتح (س ٤٨ آ ٢٩) . والمنصف : قوله : (س ٤٠ آ ٤٠) « بِغَيْرِ حِسَابٍ » من سورة المؤمن . والسابع : إلى آخر القرآن . والمنصف خاتمة التغابن (س ٦٤ آ ١٨) .

وفيما أخبرنا الشيخ محمد بن الهيصم رضى الله عنه ، قال : أخبرنا أبو النضر محمد ابن على قال : أخبرنا الشيخ الأجل أبو سهل الأنمارىّ رضى الله عنه قال : أخبرنا يوسف بن موسى ، قال : حدثنا محمد بن يحيى القطعى ، قال : حدثنا يزيد بن النصر

المجاشعىّ ، قال : حدثنا شهاب بن شريقة ، عن راشد أبى محمد الحمانى فى الأسباع قال : السبعُ الأولُ : البقرة ، وآل عمران إلى هذه الآية من سورة النساء : (س ٤ آ ٥٦) « كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلوداً » إلى « حَكِيما » . والسبع الثانى : إلى هذه الآية من الأعراف (س ٧ آ ١٤٧) « حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ » إلى « يَعْمَلُونَ » . والثالث : إلى هذه الآية من الرعد (س ١٣ آ ٣٥) « تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا وَعُقْبَى ٱلْكَافِرِينَ ٱلنَّارُ » . والرابع : إلى هذه الآية من الحج : (س ٢٢ آ ٦٧) « وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكا » إلى « مُسْتَقِيمٍ » . والخامس : إلى هذه الآية من الأحزاب (س ٣٣ آ ٣٦) : « وَمَنْ يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ » إلى « مُبِيناً » . والسادس : إلى هذه الآية من الفتح : (س ٤٨ آ ٦) « ٱلظَّانِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ » إلى قوله « مَصِيراً » . والسابع : آخر القرآن .

وعن عبد الملك بن عبد الرحمن قال : حدثنا محبوب ، عن شهاب بن شريقة ، عن الحمانى ، ومحمد بن مطهر بن خالد الربعىّ ، عن الحمانى : السبع الأول : (س ٤ آ ٥٥) « وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ » فى الدال . والثانى : (س ٧ آ ١٤٧) « حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ » فى التاء . والثالث : (س ١٣ آ ٣٥) « أُكُلُهَا دَائِمٌ » ، فى ألف « أُكُلُهَا » . والرابع : (س ٢٢ آ ٦٧) « جَعَلْنَا مَنْسَكا هُمْ نَا » فى الألف[1] . والخامس : (س ٣٣ آ ٣٦) « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ » فى الهاء[2] . والسادس : (س ٤٨ آ ٦) « ظَنَّ ٱلسَّوْءِ » فى الواو . والسابع : آخر القرآن .

وأمّا الأثمان : فإن الثمن الأول ينتهى إلى بعض مائة وخمس وتسعين آية من سورة آل عمران عند قوله : (س ٣ آ ١٩٧) « متاع قلِيلٌ ثُمَّ مَا » ، وصارت الواو ، والياء ، والهاء ، والميم التى فى « مَاوَيهُمْ » من الثمن الثانى . والثمن الثانى : ينتهى إلى آخر حرف من أول مائة ، من سورة الأعراف عند قوله : (س ٧ آ ٢)

(١) اى ألف « ناسكوه »

(٢) وهى تاء مؤمنة

« لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ » ، وهو الربع الأول ، وصارت « اُتَّبِعُوا مَاأُنْزِلَ » من الثمن الثالث . والثمن الثالث : ينتهى إلى بعض تسع وثلاثين آية من سورة هود عند قوله : (س ١١ آ ٤٠) « حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ اُلتَّنُّورُ » . وصارت « قُلْنَا اُحْمِلْ » من الثمن الرابع . والثمن الرابع : ينتهى إلى بعض خمس وستين آية من سورة الـكهف عند قوله : (س ١٨ آ ٦٧) «إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ » وهو النصف ، وصارت «مَعِىَ صَبْراً» من الثمن الخامس . والثمن الخامس : ينتهى إلى آخر حرف من آخر آية من طسم الشعراء عند قوله : (س ٢٦ آ ٢٢٧) «أَىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » ، وصارت أول طس النمل (س ٢٧) من الثمن السادس . والثمن السادس : ينتهى إلى بعض مائة وثمان وأربعين آية من سورة الصافات عند قوله : (٣٧ آ ١٤٨) « فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ » وهو الربع الثالث ، وصارت « إِلَى حِينٍ » من الثمن السابع . والثمن السابع ينتهى إلى آخر حرف من أول عشر ، من أول سورة النجم عند قوله : (س ٥٣ آ ١٠) « فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَاأَوْحَى» ، وصارت « مَا كَذَبَ اُلْفُؤَادُ » من الثمن الثامن ، والثمن الثامن : إلى آخر القرآن .

وفى رواية إبراهيم التيمىّ : الثمن الأول : من أول البقرة إلى قوله من النساء (س ٤ آ ٢٠) « وَإِنْ أَرَدْتُمُ اُسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ » . والثانى : (س ٧ آ ٥٠) « إِنَّ اُللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى اُلْـكَافِرِينَ » من الأعراف . والثالث : (س ١١ آ ٧٨) « وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ اُلسَّيِّئَاتِ » فى هود . والرابع : (س ١٨ آ ٩٤) « نَجْعَلُ لَكَ خَرَاجاً »[1] من سورة الـكهف . والخامس : فى النمل (س ٢٧ آ ١٣) « قَالُوا هٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ » . والسادس : (س ٣٨ آ ٢٣)

---

(١) فى مصحفنا « خرجاً » ، ولـكنه فى بعض المصاحف « خراجاً » : انظر المقنع ص ١٠١

« وَعَزَّنِى فى ٱلْخِطَابِ » فى ص . والسابع : (٥٤ آ ١٨) « كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ » فى اقتربت . والثامن : مابقى .

وأمَّا الأتساعُ . فالتسع الأولُ ينتهى إلى بعض مائة وثلاث وأربعين آية من سورة آل عمران عند قوله : (س ٣ آ ١٤٣) « تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَ » ، وصارت النون والتاء والميم فى « وَأَنْتُم » من التسع الثانى . والتسع الثانى : ينتهى إلى بعض أربع وخمسين آية من سورة الأنعام عند قوله : (س ٦ آ ٥٣) « لِيَقُولُوا أَهؤُلَاءِ مَنَّ ٱللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا » ، وصارت «أَلَيسَ ٱللهُ » من التسع الثالث . والتسع الثالث : ينتهى إلى بعض إحدى وتسعين آية من سورة براءة عند قوله : (س ٩ آ ٩٠) «وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا ٱللهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ » إلا حرفاً واحداً وهو الباء التى فى آخر « سَيُصِيبُ » ، وهو الثلث الأول ، وصارت الباء من التسع الرابع . والتسع الرابع : ينتهى إلى بعض إحدى عشرة آية من سورة النحل عند قوله : (س ١٦ آ ١١) « يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ إِنَّ فِى» ، وصارت « ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » من التسع الخامس . والتسع الخامس : ينتهى إلى بعض ثمان وعشرين آية من سورة الحج عند قوله : (س ٢٢ آ ٣٠) « فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلأَ » ، وصارت النون ، والعين ، والألف ، والميم فى « ٱلأَنْعَامُ » من التسع السادس . والتسع السادس : ينتهى إلى بعض ست وأربعين آية من سورة العنكبوت عند قوله : (٢٩ آ ٤٦) « وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا » وهو الثلث الثانى ، والسُّدُسُ الرابع ، وصارت « ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا » من التسع السابع ، والتسع السابع : ينتهى إلى بعض آيات من سورة حم المؤمن عند قوله : (س ٤٠ آ ١٠) « يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُم » ، وصارت « أَنْفُسَكُمْ » من التسع الثامن . والتسع الثامن : ينتهى إلى بعض سبع عشرة آية من أول الواقعة عندقوله : (س ٥٦ آ ١٣ و ١٤)

« ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ على » ، وصارت « سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ » من التسع الأخير . والتسع الأخير إلى آخر القرآن .

وعن الحمانىّ التسعُ الأول : (س ٣ آ ١٦٧) « واللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ » فى آل عمران . والثانى : فى الأنعام (س ٦ آ ٩٥) « فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوى » . والثالث : فى براءة (س ٩ آ ١٢٢) « لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ » . والرابع : فى النحل (س ١٦ آ ٣٦) « عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ » ، والخامس : فى الحج (س ٢٢ آ ٣٣) « إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ » . والسادس : فى العنكبوت (س ٢٩ آ ٦٢) « ويَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » والسابع : فى حم المؤمن (س ٤٠ آ ٢٩) « إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ » . والثامن : فى الواقعة (س ٥٦ آ ٨٩) « فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نعيمٍ » . والتاسع : ما بقى .

وأمّا الأعشار . فإن العشر الأول : ينتهى إلى بعض إحدى وتسعين آية من سورة آل عمران عند قوله : (س ٣ آ ٩٢) « لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا » ، وصار « تُحِبُّونَ » من العشر الثانى . والعشر الثانى : ينتهى إلى بعض اثنتين وثمانين آية من المائدة عند قوله : (س ٥ آ ٨٠) « لَبِئْسَمَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ » ، وهو الخمس الأول ، وصارت « فِي الْعَذَابِ » من العشر الثالث . والعشر الثالث : ينتهى إلى آخر حرف من اثنتين وثلاثين آية من سورة الأنفال عند قوله : (س ٨ آ ٣٢) « فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً » إلى « أَلِيمٍ » ، وصارت « وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ » من العشر الرابع ، والعشر الرابع : ينتهى إلى بعض ست وأربعين آية من يوسف عند قوله تعالى : (س ١٢ آ ٤٦) « أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ » ، وصارت « لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ » من العشر الخامس . والعشر الخامس : ينتهى إلى بعض خمس وستين آية من الكهف عند قوله : (س ١٨ آ ٦٧) : « إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ » ، وهو النصف الأول ، والربع الثانى ، والسدس الثالث ، والثمن الرابع ،

وصارت « مَعِىَ صَبْراً » من العشر السادس . والعشر السادس : ينتهى إلى بعض إحدى وعشرين آية من الفرقان عند قوله : (س ٢٥ آ ٢١) « أَوْ نَرَى رَبَّنَا » وهو الخمس الثالث ، وصارت « لَقَدِ اُسْتَكْبَرُوا » من العشر السابع . والعشر السابع : ينتهى إلى بعض إحدى وثلاثين آية من الأحزاب عند قوله : (س٣٣ آ ٣١) « وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ » ، وصارت « صَالِحاً » من العشر الثامن . والعشر الثامن : ينتهى إلى بعض خمسٍ وأربعين آية من حم السجدة عند قوله : (س ٤١ ا ٤٦) «مَنْ عَمِلَ صالحاً فَلِنفْسِهِ وَمَنْ» ، وهو الخمس الرابع ، وصارت «أَسَاءَ فعَلَيْهَا» من العشر التاسع . والعشر التاسع : ينتهى إلى بعض خمسٍ وعشرين آية من الحديد عند قوله : (س ٥٧ آ ٢٦) « وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا[١] اُلنُّبُوَّةَ وَاُلْكِتَابَ » ، وصارت « فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ » من العُشْر العاشِر . والعشر العاشر إلى اخر القران .

وفى رواية الانمارىّ عن الحمانىّ ، العشر الأول : من البقرة إلى قوله : (س٣ آ ١١٠) «وَأَكْثَرُهُمُ اُلْفَاسِقُونَ» من آل عمران . والعشر الثانى : إلى قوله : (س٥ آ ١٠٧) « إنَّا إذاً لَمِنَ اُلظَّالِمِينَ » من المائدة . والثالث : خاتمة الأنفال (س٨ آ ٧٥) . والرابع : إلى قوله : (س١٢ آ ٩٠) «إنَّه مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ» إلى «اُلْمُحْسِنِينَ» من يوسف . والخامس : خاتمة الكهف (س ١٨ آ ١١٠) . والسادس : السجدة من الفرقان (٢٥ آ ٦٠) « وَزَادَهُمْ نُفُورًا » . والسابع : قوله : (س ٣٣ آ ٦٠) «ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إلاَّ قَلِيلاً» من الأحزاب . والثامن : قوله : (س٤٢ آ ١٢) « بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » من عسق . والتاسع : خاتمة الحديد (س ٥٧ آ ٢٩) . والعاشر : آخر القرآن .

وأمّا الأنصاف فإنه رُوِى عن الحسن بن أحمد الزعفرانى قال : أخبرنا محمد بن خالدٍ البزاز قال : أخبرنا أحمد بن محمد من ولد القاسم بن أبى بزّة قال : حدثنا

(١) فى الأصل : فى ذريته .

أبى عن حميد بن عمرٍو قال : هذا حساب حميد الأعرج ، النصف الأول ينتهى إلى بعض خمس وستين آية من الـكهف حيث قال : (س ١٨ آ ٦٧) « إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ » ، وهو الربع الثانى ، والسدس الثالث ، والثمن الرابع ، والعشر الخامس ، وصارت « معِىَ صَبْرًا » من النصف الثانى إلى آخر القرآن . فهذه الفصول (على) ما حسب حميد الأعرج إلا ما ذكرته عن الحمانى . وَرُوِى عن الحمانىّ أن النصف قوله فى الـكهف (س ١٨ آ ١٩) « وَلْيَتَلَطَّفْ » فى الفاء .

وأمَّا عدد ألآى : فروى عن اُبن مسعود قال : آيات القرآن ستَّةُ الفٍ ومائتان وثمانى عشرة آية . وحروفها ثلاث مائة الف حرف وستمائة حرف وتسعون حرفاً . فَلتَالِى القرآن بكل حرف منها عشر حسنات .

والقرآن كله فى عَدَدِ أهل مكة ستة آلاف آية ومائتا آية وعشر آيات ، فيما ذكره الزعفرانى عن عكرمة بن سليمان . وذكر مثله عن مجاهد ، وعن عبد الله اُبن كثير ، عن مجاهد أنه قال : القرآن ثلاث مائة الف حرف وواحدٌ وعشرون الف حرف ومائة وثمانية وثمانون حرفاً .

وعن إسماعيل بن جعفر ، أن القرآن كله ستة ألاف آية ومائتا آية وأربعة عشرة آية . وعن شيبة بن نصَاح ، أنه ستة ألاف آية ومائتا آية وسبع عشرة آية وكلماته : عند أهل المدينة سبع وسبعون الف كلمة وأربعمائةٍ وتسع وثلاثون كلمة وحروفه : ثلاث مائة الف حرف وثلاثة وعشرون الف حرفٍ وخمسة عشر حرفاً .

وعن اُبن سيرين ، القرآن ستة ألاف آية ومائتان وست عشرة آية .

وعن زيد بن عبد الواحد أبى المعَافى الضرير قال : عدد أهل الـكوفة ستة ألاف آية ومائتا آية وستٌ وثلاثون آية ، وينسب عددهم إلى أبى عبد الرحمن السُّلمى ، عن علي بن أبى طالبٍ رضى الله عنه .

وعَدَدُ أهل البصرة ، ستة آلافٍ ومائتان وأربعُ آيات ، وينسب عددهم إلى عاصم الجحدرىّ . وعن أبى جعفر يزيد بن القعقاع ، أنه ستة آلافٍ ومائتان وعشر آيات .

وفى عدد أهل الشام ، ستة آلافٍ ومائتان وست وعشرون آية ، وينسبُ عددهم إلى يحيى بن أبى الحرث الذمارىّ .

وعن حميد الأعرج قال : جميع آى القرءان ستة آلاف آية ومائتا آية واثنتا عشرة آية . النصفُ الأول ألفا آية ومائتا آية وآيتان . والنصفُ الثانى أربعة آلاف آية وعشرة آياتٍ . والثلثُ الأول ألف آية وثلاثمائة آية وثلاث وعشرون آية . والثلث الثانى ألفا آية وأربع وخمسون آية . والثلث الثالث ألفا آية وثمان مائة آية وخمس وثلاثون آية . والربع الأول تسعمائة وخمسون آية ، والربع الثانى ألف آية ومائتا آية واثنتان وخمسون آية. والربع الثالث ألف آية وسبعمائة واحدَى وعشرون آية . والربع الرابعُ ألفا آية ومائتا آية وثمانون وتسع آيات . والخمس الأول : سبعمائة واثنتان وأربعون آية . والخمس الثانى : ثمان مائة وست وتسعون آية . والخمس الثالث : ألف آية ومائتا آية وثمان وعشرون آية . والخمس الرابع : ألف آية وثلاث مائة آية وتسع وسبعون آية . والخمس الخامس : ألف آية وتسعمائة وسبع وستون آية .

والسُدس الأول : ستمائة وخمس وعشرون آية . والسدس الثانى : ستمائة وسبع وتسعون آية . والسدس الثالث : ثمانمائة وثمانون آية . والسدس الرابع : الف آية ومائة وأربع وسبعون آية . والسدس الخامس : ألف آية ومائة وست آياتٍ . والسدس السادس : ألف آية وسبعمائه وثلاثون آية .

والسبع الأول: خمسمائة وخمسون آية . والسبع الثانى: خمسمائة وخمس وسبعون آية . والسبع الثالث: ستمائة وأربع وخمسون آية . والسبع الرابع : تسعمائة وأربعون آية . والسبع الخامس : تسعمائة وآيتان . والسبع السادس : تسعمائة واثنتان وسبعون

آية . والسبع السابع : ألف آية وستُ مائة وتسع وعشرة آية .

والثمن الأول : أر بعمائة وثمانون آية . والثمن الثانى : أر بعمائة وإحدى وسبعون آية . والثمن الثالث : خمسمائة وسبع وخمسون آية . والثمن الرابع : ستمائة وخمس وتسعون آية . والثمن الخامس : تسعمائة وخمس وأر بعون آية . والثمن السادس : سبعمائة وست وسبعون آية . والثمن السابع : ثمانمائة واثنتان وأر بعون آية . والثمن الثامن : ألف وأر بعمائة وستٍ وأر بعون آية .

والتسع الأول : أر بعمائة وثمان وعشرون آية . والتسع الثانى : أر بعمائة وتسع آيات . والتسع الثالث : أر بعمائة وست وثمانون آية . والتسع الرابع : خمسمائة وثمان وثمانون آية . والتسع الخامس : سبعمائة وأر بع آيات . والتسع السادس : سبعمائة واثنتان وستون آية . والتسع السابع : سبعمائة وثمان وأر بعون آية . والتسع الثامن : ثمانمائة وتسع وثلاثون آية . والتسع التاسع : ألف آية ومائتا آية وثمان وأر بعون آية .

والعشر الأولُ : ثلاثمائة وست وسبعون آية . والعشر الثانى : ثلاثمائة وست وستون آية . والعشر الثالث : أر بعمائة وست وأر بعون آية . والعشر الرابع : أر بعمائة وخمسون آية . والعشر الخامس : خمسمائة وأر بع وستون آية . والعشر السادس : ستمائة وثلاث وستون آية . والعشر السابع : ستمائة وسبع وثمانون آية . والعشر الثامن : ستمائة واثنتان وتسعون آية . والعشر التاسع : ثمان مائة وثمان وعشرون آية . والعشر العاشر : ألفُ ومائة وأر بعون آية .

وأما أعداد الحروف والكلمات فذكر بعض العادِّينَ أن عَدَد كلام القرءان سبع وسبعون ألف كلمة وأر بعمائة كلمة وست وثلاثون كلمة .

وعدد حروفه ثلاث مائة ألف حرف ، وعشرون ألف حرف ، ومائتان واحد عشر حرفا .

وعدد ألفات القرآن : ثمانية وأر بعون ألفاً وثمانمائة حرف .

وعدد الباء : أحد عشر ألفاً ومائتا حرف وحرف واحد .

وعدد التاء : عشرة آلاف ومائة وتسعة وتسعون حرفاً .

وعدد الثاء : ألف ومائتان وستة وسبعون حرفاً .

وعدد الجيم : ثلاثة آلاف ومائتان وثلاثة وسبعون حرفاً .

وعدد الحاء : ثلاثة آلافٍ وتسعمائة وثلاثة وتسعون حرفاً .

وعدد الخاء : ألفان وأربعمائة وستة عشر حرفاً .

وعدد الدال : خمسةُ آلافٍ وستمائة واثنان وأربعون حرفاً .

وعدد الذال : أربعة آلاف وستمائة وتسعة وتسعون حرفاً .

وعدد الراء : أحد عشر ألفاً وسبعمائة وثلاثة وتسعون حرفاً .

وعدد الزاى : ألف وخمسمائة وسبعون حرفاً .

وعدد السين : خمسة آلاف وثمانمائة وأحد وتسعون حرفاً .

وعدد الشين ألفان ومائتان وثلاثة وخمسون حرفاً .

وعدد الصاد : ألفان وأحد وثمانون حرفاً .

وعدد الضاد : ألفان وستمائة وسبعة أحرف .

وعدد الطاء : ألف ومائتان وأربعة وسبعون حرفاً .

وعدد الظاء : ثمانمائة واثنان وأربعون حرفاً .

وعدد العين : تسعة آلاف وعشرون حرفاً .

وعدد الغين : [1] ومائتان وثمانية أحرف.

وعدد الفاء : ثمانية آلاف وأربعمائة وسبعة وتسعون حرفاً .

وعدد القاف : ستة آلآف وثمانمائة وثلاثة وعشرون حرفاً .

وعدد الكاف : عشرة آلآف وثلاث مائة وأربعة وخمسون حرفاً .

وعدد اللام : ثلاثة وثلاثون ألفاً وخمسمائة واثنان وعشرون حرفاً .

---

(١) بياض فى الأصل وفى الكشكول للعاملى ص ٢٠١ هو ٧٤٩٩ .

وعدد الميم : ستة وعشرون ألفاً ومائة وخمسة وثلاثون حرفاً .

وعدد الواو : خمسة وعشرون ألفاً و خمسمائة وستة وثلاثون حرفاً .

وعدد (الهاء) : تسعة عشر ألفاً وتسعون حرفاً .

وعدد (الياء) خمسة وعشرون ألفاً وتسعمائة وتسعة عشر حرفاً .

وذكر أن الحجاج بن يوسف جمع القراء[1] والكتبة فعدوا له جميع آى القرآن وكلامه وحروفه فبلغ (آيه) ستة آلاف ومائتين وعشرين آية . وقيل : بل وجدَه ستة آلاف آية ومائتى آية وأربع آيات .

ووجدوا كلامه سبعاً وسبعين ألف كلمة وأربعمائة وأربعاً وثلاثين كلمة . وحروفه ثلاثمائة ألف حرف وخمسة وعشرين ألفاً واثنين وسبعين حرفاً .

وعدد آيات كل سورة وكلامها وحروفها سورةً سورةً بما يطول ذكرها مفصلة . وليس كذلك من شرط هذا الكتاب .

فعرفت بما ذكرنا أنهم أجمعوا على أن القرآن هو هذا الذى جَزَّءوه أثلاثاً وأرباعاً ، وأخماساً وعدوا آيهُ ، وكلماته وحروفه ، فمن خالفهم فقد خالف الجميع وكفاه بمخالفة الجميع خزياً ونكالاً ، وكفاك بما أوضحنا لك حجة واستدلالاً ، فاعرفْه ، وبالله التوفيق .

---

(١) فى الأصل : جمع القرآن عداً

مقدمة ابن عطية

لتفسيره المسمى

الجامع المحرر

وعدد الميم : ستة وعشرون ألفاً ومائة وخمسة وثلاثون حرفاً .

وعدد الواو : خمسة وعشرون ألفاً وخمسمائة وستة وثلاثون حرفاً .

وعدد (الهاء) : تسعة عشر ألفاً وخمسون حرفاً .

وعدد (الياء) خمسة وعشرون ألفاً وتسعمائة وتسعة عشر حرفاً .

وذكر أن الحجاج بن يوسف جمع القراء[١] والسكتبة فعدوا له جميع آي القرآن وكلامه وحروفه فبلغ (آيه) ستة آلاف ومائتين وعشرين آية . وقيل : بل وجدوه ستة آلاف آية ومائتي آية وأربع آيات .

ووجدوا كلامه سبعاً وسبعين ألف كلمة وأربعمائة وأربعاً وثلاثين كلمة . وحروفه ثلاثمائة ألف حرف وخمسة وعشرين ألفاً واثنين وسبعين حرفاً .

وعدد آيات كل سورة وكلامها وحروفها سورة سورة مما يطول ذكرها مفصلة ، وليس كذلك من غرض هذا الكتاب .

فعرفت بما ذكرنا أنهم أجمعوا على أن القرآن هو هذا الذي جزءوه أثلاثاً وأرباعاً ، وأخماساً وعدوا [illegible] فمن خالفهم فقد خالف الجميع وكفاه بمخالفة الجميع خزياً ونكالاً ، وكفاك بما أوضحنا لك حجة واستدلالاً ، فاعرفه ، وبالله التوفيق .

---

(١) في الأصل : جمع القرآن عدداً

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الفقيه الإمام الحافظ القاضى أبو محمد عبد الحق بن الفقيه الحافظ أبى بكر ابن عطية رضى الله عنهما ورحمهما آمين :

الحمد لله الذى بَرَأَ النسم ، وأفاض النعم ، ومنح القسم ، وسنَّى [١] من توحيده وعبادته العصم [٢] ، ذى العزة القاهرة ، والقدرة الباهرة، والآلاء المتظاهرة الذى أوجدنا بعد العدم ، وجعلنا من الخيار الوسط فى الأمم ، وخولنا عوارف لا تحصى ، وهدانا شرعة رمت بنا من رضوانه إلى الغرض الأقصى . أنزل إلينا القرآن العزيز ، وعد فيه و بشر ، وأوعد وحذر ، ونهى وأمر ، وأكمل فيه الدين ، وجعله الوسيلة الناجحة والحبل المتين ، و يسره للذكر ، وخلده غابر الدهر ، عصمة للمتعصمين . ونوراً صادعاً فى مشكلات المختصمين ، وحجة قائمة على العالم ، ودعوة شاملة لفرق بنى آدم ، كلامه الذى أعجز الفصحاء ، وأخرس البلغاء ، وشَرَّف العلماء ، له الحمد دائباً ، والشكر واصباً ، لا إله إلا هو رب العرش العظيم .

وأفضل الصلوات والتسليم على محمد رسوله الكريم ، صفوته من العباد ، وشفيع الخلائق فى المعاد ، صاحب المقام المحمود ، والحوض المورود ، الناهض بأعباء الرسالة والتبليغ الأعصم [٣] والمخصوص بشرف السعاية فى الصلاح الأعظم ، صلى الله عليه وعلى آله صلاة مستمرة الدوام ، جديدة على مر الليالى والأيام ،

و بعد : أرشدنى الله و إياك ، فإنى لما رأيت العلوم فنوناً ، وحديث المعارف شجوناً وسالكت ، فإذا هى أودية وفى كل السلف مقامات حسان ، وأندية ، رأيت أن الوجه لمن تشزّن للتحصيل ، وعزم على الوصول أن يأخذ من كل علم

---

(١) أى سهل .

(٢) المراد من العصم : الصعب .

(٣) أى التام .

طرفاً خياراً ، ولن يذوق النوم مع ذلك إلا غرارًا ، ولن يرتقى هذا النجد ، و يبلغ هذا المجد حتى يمتطى مطايا الاجتهاد ، و يصل التاوب بالأسآد ، و يطعم الصبر ، و يكتحل بالسهاد ، فجريت فى هذا المضمار صدْر العمر طلقاً ، وأدمنت حتى تفسخت أينا وتصببت عرقاً إلى أن ابتهجت بفضل الله عليَّ ، وحزت من ذلك ماقسم الواهب لى ، ثم رأيت أن من الواجب على من اجتبى وتخير فى العلوم واجتبى ، أن يعتمد على علم من علوم الشرع ، يستنفد فيه غاية الوسع ، يجُوب آفاقه ، و يتتبع أعماقه ، و يضبط أصوله ، و يحكم فصوله ، و يلخص ماهو منه ، أو يؤول إليه ، و يَعنى بدفع الإعتراضات عليه حتى يكون لأهل ذلك العلم كالحصن المشيد ، والذخر العتيد ، يستندون فيه إلى أقواله ، و يحتذون على مثاله .

فلما أردت أن اختار لنفسى ، وانظر فى علم أعد أنواره لظُلْم رمسى ، حبرتها بالتنويع والتقسيم ، وعلمت أن شرف العلم على قدر شرف المعلوم ، فوجدت أمتنها حبالاً ، وأرسَخها جبالاً ، وأجملها آثاراً ، وأسطعها أنواراً علم كتاب الله جلت قدرته ، وتقدست أسماؤه ، الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، الذى استقل بالسنة والفرض ، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض ، هو العلم الذى جُعِل للشرع قواما ، واستعمل سائر المعارف خداماً . منه تأخذ مبادئها ، و به تعتز نواحيها ، فما وافقه منها نصع ، وما خالفه رُفِض ودُفع فهو عنصرها النمير ، وسراجها الوهاج ، وقمرها المنير . وأيقنت أنه أعظم العلوم تقرباً إلى الله تعالى ، وتخليصا للنيات ، ونهيا عن الباطل ، وحضاً على الصالحات ، إذ ليس من علوم الدنيا فيحل حامله من منازلها صيدا ، و يمشى فى التطلب لها رويداً ورجوت أن الله تعالى يحرم علىّ النار فكراً عَمَرَتْه أكْثَرَ عمره معانيه ، ولساناً مَرِن على آياته ومثانيه ، ونفساً ميزت براعة وصفه ومبانيه ، وجالت سوامّها فى ميادينه ومغانيه ، فثَنَيْتُ إليه عنان النظر ، وأقطعته جانب الفكر ، وجعلته فائدة العمر ، وما ونيت علم الله إلا عن ضرورة بحسب مايلم فى هذه الدار من شغوب ،

ويمسُّ من لغوب ، أو بحسب تعاهدٍ يصيب من ساير المعارف ، فلما سلكت سبله بفضل الله ذللا ، وبلغت من اطراد الفهم فيه أملاً ، رأيت أن نكته وفوائده تغلب قوة الحفظ ، وتقدح وتسنح لمن يروم تقييدها فى فكره وتبرح ، وإنها قد أخذت بحظها من الثقل ، فهى تتقصى من الصدر تقصى الإبل من العقل . قال الله تعالى : (س ٧٣ آ ٥) « إِنّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً » قال المفسرون : أى علم معانيه والعمل بها . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « قيدوا العلم بالكتاب » . ففزعت إلى تعليق ماينتحل لى(١) فى المناظرة من علم التفسير، وترتيب المعانى ، وقصدت فيه أن يكون جامعاً ، وجيزاً ، محرراً ، لا أذكر من القصص إلا مالا تنفك الآية إلا به ، وأثبت أقوال العلماء فى المعانى منسوبة إليهم على ماتلقى السلف الصالح رضوان الله عليهم كتاب الله تعالى من مقاصده العربية السليمة من إلحاد أهل القول بالرموز واللغز ، وأهل القول بعلم الباطن وغيرهم . فمتى وقع لأحد من العلماء الذين قد جاوزوا حسن الظن بهم لفظ ينحوا إلى شيء من أغراض الملحدين نبهتُ عليه ، وسردتُ التفسير فى هذا التعليق بحسب رتبة ألفاظ الآية من حكم ، أو نحو ، أو لغة ، أو معنى ، أو قراءة ، وقصدت تتبع الألفاظ حتى لا يقع طفر كما فى كثير من كتب المفسرين ، ورأيت أن تصنيف التفسير كما صنع المهدوى رحمه الله ، مفرق للنظر ، مشعب للفكر ، وقصدت إيراد جميع القراءات مستعملها وشاذها ، واعتمدت تبيين المعانى ، وجميع محتملات الألفاظ . كل ذلك بحسب جهدى ، وما انتهى إليه علمى ، وعلى غايتى من الإيجاز وجدت فضول القول .

وأنا أسأل الله جلت قدرته أن يجعل ذلك كله لوجهه خالصاً ، وأن يبارك فيه ، وينفع به ، وأنا وإن كنت من المقصرين ، فقد ذكرت فى هذا الكتاب

---

(١) يعنى ينسب إلىّ من قول غيرى .

كثيراً من علم التفسير ، وحملت خواطرى فيه على التعب الخطير ، وعمرت به زمنى ، واستفرغت فيه مِنّتى ، إذ كتاب الله عز وجل لا يفسّر إلا بتصريف جميع العلوم فيه ، وجعلته ثمرة وجودى ، ونخبة مجهودى ، فَلْيُسْتَصْوَبْ للمرء اجتهادُه ، وَلْيُنْذَرْ فى تقصير خطابه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولنقدم بين يدى القول فى التفسير أشياء قد قدم أكثرها المفسرون ، وأشياء ينبغى أن تكون راسخة فى حفظ الناظر فى هذا العلم مجتمعة لذهنه .

* * *

باب : ماورد عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وعن الصحابة

ونبهاء العلماء فى فضل القرآن المجيد ، وصورة الاعتصام به

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، قيل : فما النجاة منها يارسول الله ؟ قال : كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ من قبلكم ، وخبر مابعدكم ، وحكم مابينكم ، وهو فصل ليس بالهزل ، من تركه تجبراً قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يملّه الأتقياء ، من علم علمه سبق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن اعتصم به فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

قال أنس بن مالك فى تفسير قوله : (س ٢ آ ٢٥٦) « فَقَدِ اُسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ اُلْوُثْقَى » . قال : هى القرآن . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أراد علم الأولين والآخرين فليثق بالقرآن » . وقال عليه السلام : « اتلوا هذا القرآن فإن الله عز وجل يأجركم بالحرف منه عشرة حسنات ، أما إنى لاأقول الٓم حرف ، ولكن الألف حرف ، واللام حرف ، والميم حرف » .

وروى عن النبى عليه السلام أنه قال فى آخر خطبة خطبها وهو مريض : « يا أيها الناس إنى تاركٌ فيكم الثقلين ، أنه لن تعمى أبصاركم ، ولن تضل قلوبكم ، ولن تزل أقدامكم ، ولن تقصر أيديكم ، كتابَ الله يسبب بينكم و بينه طرفه بايديكم فاعملوا بحكمه[(١)] ، وآمنوا بمتشابهه ، وأحلوا حلاله ، وحرموا حرامه ، ألا وعترتنى وأهل بيتى هم الثقل الآخر فلا تسبوهم فتهلكوا .

وقيل لجعفر بن محمد الصادق : لم صار الشعر والخطب يُمَلّ ما أعيد منها ، والقرآن لا يُمَلّ ؟ فقال : لأن القرآن حجة على أهل الدهر الثانى كما هو حجة على أهل الدهر الأول[(٢)] . فكل طائفة تتلقاه غَضًّا جديداً ، ولأن كل امرىء فى نفسه متى أعاده وفكر فيه تلقى منه فى كل مدة علوماً غضة ؛ وليس هذا كله فى الشعر والخطب .

وقيل لحميد بن سعيد : ما هذا الترديد للقصص فى القرآن ؟ فقال : ليكون لمن قرأ ما تيسر منه حظ فى الاعتبار .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قرأ القرآن فرأى أن أحداً أُوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ما عظم الله » .

وقال عليه السلام : « مامن شفيع أفضل عند الله من القرآن لا نَبِى ولا مَلَك»

وقال عليه السلام : « أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن » .

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لايوحى إليه .

وحدث أنس بن مالك ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من

---

(١) كذلك فى الأصل والصواب : إنى تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله بينكم وبينه ، طرفه بيده وطرفه بأيديكم ، بسببه لن تعمى أبصاركم . ولن تضل قلوبكم ، ولن تزل أقدامكم ، ولن تقصر أيديكم ، فاعملوا ...

(٢) يريد حجة لكل جيل وفى كل عصر .

قرأ مائة آية كتب من القانتين ، ومن قرأ مائتى آية لم يكتب من الغافلين ، ومن قرأ ثلاث مائة آية لم يحاجه القرآن » .

وروى ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أشراف أمتى حملة القرآن » .

وروى عن عمر بن الخطاب أنه قرأ هذه الآية : (س ٣٥ آ ٣٢) « ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا » إلى آخر الآية . فقال : سابقكم سابق ، ومقتصدكم ناج ، وظالمكم مغفور له .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا إن أصفر البيوت بيت صَفِرٌ من كتاب الله » .

وروى أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « القرآن شافع مشفع ، وماحل مصدق ، ومن شفع له القرآن نجا ، ومن محل به القرآن يوم القيامة كبه الله لوجهه فى النار ، وأحق من يتشفع له القرآن أهله وحملته ، وأولى من محل به القرآن من عدل عنه وضيعه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الذى يتعاهد القرآن [١] ويشتد عليه له أجران ، والذى يقراءه وهو خفيف عليه يكون مع السفرة الكرام البررة » .

وقال ابن مسعود : ملّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملة فقالوا يارسول الله حدثنا : فأنزل الله تبارك وتعالى : (س ٣٩ آ ٢٣) « اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ » الآية . ثم ملّوا ملّة أخرى فقالوا : قص علينا يارسول الله . فأنزل الله تعالى : (س ١٢ آ ٣) « نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ » .

وروى عثمان بن عفان رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) أى يحفظه .

« أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه » .

وقال عبد الله بن مسعود : إن كل مؤدب يحب أن يؤتى أدبه . و إن أدب الله القرآن .

ومرَّ أعرابى على عبد الله بن مسعود وعنده قوم يقرؤن القرآن فقال : ما يصنع هؤلاء ؟ فقال له ابن مسعود : يقتسمون ميراث محمد صلى الله عليه وسلم .

ومرّت امرأة على عيسى بن مريم عليه السلام فقالت : طوبى لبطن حملك ، ولثديين رضعتَ منهما . قال عيسى : طوبى لمن قرأ كتاب الله واتبع مافيه .

وقال محمد بن كعب القرظى فى قوله تعالى : (س ٣ آ ١٩٣) « إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ» قال :هو القرآن ليس كلهم رأى النبى صلى الله عليه وسلم.

وقال بعض العلماء فى تفسير قوله تعالى : (س ١٠ آ ٥٨) « قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ » قال : الإسلام والقرآن .

وقيل لعبد الله بن مسعود : إنك لتقل الصوم . فقال : إنه يشغلنى عن قراءة القرآن ، وقراءة القرآن أحب إلىَّ منه .

وقال قوم من الأنصار للنبى عليه السلام : ألم تر يارسول الله ثابت بن قيس لم تزل داره البارحة يزهر فيها[1] وحولها أمثال المصابيح ؟ فقال لهم : فلعله قرأ سورة البقرة . فسئل ثابت بن قيس فقال : نعم ، قرأت سورة البقرة .

وفى هذا المعنى حديث صحيح عن أسيد بن حضير فى تنزل الملائكة فى الظلمة لصوته بقراءة سورة البقرة . أخرجه البخارى .

وذكر أبو عمرو الدانى ، عن على بن الأثرم قال : كنت أتكلم فى الكسائى وأقع فيه فرأيته فى النوم وعليه ثياب بيض ووجهه كالقمر ، فقلت : يا أبا الحسن . ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر الله لى بالقرآن .

---

(١) يعنى . يضيئ النار فيها .

وقال عتبة بن عامر : عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فقال : « عليكم بالقرآن » .

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : إن من أشراط الساعة أن يبسط القول ويحزن الفعل ، ويرفع الأشرار ، ويوضع الأخيار ، وأن تقرأ المثناة على رؤوس الناس لاتغير . قيل : وما المثناة ؟ قال : مااستُكْتِبَ من غير كتاب الله . قيل له : فكيف بما جاء من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ما أخذتموه عمن تأمنوه على نفسه ودينه فاعقلوه ، وعليكم بالقرآن فتعلموه وعلموه أبناءكم فإنكم عنه تُسْأَلون وبه تجزون ، وكفى به واعظاً لمن عقل .

وقال رجل لأبى الدرداء : إن إخواناً لك من أهل الكوفة يقرؤنك السلام ويأمرونك أن توصيهم . فقال : اقرئهم السلام ومُرْهم فليعطوا القرآن عزائمه ، فإنه يحملهم على القصد والسهولة . ويجنبهم الجور والحزونه .

وقال رجل لعبد الله بن مسعود أوصنى . فقال : إذا سمعت الله تعالى يقول : « يأيها الذين آمنوا » فارْعها سَمْعَك فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه .

وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن أحسن الناس قراءة أو صوتا بالقرآن . فقال : الذى إذا سمعته أو رأيته تخشى الله تعالى .

وقال عليه السلام : اقرؤا القرآن قبل أن يجىء قوم يقيمونه كما يقام القِدح ، ويضيعون معانيه يتعجلون أجره ولا يتأجلونه .

ويروى أن أهل اليمن لما قدموا أيام أبى بكر الصديق سمعوا القرآن فجعلوا يبكون . فقال أبو بكر : هكذا كنا ثم قست القلوب .

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قرأ مرة : (س ٥٢ آ ٧) « إنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ » قال : إنه عِيدَ منها عشرين يوماً .

وقال الحسن بن أبى الحسن : إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل ، وجعلتموا الليل جملاً تركبونه فتقطعون به المراحل ، وإن من كان قبلكم رأوه رسائل إليهم

من ربهم ، فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار .

وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول : أنزل عليهم القرآن ليعملوا به ، فاتخذوا درسه عملاً . إن أحدهم ليتلو القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يُسقط منه حرفاً وقد أسقط العمل به .

قال الفقيه الإمام القاضى أكرمه الله : قال الله تعالى ، عز وجل : (س ٥٤ آ ١٧) « وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُدَّكِرٍ » . وقال تعالى : (س ٧٣ آ ٥) « إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً » أى علم معانيه ، والعمل به ، والقيام بحقوقه ثقيل فمال الناس إلى الميسر وتركوا الثقيل وهو المطلوب منهم .

وقيل ليوسف بن إسباط : بأى شىء تدعوا إذا ختمت القرآن ؟ فقال : استغفر الله من تلاوتى ، لأنى إذا ختمته ثم تذكرت مافيه من الأعمال خشيتُ المقت فاعدل إلى الاستغفار والتسبيح . وقرأ رجل القرآن على بعض العلماء قال : فلما ختمته أردت الرجوع من أوله فقال : اتخذت القراءة علىّ عملاً اذهب فاقرأه على الله تعالى فى ليلك ، وانظر ماذا يفهمك منه فاعمل به .

باب : فى فضل تفسير القرآن ، والكلام على لغته

والنظر فى إعرابه ، ودقائق معانيه

روى اُبن عباس أن رجلاً سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أى علم القرآن أفضل ؟ . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : عربيتهُ فالتمسوها فى الشعر . وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم : أعربوا القرآن ، والتمسوا إعرابه عن الله فإن الله تبارك وتعالى يحب أن يعرَبَ .

قال المؤلف رضى الله عنه : إعراب القرآن أصلٌ فى الشريعة لأن بذلك تقوم معانيه التى هى الشرع .

وقال أبو العالية فى تفسير قوله عز وجل : (س ٢ آ ٢٦٩) « وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فقَدْ أُوتِيَ خيْراً كَثِيراً » . قال : الحكمة فى القرآن .

وذكر علي بن أبى طالب رضى الله عنه جابر بن عبد الله فوصفه بالعلم . فقال له رجل: جعلت فداك تصف جابراً بالعلم وأنت أنت ؟ فقال : أنه كان يعرف تفسير قوله تعالى : (س ٢٨ آ ٨٥) « إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ » .

وقال الشعبى : رحَل مسروق إلى البصرة فى تفسير آية ، فقيل له : إن الذى يفسرها رحل إلى الشام فتجهز ورحَل إليه حتى علم تفسيرها .

وقال إياس بن معاوية : مثل الذين يقرؤن القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً وليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة لايدرون ما فى الكتاب . ومثل الذى يعرف التفسير كمثل رجال جاءهم المصباح وقرؤوا ما فى الكتاب .

وقال ابن عباس : الذى يقرأ ولايفسر كالأعرابى الذى يهذِى بالشعر . وقال مجاهد : أحب الخلق إلى الله أعلمهم بما أُنزل .

وقال الحسن : واللهِ ما أنزل الله آية إلا أحب أن يعلم فيمن أنزلت وما يعنى بها .

وقال النبى عليه السلام : « لايفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهًا كثيرة » .

وقال الحسن : أهلكتهم العجمة يقرأ أحدهم الآية فيعنى بوجوهها حتى يفترى على الله

وكان ابن عباس يبدأ فى مجلسه بالقرآن ، ثم بالتفسير ، ثم بالحديث

وقال علي بن أبى طالب رضى الله عنه . ما من شىء إلاّ وعلمه فى القرآن ، ولكن رأىُ الرجال تعجز عنه

باب : ما قيل فى الكلام فى تفسير القرآن
والجرأة عليه ومراتب المفسرين

روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من كتاب الله إلاَّ آيات بعدد عَلَّمَهُ إياهن جبريل

قال المؤلف رضى الله عنه : ومعنى هذا الحديث فى مغيبات القرآن وتفسير مجمله ونحو هذا مما لا سبيل إليه إلاَّ بتوفيق من الله تعالى . ومن جملة مغيباته ما لم يُعلِم الله به ، كوقت قيام الساعة ونحوه . ومنها ما يستقرأ من ألفاظه كعدد النفخات فى الصور ، وكرتبة خلق السموات والأرض

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من تكلم فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » . ومعنى هذا : أن يسأل الرجل عن معنى فى كتاب الله فيتسور عليه برأيه دون نظر فيما قال العلماء . أو اقتضته قوانين العلوم كالنحو ، والأصول . وليس يدخل فى هذا الحديث أن يفسر اللغويون لغته ، والنحاة نحوه ، والفقهاء معانيه ، ويقول كل واحد باجتهاده المبنى على قوانين علم ونظر ، فإن هذا القائل على هذه الصفة ليس قائلاً بمجرد رأيه

وكان جلة من السلف الصالح كسعيد بن المسيب ؛ وعامر الشعبى وغيرهما يعظمون تفسير القرآن ، ويتوقفون عنه تورّعًا واحتياطًا لأنفسهم مع إدراكهم وتفقههم

وكان جلة من السلف كثير عددهم يفسرونه وهم أبقى على المسلمين فى ذلك رضى الله عنهم

فأما صدر المفسرين والمؤيد فيهم فعلى بن أبى طالب رضى الله [عنه] ، ويتلوه عبد الله بن عباس رضى الله عنه وهو تجرد للأمر وكمّله . وتبعه العلماء عليه كمجاهد ، وسعيد بن جبير وغيرهما ، والمحفوظ عنه فى ذلك أكثر من المحفوظ عن علي بن أبى طالب .

وقال أبن عباس : ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبى طالب .

وكان علي بن أبى طالب يثنى على تفسير أبن عباس ، ويحض على الأخذ عنه .

وكان عبد الله بن مسعود يقول : نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عايه وسلم : « اللهم فقهه فى الدين » . وحسبك بهذه الدعوة

وقال عنه علي بن أبى طالب : أبن عباس كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق .

ويتلوه عبد الله بن مسعود ، وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عمرو بن العاصى . وكل ما أخذ عن الصحابة فحسن متقدم

ومن المبرزين فى التابعين الحسن بن أبى الحسن ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعلقمة

قرأ مجاهد علي أبن عباس قراءة تفهم ووقوف عند كل اية ، ويتلوهم عكرمة ، والضحاك بن مزاحم ، وإن كان لم يلق عباس وإنما أخذ عن أبن جبير

وأما السدى رحمه الله فكان عامر الشعبى يطعن عليه ، وعلى أبى صالح لأنه كان يراهما مقصرين فى النظر ، ثم كمل تفسير كتاب الله تعالى عدول كل خلف ، وألف الناس فيه كعبد الرزاق ، والمفضل ، وعلى بن أبى طلحة ، والبخارى وغيرهم .

ثم إن محمد بن جرير الطبرى رحمه الله ، جمع على الناس أشتات التفسير ، وقرب البعيد منها ، وشفى فى الإسناد .

ومن المبرزين فى المتأخرين أبو إسحاق الزجاج ، وأبو على الفارسى ، فإن كلامهما منخول .

وأما أبو بكر النقاش ، وأبو جعفر النحاس فكثيراً مااستدرك الناس عليهما وعلى سلفهما مكى بن أبى طالب رضى الله عنه ، وأبو العباس المهدوى رحمه الله ، متقن التأليف ، وكلهم مجتهد مأجور ، رحمهم الله ونضر وجوههم .

* * *

باب : معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم
إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرءوا ماتيسر منه

اختلف الناس فى معنى هذا الحديث اختلافاً شديداً ، فذهب فريق من العلماء إلى أن تلك الحروف السبعة هى فيما يتفق أن يقال على سبعة أوجه فما دونها ، كتعال ، وأقبل ، وإلَيَّ ، ونحوى ، وقصدى ، وأقربْ ، وجئْ . وكاللغات التى فى « أُفّ » [١] ، وكالحروف التى فى كتاب الله فيها قراءات كثيرة ، وهو قول ضعيف . قال ابن شهاب فى كتاب مسلم ، [٢] بلغنى أن تلك السبعة الأحرف : إنما هى فى الأمر الذى يكون واحداً لا يختلف فى حلال ولا حرام .

قال القاضى عبد الحق رضى الله عنه : وهذا كلام محتمل . وقال فريق من العلماء : أن المراد بالسبعة الأحرف معانى كتاب الله تعالى وهى : أمر ونهى ، ووعدٌ ووعيد ، وقصص ومجادلة ، وأمثال . وهذا أيضاً ضعيف ، لأن هذه لا تسمى أحرفاً ، وأيضاً : فالإجماع أن التوسعة لم تقع فى تحريم حلال ، ولا فى تحليل حرام ، ولا فى تغيير شىء من المعانى المذكورة .

وحكى صاحب الدلائل عن بعض العلماء . وقد حكى نحوه القاضى أبو بكر ابن الطيب ، قال : تدبرت وجوه الاختلاف فى القراءات فوجدتها سبعة [٣] ، منها : ماتتغير حركته ، ولا يزول معناه ولا صورته ، مثل : (س ١١ آ ٧٨) « هُنَّ أَطْهَرُ » وَ « أَطْهَرَ » . [٤] ومنها : مالاتتغير صورته و يتغير معناه بالإعراب مثل : (س ٣٤ آ ١٩) « رَبَّنَا بَاعِدْ » وَ « رَبُّنَا » [٥] ، ومنها : ماتبقى صورته

---

(١) فى س ١٧ آ ٢٣

(٢) يعنى صحيح مسلم فى كتاب صلاة المسافرين .

(٣) انظر النشر لابن الجزرى ١ : ٢٧ .

(٤) انظر الإملاء للعكبرى ٢ : ٢٤ .

(٥) انظر الأتحاف للبناء ص ٢٢١ .

ويتغير معناه باختلاف الحروف، مثل : (س ٢ آ ٢٥٩)« نُنْشِزُهَا» وَ« نُنْشِرُهَا »[(١)]
ومنها : ماتتغير صورته ويبقى معناه (س ١٠١ آ ٥) « كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ »
وَ « كَالصُّوفِ الْمَنْفُوشِ »[(٢)] ، ومنها : ماتتغير صورته ومعناه ، مثل
(٥٦ آ ٢٩) « طَلْحٍ مَنْضُودٍ » وَ « طَلْعٍ مَنْضُودٍ »[(٣)] ، ومنها : بالتقديم
والتأخير ، كقوله : (س ٥٠ آ ١٩) « وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ »
وَ « سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ »[(٤)] . ومنها : بالزيادة والنقصان ، كقوله :
(س ٣٨ آ ٢٣) « تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أُنْثَى »[(٥)] .

وذكر القاضى أبو بكر بن الطيب فى معنى هذه السبعة الأحرف حديثاً عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا القرآن من سبعة أبواب ، على سبعة أحرف : نهى ، وأمر ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال . فأحلوا حلاله ، وحرموا حرامه ، وائتمروا بأمره ، وانتهوا بنهيه ، واعتبروا بمحكمه ، وآمنوا بمتشابهه . قال القاضى أبو بكر : فهذا تفسير منه صلى الله عليه وسلم للأحرف السبعة ، ولكن ليست هذه التى أجاز لهم القراءة بها على اختلافها ، وإنما الحروف فى هذه بمعنى الجهة ، والطريقة ، ومنه قول الله تعالى : (س ٢٢ آ ١١) « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ » ، أى على جهة وطريقة ، هى شك وريب ، فكذلك معنى هذا الحديث على سبع طرائق من تحليل وتحريم ، وغير ذلك .

وذكر القاضى أيضاً أن أُبَيًّا رضى الله عنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر التيسير للدانى ص ٨٢ .
(٢) أنظر Materials ص ١١١ .
(٣) أنظر Materials ص ١٩١
(٤) انظر Materials ص ٩٣
(٥) أنظر Materials ص ٨١

أنه قال : « ياأُبَيّ : إنى قرأت القرآن على حرف أو حرفين ، ثم زادنى الملك حتى بلغ سبعة أحرف ، ليس منها إلا كاف شاف ، إن قلت : غفور رحيم ، أو سميع عليم ، أو عليم حليم وكذلك ، ما لم تختم عذاباً برحمة ، أو رحمة بعذاب » .

ولقد أسند ثابت بن قاسم نحو هذا الحديث عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم . وذكر كلام ابن مسعود نحوه .

قال القاضى ابن الطيب : وهذه أيضاً : سبعة غير السبعة التى هى وجوه وطرائق ، وغير السبعة التى هى قراءات ووسع فيها ، وإنما هى سبعة أوجه من أسماء الله تعالى . وإذا ثبتت هذه الرواية حمل على أن هذا كان مطلقاً ، ثم نسخ فلا يجوز للناس أن يبدلوا أسماء الله فى موضع بغيره مما يوافق معناه أو يخالفه .

قال القاضى : وزعم قوم أن كل كلمة تختلف القراءة فيها فإنها على سبعة أوجه وإلا بطل معنى الحديث ، قالوا : وتعرف بعض الوجوه بمجىء الخبر به ، ولا يعرف بعضها إذ لم يأت به خبر ، قال : فقال قوم : ظاهر الحديث يوجب أن توجد فى القرآن كلمة أو كلمتان تقرآن على سبعة أوجه ، فإذا حصل ذلك تم معنى الحديث .

قال القاضى أبو بكر بن الطيب : وقد زعم قوم أن معنى الحديث أنه أُنزل على سبع لغات مختلفات ، وهذا باطل إلا أن يريدوا الوجوه المختلفة التى تستعمل فى القصة الواحدة ، والدليل على ذلك : أن لغة عمر بن الخطاب ، وأُبىّ بن كعب ، وهشام بن حكيم ، وابن مسعود واحدة ، وقراءتهم مختلفة ، وخرجوا فيها إلى المناكرة .

فأما الأحرف السبعة التى صوب الرسول صلى الله عليه وسلم القراءة بجميعها وهى التى راجع فيها فزاده ، وسهل عليه لعلمه تعالى بما هم عليه من اختلافهم فى اللغات فإنها سبعة أوجه وسبع قراءات مختلفات وطرائق يقرأ بها على اختلافها فى

جميع القرآن ، أو معظمه حسبما تقتضيه العبارة فى قوله : أنزل القرآن ، فإنَّما يريد به الجميع أو المعظم فجائز أن يقرأ بهذه الوجوه على اختلافها .

ويدل على ذلك قول الناس : حرف أُبى ، وحرف ابن مسعود . ونقول فى الجملة إن القرآن منزل على سبعة أحرف من اللغات والاعراب ، وتغيير الأسماء والصور ، وأن ذلك مفترق فى كتاب الله ليس بموجود فى حرف واحد وسورة واحدة (وجودا) يقطع على اجتماع [١] ذلك فيها .

قال المؤلف رضى الله عنه : انتهى ماجمعت من كلام القاضى أبى بكر رضى الله عنه ، واطلاقه البطلانَ على القول الذى حكاه ، فيه نظر ، لأن المذهب الصحيح هو الذى قرره آخراً من قوله . ونقول فى الجملة إنما صح وترتب من جهة اختلاف لغات العرب الذين نزل القرآن بلسانهم ، وهو اختلاف ليس بشديد التباين حتى يجهل بعضهم ماعند بعض فى الأكثر ، وإنما هو إن قريشاً استعملت فى عبارتها شيئاً ، واستعملت هذيل فى ذلك المعنى شيئاً غيره ، وسعد بن بكر غيره ، والجميع كلامهم فى الجملة ولغتهم . واستدلال القاضى رضى الله عنه بأن لغة عُمَر ، وأُبىّ ، وهشام ، وابن مسعود واحدة فيه نظر ، لأن ما استعملته قريش فى عبارتها ، ومنهم : عمر ، وهشام ، وما استعمله الأنصار ، ومنهم : أُبيّ ، وما استعملته هذيل ، ومنهم : ابن مسعود يختلف . ومن ذلك النحو من الاختلاف هو الاختلاف فى كتاب الله . فليست لغتهم واحدة فى كل شيء . وأيضاً فلو كانت لغتهم واحدة بأن تفرضهم جميعاً من قبيلة واحدة لما كان اختلافهم حجة على من قال : إن القرآن أنزل على سبع لغات ، لأن منا كرتهم لم تكن لأن المنكر سمع ماليس فى لغته فأنكره . وإنما كانت لأنَّه سمع خلاف ماقرأه النبى صلى الله عليه وسلم ، وعساه قد اقرأه ماليس من لغته واستعمال قبيلته . فكأَن القاضى رحمه الله إنما أبطل أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم قصد فى قوله : على سبعة أحرف ، عدّ اللغات التى تختلف بجملتها ،

---

(١) هكذا فى الأصل والصواب : باجتماع

وأن تكون سبعاً متباينة لسبع قبائل ، تقرأ كل قبيلة القرآن كلّه بحرفها ، ولا تدخل عليها لغة غيرها ، بل قصد النبى عليه السلام عَدَّ الوجوه والطرائق المختلفة فى كتاب الله مرة من جهة لغة ، ومرة من جهة إعراب وغير ذلك ، ولا مرية ان هذه الوجوه والطرائق إنما اختلفت لاختلاف فى العبارات بين الجماعة التى نزل القرآن بلسانها ، وذلك يقال فيه اختلاف لغات . وصحيح أن يقصد النبى عليه السلام عدّ الانحاء والوجوه التى اختلفت فى القرآن بسبب اختلاف عبارات اللغات . وصحيح أن يقصد عدّ الجماهير والرءوس من الجماعة التى نزل القرآن بلسانها وهى : قبائل مضر ، فجعلها سبعة . وهذا القول أكثر توسعة للنبى عليه السلام لأن الانحاء تبقى غير محصورة فعسى أن المَلَك قد أقرأه بأكثر من سبعة طرائق ووجوه .

قال القاضى رضى الله عنه فى كلامه المتقدم ، فجائز أن يقرأ بهذه الوجوه على اختلافها . قال القاضى عبد الحق رضى الله عنه ، والشرط الذى يصح به هذا القول هو أن يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال كثير من أهل العلم ، كأبى عبيد وغيره إلى أن معنى الحديث المذكور أنه أنزل على سبع لغات لسبع قبائل أثبت فيه من كل لغة منها ، وهذا القول هو المتقرر من كلام القاضى رضى الله عنه . وقد ذكر بعضهم قبائل من العرب رَومًا منهم أن يعينوا السبع التى يحسن أن تكون مراده عليه السلام . نظروا فى ذلك بحسب القطر ، ومن جاور منشأ النبى عليه السلام ، واختلفوا فى التسمية وأكثروا . وأنا ألخص الغرض جهدى بحول الله تعالى فأصل ذلك ، وقاعدته قريش ثم بنو سعد بن بكر ، لأن النبى عليه السلام قرشى ، واسترضع فى بنى سعد ونشأ فيهم ، ثم ترعرع وعقت تمائمه وهو مخالط فى اللسان : كنانة ، وهذيلا ، وثقيفا ، وخزاعة ، وأسدا ، وضبّة ، والفافها لقربهم من مكة وتكرارهم عليها ، ثم بعد هذه تميماً وقيساً ومن انضاف إليهم وسط جزيرة العرب . فلما بعثه الله تعالى ويسر عليه أمر الأحرف أنزل عليه القرآن بلغة هذه

الجماعة المذكورة وهى التى قسمها على سبعة لها السبعة الأحرف ، وهى اختلافاتها فى العبارات حسبما تقدم .

قال ثابت بن قاسم : لو قلنا : من هذه الأحرف لقريش ، ومنها : لكنانة ، ومنها : لأسد ، ومنها : لهذيل ، ومنها : لتميم ، ومنها : لضبّة والفافها ، ومنها : لقيس لكان قد أتى على قبائل مضر فى مراتب سبعة يستوعى اللغات التى نزل بها القرآن .

قال القاضى عبد الحق رضى الله عنه : وهذا نحو ماذكرناه وهذه الجملة هى التى انتهت إليها الفصاحة وسلمت لغاتها من الدخل ، ويسرها الله لذلك لتظهر آية نبيه بعجزها عن معارضة ماأنزل عليه ، وسبب سلامتها أنها فى وسط جزيرة العرب ، فى الحجاز ، ونجد ، وتهامة فلم تطرقها الأمم ، فأمّا اليمن وهو جنوبى الجزيرة فأفسدت كلام عربه خلطة الحبشة والهنود ، على أن أبا عبيد القاسم بن سلام ، وأبا العباس المبرد قد ذكر أن عرب اليمن من القبائل التى نزل القرآن بلغاتها .

قال المؤلف رضى الله عنه : وذلك عندى إنما هو فيما استعملته عرب الحجاز من لغة اليمن ، كالعرم والفتاح .

فأما ماانفردوا به كالنرخيخ ، والقِلوب ، ونحوه فليس فى كتاب الله منه شىء .

وأما ماوالى العراق من جزيرة العرب وهى بلاد ربيعة ، وشرقى الجزيرة فأفسدت لغتها مخالطة الفرس ، والنبط ، ونصارى الحيرة وغير ذلك .

وأما الذى يلى الشام ، وهو شمالى الجزيرة ، وهى بلاد آل جفْنَة وأُبن الرافلة وغيرهم ، فأفسدها مخالطة الروم وكثير من بنى إسرائيل .

وأما غربى الجزيرة ، فهى جبال تسكن بعضها هذيل وغيرهم ، وأكثرها غير معمور ، فبقيت القبائل المذكورة سليمة اللغات لم تكدّر صفو كلامها أمة من العجم .

ويقوّى هذا المنزع أنه لما اتسع نطاق الإسلام ، وداخلت الأمم العرب ،

وتجرد أهل المصريْن البصرة والكوفة لحفظ لسان العرب وكتب لغتها ، لم يأخذوا إلّا عن هذه القبائل الوسيطة المذكورة ومن كان مَعها ، وتجنبوا اليمن ، والعراق ، والشام ، فلم يكتب عنهم حرف واحد . وكذلك تجنبوا حواضر الحجاز ومكة والمدينه والطائف ، لأن اللاجئين وَالتجار من الأمم كثروا فيها فأفسدوا اللغة ، وكانت هذه الحواضر فى مدة النبى عليه السلام سليمة لقلة المخالطة . فمعنى قول النبى عليه السلام : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، أى فيه عبارات سبع قبائل بلغة جُملتها نزل القرآن . فيعبر عن المعنى فيه بعبارة قريش ، مرة ومرة بعبارة هذيل ، ومرة بغير ذلك بحسب الأفصح والأوجز فى الفقه .

ألا ترى إن «فطر» معناها عند غير قريش : ابتدأ خلق الشىء وعمله ، فجاءت فى القرآن ، فلم تتجه لابن عباس حتى اختصم إليه أعرابيان فى بئرٍ فقال أحدهما : أنا فطرتها . قال اُبن عباس : ففهمت حينئذ معنى موقع قوله تعالى : (س٤٢ آ ١١) « فَاطِرُ ٱلسَّمَوٰتِ وَٱلْأَرْضِ » . وقال أيضاً : ما كنت أدرى معنى قوله : (س ٧ آ ٨٩) « رَبَّنَا اُفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ » حتى سمعت بنت ذى حذق تقول لزوجها : تعال أُفَاتِحْكَ . أى أُحَاكِمْكَ .

وكذلك قال عمر بن الخطاب : وكان لا يفهم معنى قوله تعالى : (س١٦ آ ٤٧) « أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ » ، فوقف به فَتًى فقال : إن أبى يتخوّفنى حقى ، فقال عمر : الله أكبر « أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ » أى على تنقص لهم .

وكذلك اتفق لقطبة بن مالك إذ سمع النبى عليه السلام يقرأ فى الصلاة : (س ٥٠ آ ١٠) « وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ » ، ذكره مسلم فى باب القراءة فى صلاة الفجر إلى غير هذا من الأمثلة . فأباح الله لنبيه هذه الحروف السبعة ، وعارضه بها جبريل فى عرضاته على الوجه الذى فيه الإعجاز ، وجوْدة الوصف ، ولم تقع الإباحة فى قوله عليه السلام : فاقرءوا بما تيسر منه . بأن يكون كل واحد من الصحابة إذا أراد أن يبدل اللفظة من بعض هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه ، ولو كان

هذا لذهب إعجاز القرآن وكان معرضاً أن يبدل هذا وهذا حتى يكون غير الذى نزل من عند الله ، وإنما وقعت الإباحة فى الحروف السبعة للنبى عليه السلام ليوسع بها على أمته . فقرأ مرة لأبّى بما عارضه به جبريل ، ومرة لابن مسعود بما عارضه به أيضاً .

وفى صحيح البخارى عن النبى عليه السلام قال : أقرأنى جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل استزيده و يزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف ، وعلى هذا تجىء قراءة عمر بن الخطاب لسورة الفرقان (س ٢٥) . وقراءة هشام بن حكيم بها[1] ، و إلا فـكيف يستقيم أن يقول النبى عليه السلام فى كل قراءة منهما صحّتا ، وقد اختلفتا ، هاكذا أقرأنى جبريل ؟ فهل ذلك إلا لأنه أقرأه بهذه مرة وبهذه مرة ؟ .

وعلى هذا يحمل قول أنس بن مالك حين قرأ : (س ٧٣ آ ٦) « إنَّ نَاشِئَةَ ٱللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَصْوَبُ قِيلاً »[2] . فقيل له : إنما نقرأ « وَأَقْوَمُ » . فقال أنس : أقوم وأصوب وأهيأ واحد . فإنما[3] معنى هذا أنها مروية عن النبى عليه السلام والا فلو كان لأحدٍ من الناس أن يضعه لبطل معنى قول الله تعالى : (س ١٥ ا ٩) « إنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » .

ثم إن هذه الروايات الـكثيرة لما انتشرت عن رسول الله عليه السلام ، وافترق الصحابة فى البلدان ، وجاء الخلف وقرأ القرآن كثير من غير العرب ، ووقع بين أهل الشام وأهل العراق ما ذكر حذيفة بن اليمان رضى الله عنه[4] ، وذلك أنهم اجتمعوا فى غزوة إرْمينية فقرأت كل طائفة بما رُوِىَ لها ، فاختلفوا وتنازعوا حتى قال بعضهم لبعض : أنا كافر بما تقرأ به ، فأشفق حذيفة مما رأى منهم ،

---

(١) كذلك فى الأصل والصواب : بخلافها

(٢) انظر Materials ص ٢١٧

(٣) كذلك فى الأصل والصواب : فيكون

(٤) انظر الإتقان للسيوطى ص ١٣٨

فلما قدم حذيفة المدينة فيما ذكر البخارى [1] وغيره دخل إلى عثمان بن عفان قبل أن يدخل بيته فقال : أدرك هذه الأمة قبل أن تهلك . قال : فيما ذا ؟ قال : فى كتاب الله : إنى حضرت هذه الغزوة وجمعت ناساً من العراق ، ومن الشام ، ومن الحجاز فوصف ماتقدم ، وقال : إنى أخشى عليهم أن يختلفوا فى كتابهم كما اختلفت اليهود والنصارى . قال عثمان رضى الله عنه : أفْعَلْ . فتجرَّد للأمر واستناب الكفاة العلماء الفصحاء فى أن يكتبوا القرآن ، ويجعلوا مااختلفت القراءة فيه على أشهر الروايات عن رسول الله وأفصح اللغات . وقال لهم : إذا اختلفتم فى شىء فاكتبوه بلغة قريش . فمعنى هذا إذا اختلفتم فيما روى وإلا فمحال أن يحيلهم على اختلاف من قبلهم،لأنه وضع قرآن فكتبوا فى القرآن من كل اللغات السبع مرة من هذه ومرة من هذه ، وذلك مقيد بأن الجميع مما روى عن النبى عليه السلام وقرىء عليه ، واستمر الناس على هذا المصحف المتخير وترك ماخرج عنه مما كان كتب ، كقراءة عمر بن الخطاب : (س ٦٢ آ ٩) « فأمْضُوا إلَى ذِكْرِ اللهِ » [2] ، ونحوها سداً للذريعة ، وتغليباً لمصلحة الألفة ، وهى المصاحف التى أمر عثمان بها أن تحرق أو تخرق . فأما ابن مسعود ، فأبى أن يزال مصحفه فرد فتُرك ، ولكن أبى العلماء قراءته سداً للذريعة ، ولأنه روى أنه كتب فيه أشياء على جهة التفسير ، فظنها قوم من التلاوة فتخلف الأمر فيها ، ولم يسقط فيما ترك معنى من معانى القرآن . لأن المعنى جزء من الشريعة ، وإنما تركت ألفاظ معانيها موجودة فى الذى أثبت .

ثم أن القراء فى الأمصار تتبعوا ما روى لهم من اختلافات ، لاسيما فيما وافق خط المصحف المتخير فقرءوا بذلك حسب اجتهاداتهم ، فلذلك ترتب أمر القرَّاء

---

(١) فى صحيحه كتاب فضائل القرآن .

(٢) انظر Materials ص ٢٢١ .

السبعة وغيرهم ، ومضت الأعصار والأمصار على قراءة السبعة وبها يصلى لأنها ثبتت بالإجماع .

وأما شاذ القراءات فلا يُصَلَّى به ، وذلك لأنه لم تجمع الناس عليه ، أما أن المروى منه عن الصحابة رضى الله عنهم ، وعن علماء التابعين لا يعتقد فيه إلا أنهم رووه .

وأما ما يؤثر عن أبى السمّال ومن قارب به فلا يوثق به ، وإنما اذكره فى هذا الكتاب لئلا يُجهل والله المستعان .

وكان المصحف غير مشكول ، ولا منقوط ، وقد وقع لبعض الناس خلاف فى بعض ما ذكرته فى هذا الباب ومنازعات اختصرت ذلِك كراهة التطويل ، وعولت على الأسلوب الواضح الصحيح ، والله المرشد للصواب برحمته .

* * *

باب ذكر جمع القرآن وشكله

ونقطه وتحزيبه وتعشيره

كان القرآن فى مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقاً فى صدور الرجال ، وقد كتب الناس منه فى صحف ، وفى جريد ، وفى لخاف وطرُر ، وفى خزف ، وغير ذلك . فلما استحرّ القتل بالقراء يوم اليمامة ، أشار عمر بن الخطاب على أبى بكر الصديق بجمع القرآن مخافة أن يموت أشياخ القراءة كأُبيّ ، وزيد ، وابن مسعود فيذهب . فندبا إلى ذلك زيد بن ثابت ، فجمعه غير مرتب السور بعد تعب شديد منه رضى الله عنه .

وروى أن فى هذا الجمع سقطت الآية من آخر براءة (س ٩) حتى وجدها عند خزيمة بن ثابت .

وحكى الطبرى : أنه إنما سقطت فى الجمع الأخير والأول أصح ، وهو الذى

حكاه البخارى إلا أنه قال فيه : مع أبى خزيمة الأنصارى . وقال : إن فى الجمع الثانى فقد زَيْدٌ آيةً من سورة الأحزاب : (٣٣ آ ٢٣) « مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ » ، فوجدها مع خزيمة بن ثابت . و بقيت الصحف عند أبى بكر ، ثم عند عمر بن الخطاب بعده ، ثم عند حفصة بنته فى خلافة عثمان . واشتهرت فى خلال ذلك صحف فى الآفاق كتبت عن الصحابة كمصحف ابن مسعود ، وما كتب عن الصحابة بالشام ، ومصحف أُبى وغير ذلك . وكان فى ذلك اختلاف حسب السبعة الأحرف التى أنزل القرآن عليها .

فلما قدم حذيفة من غزوة ارمينية حسب ما قد ذكرناه ، انتدب عثمان لجمع المصحف ، وأمر زيد بن ثابت بجمعه ، وقرن بزيد ، فيما ذكر البخارى ، ثلاثة من قريش : سعيد بن العاصى ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعبد الله بن الزبير . وكذلك ذكر الترمذى وغيرهما . وقال الطبرى : فيما روى أنه قرن بزيد أبان بن سعيد بن العاصى وحده ، وهذا ضعيف . وقال الطبرى أيضاً : إن الصحف التى كانت عند حفصة جعلت إمامًا فى هذا الجمع الأخير .

وروى أن عثمان رضى الله عنه قال لهم : إذا اختلفتم فى شىء فاجعلوه بلغة قريش . فاختلفوا فى التابوه ، والتابوت قرأه زيد بن ثابت بالهاء والقرشيون بالتاء ، فأثبته بالتاء . وكتب المصحف على ماهو عليه غابر الدهر ، ونسخ عثمان منه نسخاً ووجه بها إلى الآفاق ، وأمر بما سواها من المصاحف أن تحرق أو تخرق ، تروى بالحاء غير منقوطة ، وتروى بالخاء على معنى ثم تدفن ، ورواية الحاء غير منقوطة أحسن .

قال القاضى أبو بكر بن الطيب : وترتيب السور اليوم هو من تلقاء زيد ومن كان معه مع مشاركة من عثمان رضى الله عنه فى ذلك . وقد ذكر ذلك مكى[1]

---

(١) يعنى مكى بن أبى طالب القيسى .

رحمه الله فى تفسير سورة براءة (س ٩) . وذكر أن ترتيب الآيات فى السور ، ووضع البسملة فى الأوائل ، هو من النبى عليه السلام ، ولما لم يأمر بذلك فى أول براءة تركت بلا بسملة هذا آخر ما قيل فى براءة ، وذلك مُستقصًى فى موضعِه موفَى إن شاء الله تعالى . وظاهِر الآثار أن السبع الطول ، والحواميم ، والمفصل كان مرتباً فى زمن النبى عليه السلام ، وكان فى السور ما لم يرتب ، فذاك هو الذى رتب وقت الكَتْبِ .

وأما شكل المصحف ونقطه ، فروى أن عبد الملك بن مروان أمر به وعمله ، فتجرد لذلك الحجاج بواسط وَجدّ فيه ، وزاد تحزيبه ، وأمر وهو والى العراق ، الحسن ، ويحيى بن يعمر بذلك . وألف إثر ذلك بواسط كتاباً فى القراءات جمع فيه ماروى من اختلاف الناس فيما وافق الخط . ومشى الناس على ذلك زماناً طويلاً إلى أن ألف ابن مجاهد كتابه فى القراءات . وأسند الزبيدى فى كتاب الطبقات إلى المبرد إن أول من نقط المصحف أبو الأسْود الدؤلى .

وذكر أيضاً أن ابن سيرين كان له مصحف نقطه له يحيى بن يعمر .

وذكر أبو الفرج : أن زياد بن أبى سفيان أمر أبا الأسود بنقط المصاحف .

وذكر الجاحظ فى كتاب الأنصار : أن نصر بن عاصم أول من نقط المصاحف وكان يقال له نصر الحروف .

وأما وضع الأعشار فيه فمر بى فى بعض التواريخ أن المأمون العباسى أمر بذلك . وقيل إن الحجاج فعل ذلك .

وذكر أبو عمرو المسرافى عن قتادة أنه قال بدءوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا وهذا كالابتكار

***

باب : في ذكر الألفاظ التي فى كتاب الله

وللغات العجم بها تعلق

اختلف الناس فى هذه المسألة . فقال أبو عبيدة وغيره : إن فى كتاب الله تعالى من كل لغة .

وذهب الطبرى وغيره إلى أن القرآن ليس فيه لفظة إلا وهى عربية صريحة ، وأن الأمثلة والحروف التى تنسب إلى سائر اللغات إنما اتفق فيها أن تواردت اللغات فتكلمت بها العرب ، والفرس ، والحبشة بلفظ واحد ، وذلك مثل قوله تعالى : (س ٧٣ آ ٦) « إِنَّ نَاشِئَةَ ٱللَّيْلِ » . قال أبن عباس : نشأ : بلغة الحبشة ، قام من الليل . ومنه قوله تعالى : (س ٥٧ آ ٢٨) « يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ » ، قال أبو موسى الأشعرى : كفلان : ضعفان من الأجر بلسان الحبشة . وكذلك قال أبن عباس فى القسورة ،[1] أنه الأسد بلغة الحبشة ، إلى غير هذا من الأمثلة .

قال الفقيه القاضى أبو محمد عبد الحق بن عطية رضى الله عنه :

والذى أقوله : أن القاعدة والعقيدة هى أن القرآن بلسان عربيّ مبين ، فليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب ، فلا تفهمها إلا من لسان آخر ، فأما هذه الألفاظ ، وما جرى مجراها ، فإنه قد كان للعرب العاربة التى نزل القرءان بلسانها بعض مخالفة لسائر الألسنة بتجارات و برحلتى قريش ، وسفر مُسافِرِين ، كسفر أبى عمرو إلى الشام ، وسفر عمر بن الخطاب ، وكسفر عمرو بن العاص ، وعمارة أبن الوليد إلى أرض الحبشة ، وكسفر الأعمش إلى الحيرة وصحبته لنصاراها مع كونه حجة فى اللغة ، فعلقت العرب بهذا كله ألفاظاً أعجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها وَجرت إلى تخفيف ثقل العجمة ، واستعملتها فى أشعارها ، ومحاوراتها حتى

---

(١) المراد قسورة : فى س ٢ آ ٧٤ .

جرت مجرى العربى الصريح ، ووقع بها البيان . وعلى هذا الحد نزل بها القرآن ، فإن جَهلها عربىٌّ فكجهله الصريح بما فى لغة غيره ، كما لم يعرف ابن عبَّاسٍ معنى «فاطرٍ» إلى غير ذلك ، فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها فى الأصل أعجمية ، لكن استعملتها العرب وعربتها فهى عربية بهذا الوجه ، وما ذهب إليه الطبرى من أن اللغتين اتفقتا فى لفظة لفظة ، فذلك بعيد ، بل إحداهما أصل والأخرى فرع فى الأكثر، لأنا لا ندفع [1] أيضاً جواز الاتفاق قليلاً شاذاً [2] .

نبذة مما قال العلماء في إعجاز القرآن

اختلف الناس فى إعجاز القرآن ، بم هو ؟ فقال قوم : إن التحدى وقع بالكلام القديم الذى هو صفة الذات ، وأن العرب كلفت فى ذلك مالا يطاق ، وفيه وقع عجزها .

وقال قومٌ : إن التحدى وقع بما فى كتاب الله تعالى من الأنباء الصادقة والغيوب المسدودة ، وهذان القولان : إنما يرى العجز فيهما من قد تقررت الشريعة ، ونبوة محمد عليه السلام فى نفسه .

وأما من هو فى ظلمة كفره ، فإنما يتحدى فيما يتبين له بينه و بين نفسه عجزه عنه ، وأن البشر لا يأتى بمثله و يتحقق مجيئه من قبل المتحدى .

فكفار العرب : لم يمكنهم قط أن ينكروا أن وصف القرآن أو نظمه ، وفصاحته مُتَلَقًّى من قبل محمد عليه السلام . فإذا تُحُدِّيَتْ بمثل ذلك ، وعجزت فيه عُلِمَ كُلُّ فَصِيحٌ ضرورة أن هذا نبيٌّ يأتى بما ليس فى قدرة البشر الإتيان به ، إلا أن يخص الله تعالى من يشاء من عباده . وهذا هو القول الذى عليه

---

(١) أى لا نمنع

(٢) أى غير معروف .

الجمهور والحذّاق ، وهو الصحيح فى نفسه ، وأن التحدى إنما وقع بنظمه ، وصحّة معانيه ، وتوالى فصاحة ألفاظه . ووجه إعجازه : أن الله تعالى قد أحاط بكل شىء علماً ، وأحاط بالكلام كله علماً ، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطة أىَّ لفظة تصلح أن تبين الأذلين ، وتبين المعنى بعد المعنى . ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره ، والبشر معهم الجهل ، والنسيان ،والذهول ، ومعلوم ضرورة أن بشراً لم يكن قط محيطاً . فبهذا جاء نظم القرآن فى الغاية القصوى من الفصاحة ، وبهذا النطق يبطل قول من قال : إن العرب كان فى قدرتها أن تأتى بمثل القرآن . فلما جاء محمد عليه السلام ، حرفوا عن ذلك وعجزوا عنه .

والصحيح : أن الإتيان بمثل هذا القرآن لم يكن قط فى قدرة أحد من المخلوقين ، ويظهر لك قصور البشر فى أن الفصيح منهم يضع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده ، ثم لا يزال ينقحها حولاً كاملاً ، ثم تعطى لأحد نظيره فيأخذها بقريحة خاصة ، فيبدل فيها وينقح ، ثم لا تزال كذلك فيها مواضع للنظر والبدل : وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ، ثم أُدير لسان العرب فى أن يوجد أحسن منها لم يوجد ، ونحن تتبين لنا البراعة فى أكثره ، ويخفى علينا وجهها فى مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ فى سلامة الذوق ، وجودة القريحة ، وميز الكلام .

ألا ترى مَيْز الجارية نفس الأعشى ، وميْز الفرزدق نفس جرير ، ونفس ذى الرمة ، ونظر الإعرابى فى قوله : « عزّ فحكم »[1] فقطع إلى كثير من الأمثلة . اكتفيت بالإشارة إليها اختصاراً ،فصورة قيام الحجة بالقرآن على العرب أنه لما جاء محمد عليه السلام به ، وقال : (س ٢ آ ٢٣) « فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ » ،

---

(١) سمع اعرابى قارئاً يقرأ فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم فقال : ماهذا ؟ فقيل له قرآن فقال : ماهذا بقرآن فتنبه القارىء فقال والله عزيز حكيم فقال الاعرابى عز فحكم فقطع .

قال كل فصيح فى نفسه : وَمَا بالُ هذا الـكلام حتى لا آتى بمثله ؟ فلما تأمله وتدبره ميز منه ما ميز الوليد بن المغيرة حين قال : والله ما هو بالشعر ، ولا هو بالـكهانة ، ولا بالجنون ، وعرف كل فصيح بينه و بين نفسه أنه لا قدرة لبشر على مثله ، فصح عنده أنه من عند الله تعالى . فمنهم من آمن وأذْعن ، ومنهم من حسد كأبى جَهل وغيره ففر إلى القتال ، ورضى بسفك الدم عجزاً عن المعارضة حتى أظهر الله دينه ودخل جميعهم فيه . ولم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الأرض قليـل من العرب يعلن كُفره . وقامت الحجة على العَالم بالعرب إذ كانوا أرباب الفصاحة ومظنة المعارضة ، كما قامت الحجة فى معجزة عيسى بالأطباء ، وفى معجزة موسى بالسحرة ، فإن الله تعالى إنما جعل معجزات الأنبياء بالوَجه الشهيد[١] أبرع ما يكون فى زمان النبى الذى أراد إظهاره ، فـكان السحر فى مدة موسى قد انتهى إلى غايته ، وكذلك الطب فى زمن عيسَى ، والفصاحة فى مدة محمد عليهم السلام .

* * *

باب : فى الألفاظ التى يقتضى الإيجاز استعمالها

فى تفسير كتاب الله عز وجل

اعلم أن القصد إلى إيجاز العبارة قد يسوق المتكلم فى التفسير إلى أن يقول : خاطب الله بهـذه الآية المؤمنين ، وشرف الله بالذكر الرجل المؤمن من آل فرعون . وحكى الله عن أم موسى أنها قالت « قُصِّيه »[٢] . ووقف الله ذرية آدم على ربوبيته بقوله : (س ٧ آ ١٧٢) « أَلَسْتُ بِرَبِّـكُمْ » ، ونحو هذا من إسناد أفعال إلى الله تعالى لم يَأتِ إسنادها بتوقيف من الشرع .

---

(١) أى الأمين فى شهادته .

(٢) س ٢٨ آ ١١ .

وقد استعمل هـذه الطريقة المفسرون ، والمحدثون ، والفقهاء واستعملها أبو المَعالى فى الإرشاد . وذكر بعض الأصوليين أنه لا يجوز أن يقال : حكى الله ، ولا ماجرى مجراه ، وهذا على تقدير هذه الصفة له وثبوتها مستعملة كسائر أوصافه تبارك وتعالى . وأما إذا استعمل ذلك فى سياق كلام ، والمراد منه حكاية الآية أو اللفظ ، فذلك استعمال عربى سائغ ، وعليه مشى الناس . وأنا أتحفظ منه فى هذا التعليق جهدى ، لـكنى قدمت هذا الباب لما عسى أن أقطع فيه نادِراً ، واعتِذاراً عما وقع فيه المفسرون من ذلك .

وقد استعمت العرب أشيـاء فى ذكر الله تعالى تحمل على مجاز كلامها . فمن ذلك قول أبى عامِرٍ يرتجز بالنبى عليه السلام : فَاغْفِرْ بر ابِّ لك ما اقتفينا .

وقول أم سلمة : فغرم الله لى فى الحديث فى موت أبى سلمة ، وابدال الله لها منه رسول الله . ومن ذلك قولهم : الله يدرى كذا . وكذا . والدراية إنما هى فى التأثير للعلم بالشىء حتى يتيسر ذلك .

قال أبوعلى : واحتج بعض أهل النظر على جواز هذا الاطلاق بقول الشاعر :

لاَهُمَّ لا أدْرِى وأنت الدارِى

قال أبوعلى : وهذا لا ثَبْتَ[1] فيه لأنه يجوز أن يَكون من غلط الاعرابى .

قال الفقيه القاضى أبو محمد عبد الحق بن عطية رضى الله عنه :

وكذلك أقول : إن الطريقة كلها عربية لا يثبت للنظر المنخول شىء منها . وقد أنشد بعض البغداديين :

لاَهُمَّ إن كنت الذى بعهـدى ولم تغير لى الأمور بعــــــدى

وقد قال العجاج :

فَارْتَاحَ رَبِّى وَأَرَادَ رَحْمَتِى

---

(١) يعنى : لا حجة .

وقال الآخر :

قد يُصْبحُ الله أمام السارى

وقال الآخر :

يا فَقْعَسىُّ لِمْ اكلته لِمَهْ لو خافك الله عليه حرمه

وَقال أوس :

أَبنِى لُبَيْنَى لاَ أُحِبُّكُمُ وَجدَ الْإِلَهُ بِكُمْ كمَا أجِدُ

وقال الآخر :

وَإِنَّ اللهَ ذَاقَ عُقُولَ تَيْمٍ فَلَمَّا رَآءَ خِفَّتَهَا قَلاَهَا

ومن هذا الاستعمال الذى بُنِىَ الباب عليه قول سعد بن مُعاذ : عرق الله وجهك فى النار . يقول للرامى الذى رماه ، وقال : خذها وأنا ابن العرقة .

وفى هذه الأمثلة كفاية فيما نحوناه إذ النظير لذلك كثير موجود ، وإن خرج شىء من هذه على حذف مضاف فذلك متوجه فى الاستعمال الذى قصدنا الاعتذار عنه ، والله المستعان .

* * *

باب : فى تفسير أسماء القرآن وذكر السورة والآية

هو القرآن . وهو الكتاب . وهو الفرقان . وهو الذكر .

فالقرآن مصدر من قولك : قرأ الرجل إذا تلى يقرأ قرآنا ، وقراءة . وحكى أبو زيد الأنصارى ، وقَرْأً . وقال قتادة : القرآن مَعناها التأليف . قرأ الرجل إذا جمع وألف قولاً ، وبهذا فسر قتادة قوله تعالى : (س ٧٥ آ ١٧) « إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ » ، أى تأليفه . وهذا نحو قول الشاعر :

ذِرَاعَىْ بِكْرةٍ إذْ مَاء بِكْرٍ هِجَانُ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جنينا

أى لم تجمع فى بطنها ولدا فهو أَبْرَه[١] . والقول الأول أقوى ، لأن القرآن مصدر من قرأ إذا تلى . ومنه قول حسان بن ثابت يرثى عثمان بن عفان رضى الله عنه :

ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عِنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ   يَقْطَعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنَا

أى قراءة .

وأما الكتاب : فهو مصدر من كتب إذا جمع ، ومنه قيل كتيبة لاجتماعها . ومنه قول الشاعر :

* واكتبها بأسْيَارِ * أى اجمعها .

وأما الفرقان : فهو أيضاً مصدر لأنه فرق بين الحق والباطل ، والمؤمن والكافر فرقاً وفرقاناً .

وأما الذكر : فسمى به لأنه ذكر به الناس آخرتهم وإلاهَهُمْ وما كانوا فى غفلة عنه فهو ذكر لهم . وقيل : سمى بذلك لأنه فيه ذكر الأمم الماضية والأنبياء ، وقيل : سمى بذلك لأنه ذكر وشرف لمحمد وقومه وسائر العلماء به .

وأما السورة : فإن قريشاً كلها ومن جاورها من قبائل العرب ، كهذيل ، وسعد بن بكر ، وكنانة يقولون « سورة » بغير همزة . وتميم كلها وغيرهم أيضاً يهمزون فيقولون « سؤرة » . فأما من همز فهى عنده كالبقية من الشىء والقطعة منه التى هى سؤرة ، وسؤرة من أسأر إذا أبقى ، ومنه سؤرُ الشراب ، ومنه قول الأعشى ، وهو ميمون بن قيس :

فَبَانَتْ وَقَدْ أَسْأَرَتْ فِى الْفُؤَادِ   صَدْعًا عَلَى نَأْيِهَا مُسْتَطِيرَا

أى أبقت فيه .

وأمّا من لا يهمز ، فمنهم من يراها من المعنى المتقدم إلا أنها سهّلت همزتها ،

---

(١) أى : أبيض

ومنهم من يَراها مشبهة بسورة البناء أى القطعة منه ، لأن كل بناء قائماً يبنى قطعة بعد قطعة ، وكل قطعة منها سورة ، وجمع سورة القرآن سوَر بفتح الواو ، وجمع سورة البناء ، أى القطعة منه ، هو سُورٌ بسكونها .

قال أبو عبيدة : إنما اختلفا فى هذا (١) . فكأن سور القرآن هى قطعة بعد قطعة حتى كمل منها القرآن . و يقال أيضاً للرتبة الرفيعة من المجد والملك سورة . ومنه قول النابغة الذبيانى للنعمان بن المنذر (٢) :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ

فكأن الرتبة أنبتت حتى كملت .

وأما الآية : فهى العلامة فى كلام العرب ، ومنه قول الأسير المُوصى إلى قومه: باللغْز . بآية ما أَكلت معكم حِيساً . فلما كانت الجملة التامة من القرآن علامة على صدق الآتى بها ، وعلى عجز المتحدّى بها سميت آية . هذا قول بعضهم . وقيل : سميت آية لما كانت جملة وجماعة كلام ، كما تقول العرب : جئنا بآيتنا ، أى بجماعتنا . وقيل : لما كانت علامة للفصل بين ما قبلها ومابعدها سميت آية . ووزن آية عند سيبوَيْه فعَلة بفتح العين ، أصلها ايية تحركت الياء الأولى وَمَا قبلها مفتوح فجاءت آية . وقال الكسائى : أصل آية ايية على وزن فاعلة حِذفت الياء الأولى مخافة أن يلتزم فيها من الادغام مالزم فى دابّة . وقال مكى فى تعليل هذا الوجه سكنت الأولى وادغمت فجاءت آيَّة على وزن دابّة ، ثم سهلت اليَاء المثقلة .

وقيل : أصلها أَيَّة على وزن فعلة بسكون العين ابدلت الياء الساكنة ألفاً استثقالاً للتضعيف . قاله الفراء ، وحكاه أبو على عن سيبويه فى ترجمة : (س ١٤٦١٣) «وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ» . وقال بعض الكوفيين أصلها ايية

---

(١) أى : فى الجمع

(٢) ديوان النابغة (ed Derenbourg) ٨ : ٩

على وزن فَعِلة بكسر العين ابدلت الياء الأولى ألفاً لثقل الكسر عليها وانفتاح ماقبلها .

* * *

باب : القول في الاستعاذة

قال الله عز وجل : (س ١٦ ا ٩٨) « فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ » . معناه : إذا أردت أن تقرأ وشرعت فاوقع الماضى موقع المستقبل لثبوته . وأجمع العلماء على أن قول القارئ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ليس بآية من كتاب الله ، وأجمعوا على استحسان ذلك والتزامه فى كل قراءة فى غير صلاة .

واختلفوا فى التعوذ فى الصلاة ، فابن سيرين ، وإبراهيم النخعى ، وقوم يتعوذون فى الصلاة فى كل ركعة ، ويمتثلون أمر الله بالاستعاذة على العموم فى كل قراءة. وأبو حنيفة ، والشافعى يتعوذان فى الركعة الأولى من الصلاة ويريان قراءة الصلاة كلها كقراءة واحدة . ومالك رحمه الله لايرى التعوذ فى الصلاة المفروضة ويراه فى قيام رمضان ، ولم يحفظ عن النبى عليه السلام أنه تعوذ فى صلاة .

وحكى الزهراوى ، عن الحسن أنه قال : نزلت الآية فى الصلاة ونُدِبْنَا إلى الاستعاذة فى غير الصلاة وليس بفرض . قال غيره : كانت فرضاً على النبى عليه السلام وحده ثم تأسّينا به .

وأمّا لفظ الاستعاذة : فالذى عليه جمهور الناس هو لفظ كتاب الله تعالى : أعوذ بالله من الشيطان الرّجِيم .

وروى عن ابن عباس أنه قال : أول مَا نزل جبريل على محمد عليه السلام قال له : قل يامحمد : أستعيذ بالله من السميع العليم من الشيطان الرجيم . ثم قال : قل بسم الله الرحمن الرحيم .

وروى سليمان بن سالم ، عن ابن القاسم رحمه الله : أن الاستعاذة : أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم ، إن الله هو السميع العليم : بسم الله الرحمن الرحيم . وأمّا المقرءون فأكثروا فى هذا من تبديل الصفة فى اسم الله تعالى ، كقول بعضهم : أعوذ بالله المجيد من الشيطان المَرِيد ، ونحو هذا مما لا أقول فيه نعمت البدعة ، ولا أقول إنه لايجوز . ومعنى الاستعاذة الإستجارة والتحيز إلى الشىء على معنَى الامتناع به من المكروه ، والكلام على المكتوبة يجىء فى بسم الله ، فذلك الموضع أولى به .

وأمَّا الشيطان : فاختلف الناس فى اشتقاقه ، فقال الحذّاق : هو فيعال من شطن إذا بعد ، لأنه بعد عن الخير ورحمة الله . ومن اللفظة قولهم : نوًى شطون ، أى بعيدة . قال الأعشى :

نَأَتْ بِسُعَادَ عَنْكَ نوًى شُطُونُ فَبَانَتْ وَالْفُؤادُ بِهَا رَهِينُ

ومنه قيل للحبل شطن لبعد طرفَيه وامتداده . وقال قوم : إن شيطاناً مأخوذ من شاط يشيط ؛ إذا هاج واحترق ونحوه ، إذ هذه أفعاله فهو فعلان .

قال القاضى أبو محمد رضى الله عنه : ويرد على هذه الفرقة أن سيبوَيه حكى أن العرب تقول : تشيطن فلان ، إذا فعل أفاعيل الشيطان . فهذا بَيِّن أنه تفَيْعَلَ من شطن ، ولو كان من شاط لقالوا : تشيط ، ويرد أيضاً عليهم بيت أُمية بن أبى الصلت (١) .

أَيُّمَا شاطن عَصاهُ عَكَاهُ (٢) ثُمَّ يُلْقَى فِى السِّجْنِ وَالأَكْبَالِ

فهذا شاطِن من شطن لاشك فيه . وأمَّا الرجيم : فهوَ فعيل بمعنى مفعول كقتيل وجريح ونحوه . ومعناه : أنه رجم باللعنة والمَقْت ، وعدم الرحمة .

وقال المهدوى : أجمع القراء على إظهار الاستعاذة فى أول قراءة سورة الحمد

---

(١) ديوان أمية بن أبى الصلت Schulthess . ea ص ٦٤ .

(٢) أى قيده

إلا حمزة [١] فإنه أسرها . وَرَوَى المسيّبى عن أهل المدينة أنهم كانوا يفتتحون القراءة بالبسملة .

* * *

القول فى تفسير : بسم الله الرحمن الرحيم

روى عن جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه أنه قال : البسملة تيجان السور . وروى أن رجلاً قال بحضرة النبى عليه السلام : تعس الشيطان . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقل ذلك فإنه يتعاظم عنده [٢] ، ولـكن قل : بسم الله الرحمن الرحيم فإنه يصغر حتى يصير أقل من ذباب .

وقال على بن أبى الحسين رضى الله عنه فى تفسير قوله تعالى : (١٧ آ ٤٦) « وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نفُوراً » . قال : معناه : إذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم .

وروى عن جابر بن عبد الله أن النبى عليه السلام قال له : كيف تفتتح الصلاة يا جابر ؟ قلت بالحمد لله رب العالمين . قال : قل بسم الله الرحمن الرحيم .

وروى أبو هريرة أن النبى عليه السلام قال : أتانى جبريل فعلمنى الصلاة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم يجهر بها ، وهذان الحديثان يقتضيان أنها آية من الحمد . و يبين ذلك حديث أبى بن كعب الصحيح ، إذ قال له النبى عليه السلام: هل لك أن لا تخرج من المسجد حتى تعلم سورة ، مَا أُنْزِلَ فى التوراة ، ولا فى الإنجيل ، ولا فى الفرقان مثلها ، قال : فجعلت ابطىء فى المشى رجاء ذلك . فقال لى : كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة ؟ قال:فقرأت الحمد لله رب العالمين،حتى أتيت على آخرها . و يرده الحديث الصحيح ، يقول الله تعالى : قسمت الصلاة بينى

---

(١) يعنى حمزة بن حبيب الزيات من قراء الكوفة

(٢) أى عند ذلك القول

و بين عبدى نصفين ، يقول العبد الحمد لله رب العالمين[١] . و يرده أنه لم يحفظ عن النبى عليه السلام ، ولا عن أبى بكر ، ولا عمر ، ولا عثمان أنهم قرءوا قط فى صلاتهم بسم الله الرحمن الرحيم . و يرده عدد آيات السورة ، لأن الإجماع أنها سبع آيات إلا ماروى عن حسين الجعفى أنها ست آيات ، وهذا شاذ لايعول عليه .

وكذلك روى عن عمرو بن عبيد الجعفى أنه جعل : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ » آية ، فهى على عده ثمان آيات . وهذا أيضاً شاذ .

وقول الله تعالى : (س ١٥ آ ٨٧) « وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي) هو الفصل فى ذلك .

والشافعى رحمه الله يعد بسم الله آية من الحمد ، وكثير من قُرَّاء مكة والكوفة ولا يعدون « أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ » .

ومالك رحمه الله ، وأبو حنيفة ، وجمهور الفقهاء والقراء لايعدون البسملة آية . والذى يحتمله عندى حديث جابر ، وأبى هريرة ، إذا صحّا ، أن النبى عليه السلام رأى قراءة جابر وحكايته أمْر الصلاة قِراءةً فى غير صلاة على جهة التعلم ، فأمره بالبسملة لهذا لا لأنها آية .

وكذلك فى حديث أبى هريرة رآها قراءة تعليم ، ولم يفعل ذلك مع أُبيّ لأنه قصد تخصيص السورة ووسمها من الفضل بمالها فلم يدخل معها ماليس منها ، وليس هذا القصد فى حديث جابر وأبى هريرة . والله أعلم .

وقال ابن المبارك : إن البسملة آية فى أول كل سورة ، وهذا قول شاذ رد الناس عليه .

وروى الشعبى ، والأعمش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يكتب باسمك اللهم ، حتى أُمر أن يكتب بسم الله ، فكتبها . فلما أنزلت (س ١٧ آ ١١٠) « قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ » كتب : بسم الله الرحمن ، فلما نزلت (س ٢٧

(١) انظر باقى هذا الحديث فى مقدمة القرطبى لتفسيره ١ : ٩٤ .

آ ٣٠) « إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ » كتبها .

وروى عمرو بن شرحبيل : أن جبريل أول ماجاء النبى عليه السلام قال له : قل : بسم الله الرحمن الرحيم .

وروى عن ابن عباس : أن أول مانزل به جبريل : بسم الله الرحمن الرحيم .

وفى بعض طرق حديث خديجة وحَمْلها رسـول الله صلى الله عليه وسلم إلى وَرَقَةَ ، أن جبريل قال للنبى عليه السلام : قل : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقالها . فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارىء ، الحديث .

والبسملة تسعة عشر حرفاً . فقال بعض الناس : أن رواية بلغتهم أن ملائـكة النار الذين قال الله فيهم : (س ٧٤ آ ٣٠) « عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ » ، إنمـا ترتب عددهم على حروف بسم الله الرحمن الرحيم ، لـكل حرف ملك وهم يقولون فى كل أفعالهم : بسم الله الرحمن الرحيم. فمن هنالك هى قوتهم وباسم الله استضْلعُوا[1] .

قال الفقيه الإمام : وهذه من ملح التفسير وليست من متين العلم . وهى نظير قولهم : فى ليلة القدر ، أنها ليلة سبع وعشرين مراعاة للفظة هى فى كلمات سورة : (س ٩٧) « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ » . ونظير قولهم فى عدد الملائـكة الذين ابتدروا قول القائل : ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، فإنها بضعة وثلاثون حرفاً .

قالوا : فلذلك قال النبى عليه السلام : لقد رأيت بضعة وثلاثين ملـكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أول . والباء فى بسم الله متعلقة عند نحاة البصرة باسم تقديره ابتدائي مستقِرٌ أَوْ ثابت بسم الله . وعند نحاة الـكوفة بفعل تقديره ابتدأت بسم الله . فبسم الله فى موضع رفع على مذهب البصريين ، وفى موضع نصب على مذهب الـكوفيين ، كذا أطلق القول قوم .

---

(١) أى : تقووا .

والظاهر من مذهب سيبوَيْه أن الباء متعلقة باسم كما تقدم ، وبسم الله فى موضع نصب تعلقاً بثابت أو مُسْتقر بمنزلة فى الدار من قولك : زيد فى الدار ، وكسرت باء الجر ليناسب لفظها عملها ، أو لـكونها لا تدخل إلا على الاسماء ، فخصت بالخفض الذى لا يكون إلا فى الاسماء أو ليفرق بينها و بين ما قد يكون من الحروف اسْماً ، نحو الـكاف فى قول الأعسى :

أَتَنْتَهُونَ وَلَنْ يَنْهَى ذَوِى شَطَطٍ كَالْطَعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الْزَّيْتُ وُالْفُتُلُ[1]

وحذفت الألف من بسم الله فى الخط اختصاراً ، وتخفيفاً لـكثرة الاستعمال . وأختلف النحاة إذا كتب بسم الرحمن ، و بسم القاهر . فقال الـكسائى ، وسعيد الأخفش تحذف الألف . وقال يحيى بن زياد : لا تحذف إلا مع بسم الله فقط لأن الاستعمال إنما كثر فيه .

قال الفقيه القاضى أبو محمد عبد الحق بن عطية رضى الله عنه :

فأما فى غير أسماء الله تعالى فلا خلاف فى ثبوت الألف . واسم ، أصله سِمْوٌ بكسر السين أو سُمْوٌ بضمها ، وهو عند البصريين مشتق من السُمُو . يقال : سَمَا يسمُو . فعلى هذا تضم السين فى قولك سُمْوٌ ، و يقال : سَمِيَ يَسْمَى ، فعلى هذا تـكسر وحذفت الواو من سمو و كُسرت السين من سِمٌ كما قال الشاعر :

بسم الذى فى كل سورة سِمُهْ

وسكنت السين من بِسْم اعتلالاً على غير قياس ، و إنما استدل على هذا الأصل الذى ذكرنا بقولهم فى التصغير سُمَىّ وفى الجمع أسماء وفى جمع الجمع أسامى .

وقال الـكوفيون : أصل اسم وَسم من السِمة وهى العلامة ، لأن الاسم علامة لمن وضع له ، وحذفت فاؤه اعتلالاً على غير قياس . والتصغير والجمع المذكوران يَرُدَان الأشياء إلى أصولها . وأما المعنى فيه فجيد لولا ما يلزمهم أن يقال فى التصغير وُسَيْم ، وفى الجمع أوسام ، لأن التصغير والجمع يردان الأشياء إلى أصولها .

---

(١) ديوان الاعشى ٦ : ٦١ .

وقد ذكر بعض المفسرين فى هذا الموضع الاسم والمسمى هل هما واحد .
وقال الطبرى رحمه الله : إنه ليس بموضع المسألة ، وأنحى فى خطبته على المتكلمين فى هذه المسألة ونحوها ، ولكن بحسب ماتردد القول فيها ، فلنقل : إن الاسم كزيد ، وأسد ، وفرس ، قد يرد فى الكلام ويراد به الذات . كقولك : زيد قائم ، والأسد شجاع ، وقد يرد ويراد به التسمية[1] ذاتها . كقولك : أسد ثلاثة أحرف ، ففى الأول يقال : الاسم هو المسمى بمعنى يراد به المسمى . وفى الثانى : لايراد به المسمى ، ومن الورود الأول قولك : يارحمن اغفر لى ، وقوله تعالى : (س ٥٥ آ ١ و ٢) « ٱلرَّحْمٰنُ . عَلَّمَ ٱلْقُرْآنَ » ، ومن الورود الثانى : قولك : الرحمن وصف لله تعالى .

وَأما إسم الذى هو ألف وسين وميم ، فقد يجرى فى لغة العرب مجرى الذات . يقال : ذات ، ونفس ، واسم ، وعين بمعنى . وعلى هذا حمل أكثر أهل العلم قوله تعالى : (س ٨٧ آ ١) « سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى » ، وقوله تعالى : (س ٥٥ آ ٧٨) « تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ » ، وقوله تعالى : (س ١٢ آ ٤٠) « مَاتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ » ، وعضدوا ذلك بقول لبيد :

إِلَى ٱلْحَوْلِ ثُمَّ ٱسْمُ ٱلسَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كَامِلاً فَقَدِ ٱعْتَذَرْ

وقالوا : إن لبيد أراد التحية . وقد يجرى اسم فى اللغة مجرى ذات العبارة وهو الأكثر فى استعماله ، فمنه قوله تعالى (س ٢ آ ٣١) « وَعَلَّمَ آدَمَ ٱلْأَسْمَاءَ كُلَّهَا » على أشهر التأويلات فيه ، ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم : إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلاَّ واحداً ، من أحصاها دخل الجنة . وعلى هذا التحقيق استعمل النحويون الاسم فى تصاريف أقوالهم ، فالذى يتنخل[2] من هذا أن

---

(١) كذلك فى الأصل والصواب : الاسم ذاته .

(٢) أى يُسْتَخْلَصْ .

الأسماء قد تجىء و يراد بها ذوات المسمَّيَات ، وفى هذا يقال : الاسم هو المسمى ، وقد تجىء و يراد بها ذواتها نفسها لامسمياتها .

ومَرّ بى أن مالكاً رحمه الله ، سئل عن الاسم أهو المسى ، فقال : ليس به ولا هو غيره . يريد دائماً فى كل موضع ، وهذا موافق لما قلناه .

والمكتوبة التى لَفْظُهَا « اللهُ » أَبْهَرُ أسماء الله تعالى ، وأكثرها استعمالاً ، وهو المتقدم لسائرها فى الأغلب و إنما تجىء الأخر أوصافاً . واختلف الناس فى اشتقاقه . فقالت فرقة من أهل العلم : هو اسم مرتجل لا اشتقاق له من فعل ، و إنما هو اسم موضوع له تبارك وتعالى ؛ والألف واللام لازمة له لا لتعريفٍ ولا لغيره بل هكذا وضع الاسم . وذهب كثير من أهل العلم إلى أنه مشتق من أَلَهَ الرجل إذا عُبِدَ وتألَّهَ إذا تنسك ، ومن ذلك قول رؤبة بن العجاج [(١)] :

لِلّٰهِ دَرُّ ٱلْغَانِيَاتِ ٱلْمُدَّهِ [(٢)] سَبَّحْنَ وَٱسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِي

ومن ذلك قول الله تعالى : (س ٧ ا ١٢٧) « وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ » على هذه القراءة ،فإن ابن عباس وغيره قال : « وعبادتك » . قالوا : فاسم الله مشتق من هـذا الفعل لأنه الذى يَأْلَهُهُ كلُّ خَلْقٍ وَيعْبُدُهُ . حكاه النقاش فى صدر سورة ال عمران (س ٣) فإلاه فعال من هذا ، واختلف كيفَ تصرف إلاَه حتى جاء الله فقيل : حذفت الهمزة حذفاً على غير قياس ، ودخلت الألف واللام للتعظيم على لاه ، وقيل : بل دخلتا على إله ثم نقلت حركة الهمزة إلى اللام فجاء اللِاَه . ثم أدغمت اللام فى اللام . وقيل : إن أصل الكلمة لاهٌ وعليه دخلت الألف واللام والأول أقوى .

وروى عن الخليل إن أصل إله وِلاه و إن الهمزة مبدلة من واو كما هى فى إشاح ووِشاح ، و إسادة ، ووسادة . وقيل : إن أصل الكلمة ولاه كما قال الخليل

---

(١) ديوان رؤبة بن العجاج ٥٨ : ٧ (ed Ahlwardt) ص ١٥٦

(٢) أى المادحات .

إلا أنها مأخوذة من وَلِهَ الرجل إذا تحير ، لأنه تعالى تتحير الألباب فى حقائق صفاته ، ، والفكر فى المعرفة به . وحذفت الألف الأخيرة من الله لئلا يُشْكِلَ بخط اللات ، وقيل : طرحت تخفيفاً ، وقيل : هى لغة فاستعملت فى الخط ، ومنها قول الشاعر :

أقْبَلَ سَيْلٌ جاءَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ   يحْرِدُ حَرْدَ الحية المغلة

والرحمن : صفة مبالغة من الرحمة ، ومعناها : إنه انتهى إلى غاية الرحمة كما يدل سكران وغضبان على نهاية السكر والغضب [1] . وهى صفة تختص بالله ولا تطلق على البشر وهى أبلغ من فعيل ، وفعيل أبلغ من فاعل لأن راحماً يقال لمن رَحِمَ ولو مرة واحدة ، ورحيماً يقال لمن كثر منه ذٰلك ، والرحمن النهاية فى الرحمة .

وقال بعض الناس : الرحمن الرحيم بمعنى واحد كالندمان والنديم . نعم إنهما من فعل واحد ، ولكن أحدهما أبلغ من الآخر .

وأما المفسرون فعبروا عن الرحمن الرحيم بعبارات ، فمنها : أن العرْزمى قال : معناه الرحمن بجميع خلقه فى الأمطار ونعم الحواس ، والنعم العامة ، الرحيم بالمؤمنين فى الهداية لهم واللطف بهم .

ومنها : أن أبا سعيد الخدرى ، وابن مسعود رويا أن رسول الله عليه السلام قال : الرحمن رحمن الدنيا والآخرة ، والرحيم رحيم الآخرة .

وقال أبو على الفارسى : الرحمن إسم علم فى جميع أنواع الرحمة يختص به الله ، والرحيم إنما هو فى جهة المؤمنين كما قال تعالى : (س ٣٣ آ ٤٣) : « وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً » .

قال أبو محمد : وهذه كلها أقوال تتعاضد . وقال عطاء الخراسانى : كان الرحمن ، فلما اختزل وسمى به مسيلمة الكذاب قال الله لنفسه الرحمن الرحيم . فهذا

(١) فى الأصل : يدل على انتهاء سكران وغضبان .

الاقتران بين الصفتين ليس لأحد إلا الله تعالى . وهذا قول ضعيف لأن بسم الله الرحمن الرحيم كان قبل أن ينجم أمر مسيلمة ، وأيضاً فتسمى مسيلمة بهذا لم يكن مما تأصل وثبت .

وقال قوم : إن العرب كانت لاتعرف لفظة الرحمن ، ولا كانت فى لغتها واستدلوا على ذلك بقول العرب : (س ٢٥ آ ٦٠) « وَمَا ٱلرَّحْمٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا » ؟ وهذا القول صفيف ، و إنما وقفت العرب على تعيين الإلٰه الذى أمروا بالسجود له لا على نفس اللفظة . واختلف فى وصل الرحيم بالحمد . فروى عن أم سلمة ، عن النبى عليه السلام : الرَّحِيمْ أَلْحَمْدُ تسكن الميم ويوقف عليها و يبتدأ بألف مقطوعة . وقرأ به قوم من الكوفيين ، وقرأ جمهور الناس الرحيم الحمد يعرب الرحيم بالخفض وتوصل الألف من الحمد . ومن يشأ أن يقدر أنه أسكن الميم ثم وَصل حركها للالتقاء ولم يعتد بألف الوصل فذلك سائغ . والأول أخصر . وحكى الكسائى عن بعض العرب أنها تقرأ الرحيم الحمد بفتح الميم وَصلة الألف كأنه سكنت الميم وقطعت الألف ، ثم ألقيت حركتها على الميم وَحذفت ، ولم ترو هذه القراءة عن أحد فيما علمت ، وهذا هو نظر يحيى بن زياد فى قوله تعالى : (س ٣ آ ١) « الم اللهُ » .

بيـــان الخطأ والصواب

ص	س	خطأ	صواب	ص	س	خطأ	صواب
٥	١٤	الحَدِيثَ	الحَدِيثِ	١١٢	١٨	آ ١٧٢	آ ١٧٧
١٣	٢١	سريح	شريح	١١٨	٧	خَوْفَ عَلَيْكُمْ	خَوْفٌ عَلَيْكُمُ
١٧	١٣	الأنبارى	الأنمارى	١٢٠	١٢	الْأَنْفَسُ	الْأَنفسُ
٣١	١٤	هُدَىً	هُدًى	«	١٦	عبد الرحمن	عبد الله
٤٦	٢٠	إِنَّا	إِنَّا	١٢٣	١٥	فشَرَبُوا	فَشَرِبُوا
٦٢	٧	مِنُكُمْ	مِنْكُمْ	١٢٧	١	وقَالَ	قال
«	١١	تتَخِذُنَ	تتَّخِذُونَ	١٢٨	٤	أَتَتْ	آتَتْ
٦٩	١٠	عَلَيْكُمْ	عَلَيْكُمُ	١٣١	١٢	كانُوا أَشَدَّ	كانوا هُمْ أَشَدَّ
٨٠	٥	نجد	نجدة	«	١٣	آ ٢٣) « حَتَّىَ	آ ٢٢) « حَتَّى
٨٣	٧	س ٣٢	س ٣٣	«	١٥	شَرُابًا	شَرَابًا
٨٥	١٩	س ٣	س ٢	١٣٢	٢٠	س ٢٢	س ٢٣
«	«	نأْتٍ	نَأْتِ	١٣٣	٩	خَوْفَ	خَوْفٌ
٩٠	٣	الحسين	الحسن	١٤٨	١٤	بالراى	بالزاى
«	٤	عن معقل بن	ومعقل بن عبيدالله	١٤٩	٨	آ ٢٤٨	آ ٢٤٧
		عبد الله		١٥٢	١١	س ٣	س ٢
٩٨	٥	وَأَخَرِينَ	وَآخَرِينَ	١٥٥	٢٠	أَنْذَرُتَهُمْ	أَنْذَرْتَهُمْ
«	٧	أُمَنُوا	آمَنُوا	١٦٦	٥	آ ٧١	آ ٦٨
«	١٣	عَلَيْهُمْ	عَلَيهِمْ	«	«	ثَمُودًا	ثمُودَا
٩٩	١١	آ ٦٨	آ ٦٧	«	٧،٦	ثَمُودًا	ثَمُودَا

ص	س	خطأ	صواب	ص	س	خطا	صواب
١٧٣	٣	أبو عمرو وعثمان	أبو عمرو عثمان	٢٣١	١٨	تَقْرُبُوا	تَقْرَبُوا
١٧٦	١٥	الحِديثَ	الحِديثِ	٢٣٧	١٣	قَدَّمَتْ أَنْفُسُهُمْ	قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ
»	٢٠	س ١١٣	س ١١٢				
»	٢١	إِلٰهِ	إِلٰهَ	٢٣٨	٤	إِذَنْ	إِذًا
١٧٨	١٧	نَجْوَيكُمْ	نَجْوٰكُمْ	»	٦	آ ٦٥	آ ٦٠
»	١٩	عِندَ	عِنْدَ	»	١٨	يَخْرُجُونَ	يَخْرَجُونَ
١٨٣	١٠	جبيلة	حبيلة	٢٤٠	٢٢	بن نَصر	بن نضر
١٩٢	٢٣	جدعان	جذعان	٢٤٤	٧	اُلبَيْتِ	اُلْبَيْتِ
١٩٣	١٤	حبير	جبير	٢٤٥	٢١	الحسن بن أحمد	الحسين بن أحمد
٢٠١	٨	لُدًا	لُدًّا				
»	١٣	س ٢٠	س ٢١				
»	»	لَهُمُ	لَهُمْ				
٢٠٣	١٠	اُلمُرْوَةَ	اُلمَرْوَةَ				
٢٠٦	٣	أَمَوَالَكُمْ	أَمْوَالَكُمُ				
٢١٠	١٤	حكيم حرام	حكيم بن حزام				
٢١٧	٦	س ٣٧	س ٣٦				
٢٢٥	٥	وَعَذَابٍ	بِعَذَابٍ				
»	١٠	ا ٢٠	ا ١٧				
٢٢٦	٢	لَئِلاَّ	لِئَلاَّ				
٢٣٠	٧	لابى كعب	لابى بن كعب				
٢٣١	٨	تَقْرَّبُوهُنَّ	تَقْرَبُوهُنَّ				

فهرس الأعـــلام

(ا)

---

(١) في تهذيب التهذيب لابن حجر ١٢١:١ هو ابراهيم بن سعد بن إبراهيم

(ب)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

فهرس الآيات القرآنيــة

السورة	الآية	الصفحة
١	٢	١٣٤
	٤	١٥٩ ، ٢١٩
٢	٢	٣١ ، ٣٣ ، ١٥٤
	٦	١٥٥
	٩	١٥٢ ، ١٥٩
	١٤	١٥٣
	٢١	١٥٢
	٢٣	٢٧ ، ٢٧٩
	٢٦	١٨١
	٣١	٢٩١
	٣٧	٢٢٤
	٤١	١٥١
	٤٣	١٨٥
	٥١	١٥٢ ، ١٥٩
	٦١	١٥٨،١٦٦،١٦٧
	٦٧	٦٢ ، ١٢٢
	٧٢	٦٢
	٧٤	٢١٢ ، ٢٧٧
	٨٠	١٥٢
	٨١	١٥٢
	٨٣	١٩٤
	٩٦	٢٢٠
٢	٩٨	١٥٨
	١٠٤	١٥٢
	١٠٦	٨٥ ، ١٥٣
	١١٦	١١٨ ، ١٢٢
	١٢٤	٢٢٤
	١٢٥	٢٣٣
	١٣٢	١١٧
	١٣٧	١٠٤ ، ١١٦
	١٤٤	٥٩ ، ٦٢
	١٥٠	١٤٩
	١٥٨	٢٠٣
	١٧٢	١١٢
	١٧٧	١٠٤ ، ١٠٥
	١٨٣	١٨٦
	١٨٨	٢٠٧
	١٩١	٢٣١
	١٩٥	٢٣٢
	١٩٦	٢٣٣
	٢١٠	١٧٧
	٢٢٢	٢٣١
	٢٣٤	٦٢
	٢٤٠	٦٢

السورة	الآية	الصفحة
٧	١٦٧	٢٣٩
	١٧٠	٣٣ ، ٢٤٠
	١٧٢	٢٨٠
	١٧٥	١٧٥
	١٧٨	١٤٩
٨	٣٢	٢٤٤
	٣٦	٢٤٠
	٤٢	١٧٧
	٧٥	٢٤٥
٩	٢٩	٦٢
	٤٧	١٤١ ، ١٤٢
	٦٧	٩٩
	٦٨	٢٣٦
	٨٠	٢٠٩
	٩٠	٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٣
	١٠٧	١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٧
	١١٠	١٢٧
	١١٤	٢١٢
	١٢٢	٢٤٤
	١٢٨	١٠ ، ١٨ ، ٢١ ، ٣٥
	١٢٩	٢٣٨
١٠	٢	١٧٨
	٢٢	١١٩ ، ١٢٧ ، ١٣١
	٣٣	١١٩ ، ١٢٧

السورة	الآية	الصفحة
١٠	٥٨	٢٥٩
	٦٠	٢٤٠
١١	١	١٧٦
	١٣	٢٧
	١٧	٢٢٥
	٤٠	٢٤٢
	٤٤	٢١٢ ، ٢٢٧
	٦٨	١٦٦
	٧٥	٢١٢
	٧٨	٢١٦ ، ٢٤٢ ، ٢٦٥
	١٠٥	١٤٩ ، ١٥١
١٢	٣	٢٥٨
	١٢	١٥٣
	٣١	٢١٢ ، ٢٢٧ ، ٢٣٣
	٣٥	٢٢٠
	٤٠	٢٩١
	٤٥	٢١٦ ، ٢٣٢
	٤٦	٢٣٧ ، ٢٤٤
	٩٠	١٥٣ ، ٢٣٨ ، ٢٤٥
	١١٠	١٦٧
١٣	٣١	٢٢٥
	٣٥	٢٤١
	٣٩	١٧٨
١٤	٤	٢٠١ ، ٢٠٢

السورة	الآية	الصفحة	السورة	الآية	الصفحة
٩١	١٥	١١٨، ١٢١، ١٣٢	١٠١	٥	٢١٦، ٢٢٢، ٢٦٦
٩٣	١	٢٢٨	١٠٣	١	١٠٣
٩٤	١	٢٢٩	١٠٩	١	٣٣
٩٤	٢	١٧٠		٦	١٥١
٩٦	١٨	١٥٢	١١٠	١	٥٣
٩٧	١	٤٣، ٤٦، ٢٠١	١١١	٤	١٠٥
٩٨	١	٩٠، ٢٢٨	١١٢	١	١٧٦
	٣	٨٢	١١٤	٢	٢١٩

مطبعة السنة المحمدية
ت ٧٩٠١٧

الثمن ٨٠ ص

P.T. 80

script, and all have folios missing, but fortunately they supplement one another, so that the text is complete. The variations in reading among them were so insignificant that no purpose would have been served by recording them. Both writers use their local Andalusan style of Arabic and it has been difficult at times to restrain our Egyptian friends from altering various expression in the texts to conform to what is considered in Egypt to be correct Arabic.

The thanks of all readers of these texts are due to Shaikh Sayyid Nawwar who did the preliminary reading through of them with me and solved many a problem they presented, to Dr Butrus Abd al-Malik who has allowed me to draw on the well of his learning during the process of preparing the texts for publication, to the enterprise of the Brothers al-Khaniji which has made their appearance in print possible. and to Izzet al-Attar and the workmen at the Press whose paitence and unfailing courtesy have lightened the toil of the Editor. Absence from my own Library and the necessity of hurrying through the printing during the last weeks of my stay in Cairo have made the editing fall short of what it ought to have been, but at least we may hope to have presented here a readable text of these two important Introductions to Qur'anic studies from the Western school of Islamic scholarship.

Qur'anic references are to the standard Egyptian text of 1342 A.H., and references to Materials are to my Materials for the History of the Text of the Qur'an Leiden, 1937.

Cairo. August 1954. **ARTHUR JEFFERY**

PREFACE

The two texts hers presented to our friends both in the Orient and the Occident who are interested in Qur'anic studies have in each case considerable interest for the history of the development of the orthodox Islamic doctrine of Scripture. Both were used by Nœldeke when he was working on his now famous *Geschichte des Qorans*, and again by his pupil Schwally while preparing the second edition of that work. Schwally there says of them (II. 184, 185):

> "das *Kitab al-Mabani* .... viel Brauchbares enthælt so dass eine Druckausgabe hœchst erwuenscht waere. Ebenso wertvoll ist die Einleitung zum *Kitab al-Gami' al-muharrar* ... des Ibn 'Atiyya",

and when the late Professor Bergstraesser was in Cairo in 1929-30 he spoke at length with me about the possibility of printing here both these *Muqaddimas*. Difficulties with regard to procuring photostats of the MSS in Berlin presented themselves then, and after Bergstraesser's untimely death in 1933 a sad world situation increased the difficulties, so that it was only in the course of the current academic year (1953-54) that it proved possible, through the kind offices of Dr. Jœrg Kraemer and the Director of the Library at Tuebingen University to procure the necessary photostats and make at least an attempt to fulfil Bergstraesser's desire.

Of the *Kitab al-Mabani* we possess only the unique MS (Wetzstein 103) of the Berlin State Library. The author is unknown, for the MS lacks the essential first folio, but he tells us that he commenced his work in the year 425 A. H. (1033 A. D.) It is written in a rather crabbed Maghribi hand, but on the whole is fairly legible, save in spots where water has damaged the writing. For the *Muqaddima* of Ibn 'Atiyya (d. c. 542 A. D. 1147 A.D.) to his al-Jami al-muharrar we were able to use besides the Berlin Codex Sprenger 408, two MSS in the Egyptian Library in Cairo, one in the Taimur collection, (Tafsir, 168), and one belonging to the recent acquisitions (24031 B). All three are in rather difficult Maghribi

TO THE MEMORY OF

GOTTHELF BERGSTRÆSSER

DEVOTED SCHOLAR

AND

FAITHFUL FRIEND

TWO MUQADDIMAS TO THE QUR'ANIC SCIENCES

The Muqaddima to the Kitab al-Mabani and the Muqaddima of Ibn 'Atiyya to his Tafsir, edited from the MSS in Berlin and in Cairo

by

ARTHUR JEFFERY

Professor of Semitic Languages in Columbia University
Annual Director of the American Research Centre in Egypt (1953 - 1954)

CAIRO

Printed for the Brothers al-Khaniji, Booksellers and Publishers, Sharia Abd al - Aziz

1954

TWO MUQADDIMAS
TO THE QUR'ANIC SCIENCES

The Muqaddima to the Kitab al-Mabani and the Muqaddima of Ibn 'Atiyya to his Tafsir, edited from the MSS in Berlin and in Cairo

by

ARTHUR JEFFERY

Professor of Semitic Languages in Columbia University
Annual Director of the American Research Centre in Egypt (1953 - 1954)

CAIRO

Printed for the Brothers al-Khaniji, Booksellers and Publishers, Sharia Abd al - Aziz

1954